

هـ _____ ذ

كتاب اتحاد ملوك الزمان * بتاريخ الامبراطور شرل كان مسبوقا بمقدمته
المسماة اتحاد الملوك الالبا * بتقديم الجمعيات في اوروبا منذ
انقراض الدولة الرومانية * الى اوائل القرن السادس عشر
من السنين المسيحية * ترجمه من اللغة الفرنسية *
ونظمه في سلك التواريخ العربية * خليفة افتدى
رئيس قسم ترجمة ادبيات بقلم ترجمة ديوان
المدارس المصرية * ادام الله ولي
النعم صاحب تلك الآثار *
فجعله وسلالته انصارا
لدولة العرفان
بامصار تلك
الديار
امين

(المجلد الاول)

فهرست الجزء الاول من كتاب التحاف ملوك الزمان بتاريخ الامبراطور شرلكان

مصحفه

٢

الخطبة

٣

المقالة الاولى

٣

ولادة شرلكان

٣

مطلب اصل اراضيه وممالكه

٤

توجه فيليبش ابى شرلكان وحانة امه الى بلاد اسبانيا

٥

مطلب غيرة فرد ينند من فيليبش

٥

مطلب حيرة الملكة ايرازيله والامه من اجل بنتها

٦

مطلب ولادة فرد ينند الذى صار امبراطور افيمابعد

٧

مطلب ايضا ايرازيله تزوجها فرد ينند بان يكون قبا على مملكة قسطنطية

٨

مطلب اقرار فرد ينند على نيابة مملكة قسطنطية

٩

مطلب سعى فيليبش فى الاستيلاء على حكومة قسطنطية

مطلب بعث فيليبش الى فرد ينند أن يسلم مملكة قسطنطية ويذهب الى

٩

ملكته

١٠

مطلب تخلى اشراف قسطنطية عن المالك فرد ينند

١١

مطلب زواج فرد ينند بنت اخى ملك فرنسا

مطلب المشاركة التى حصلت بين فرد ينند وفيليبش فى ٢٤ من تشرين

١٢

الثانى

١٢

مطلب سفر فيليبش وزوجته حانة الى بلاد اسبانيا سنة ١٥٠٦

١٣

مطلب ميل اشراف قسطنطية الى حزب فيليبش

٢٨

مطلب تخلى فرد ينند عن نيابة قسطنطية وذهابه الى مملكة اراغون فى

١٣

من شهر حزيران

مطلب اقرار مشورة وكلاء المملكة فيليبش وزوجته حانة على حكومة مملكة

١٤

قسطنطية

مطلب

مصفى

- ١٥ مطلب موت فيليبش في ٢٥ من شهر ايلول
- ١٥ مطلب اختلال عقل حانة
- ١٧ مطلب سفر فردينند الى مملكة نابلي
- ١٨ مطلب رجوع فردينند الى اسبانيا
- ١٨ مطلب فتوح مدينة وهران
- ١٨ مطلب اخذ مملكة نوار
- مطلب عزم الملك فردينند على حرمان سبطه كرلوس من مملكة اسبانيا حتى كتب الوصية بذلك للامير فردينند اخي كرلوس سنة ١٥١٥
- ١٩
- ٢٠ مطلب تغيير الملك فردينند لوصيته التي كتبها
- ٢٠ مطلب موت فردينند
- ٢٠ مطلب تربية كرلوس الخامس المسمى شرلكان
- ٢٢ مطلب طباع كرلوس في مبداء امره
- ٢٥ مطلب جعل كرلوس اديان نائباً على مملكة قسطنطية
- ٢٦ مطلب افراد اكريمينيس بادارة الدولة وتجهيزها لحما
- ٢٦ مطلب تلقيب كرلوس ملكا
- مطلب اقرار كرلوس على الملوكية في مملكة قسطنطية وكان ذلك باقواس
- ٢٧ اكريمينيس وهمته في ٥ من شهر نيسان
- مطلب شروع اكريمينيس في تقوية الشوكة الملوكية وتوسيع دائرته
- ٢٨ مزاياها
- ٢٨ مطلب خفضه للاشراف واضعافه لشوكتهم
- ٢٩ مطلب شروع اكريمينيس في ترتيب جيوش من الاهالي
- مطلب شروع اكريمينيس في أن يرد لالتاج الاقطاعات التي اقطعها الملوك الاولون للاشراف والاكابر
- ٣١
- ٣٢ مطلب تصدي الاشراف لمنعه عن تجهيز مشروعاته

مطلبه

٣٣

مطلب تحزب وكلاء القلمك على اكريمينيس

٣٣

مطلب نواية الملك كرلوس لاثنين بشركان اكريمينيس في نيابة قسطنطية

٣٦

مطلب حث اكريمينيس لكرلوس على الحضور الى اسبانيا

٣٧

مطلب عقد الصلح بين كرلوس وملك فرنسا في ١٣ شهر آيه

٣٨

مطلب منع اهل القلمك كرلوس عن السفر الى بلاد اسبانيا

٣٩

مطلب خوف القلمكيين من اكريمينيس

٣٩

مطلب سفر كرلوس الى اسبانيا

٤١

مطلب خيانة كرلوس

٤١

مطلب موت اكريمينيس في ٨ من شهر تشرين الثاني

٤٢

مطلب عقد مشورة القورطس بمدينة ولادوليدة (سنة ١٥١٨)

٤٢

مطلب مبايعة كرلوس بالملوكية في قسطنطية

٤٢

مطلب غم اهله - طيلة

٤٤

مطلب جمع كرلوس مشورة وكلاء ملكه اراغون

مطلب كون توقف الاراغونيين في هذا الشأن وعصيانهم اكثر من

٤٤

القسطنطينيين

٤٧

مطلب موت الايمبراطور مكسيميليان في ١٢ من شهر كانون الثاني

٤٨

مطلب سعي مكسيميليان في اثبات التاج الايمبراطوري لحفيده كرلوس

٤٨

مطلب سعي كل من كرلوس وفرنسيس في تيل المنصب الايمبراطوري

مطلب دعوى كرلوس في شأن المنصب الايمبراطوري ووجه طمعه

٤٨

في النجاح

٥٠

مطلب الاسباب التي بنى عليها فرنسيس دعواه

٥١

مطلب آراء ملوك الفرنج الاخرين

٥٢

مطلب آراء السويسيين

٥٢

مطلب آراء اهل جمهورية البنادقة

مطلب آراء

- ٥٢ مطلب اراء هنرى الثامن
- ٥٤ مطلب انعقاد مشورة الديتة فى ١٧ من شهر حزيران
- ٥٥ مطلب آراء الامراء المنتخبين
- مطلب عرض المنتخبين التاج الايمبراطورى على الامير فردريق دوق
٥٥ سكس
- ٥٦ مطلب امتناعه عن قبول التاج
- ٥٧ مطلب رد فردريق للمدايا التى ارسلها اليه رسل الملك كرلوس
- ٥٧ مطلب انعقاد مذاكرة جديدة بين المنتخبين
- ٥٨ مطلب انتخاب كرلوس للايمبراطورية
- ٥٩ مطلب اعلام كرلوس باختياره ايمبراطورا
- ٦٠ مطلب غم الاسبانين من هذه الحادثة
- ٦١ مطلب ازدياد غم الاسبانوليين
- ٦٢ مطلب الفتنة التى حصلت بمملكة بلنسية فى ذلك الوقت
- ٦٢ مطلب ازدياد نيران الفتنة سنة ١٥٢٠
- ٦٤ مطلب افتتاح المذاكرة بالمشورة فى اول يوم من شهر نيسان
- ٦٥ مطلب ازدياد غم اهل قسطنطينية
- مطلب جعل كرلوس اناساينوبون عنه ويقومون بمصالح ممالك اسبانيا
٦٦ مدة غيبته
- ٦٦ مطلب ارتحال كرلوس الى البلاد الواطية
- ٦٦ المقالة الثانية من انخاف ملوك الزمان بتاريخ الايمبراطور شرلكان
- ٦٦ مطلب لزوم حضور كرلوس ببلاد المانيا
- ٦٧ مطلب منشأ العداوة بين كرلوس وفرنسيس الاول وازديادها بالتدريج
- مطلب المذاكرات التى حصلت قبل حصول الحرب بين فرنسيس
٦٨ وكرلوس

مكتبة

- ٦٨ مطلب مداولا لاهتمام الباي
- ٦٩ مطلب مداولا لاهتمام اهل البنادقة
- ٧٠ مطلب مداولا لاهتمام ملك انكلتره
- ٧٠ مطلب بيان عظم شوكة ملك انكلتره
- ٧٠ مطلب مناقب هنرى واخلاقه
- ٧٢ مطلب بيان طباع وزيره الاول وهو الكردي نال ولسى
- ٧٣ مطلب مداولة الملك فرنسيس مع الوزير ولسى
- ٧٣ مطلب مودة الايمبراطور كرلوس للوزير ولسى
- ٧٤ مطلب ذهاب كرلوس الى انكلتره
- ٧٥ مطلب استمالة كرلوس للملك هنرى ووزيره ولسى
- مطلب مقابلة هنرى لفرنسيس الاول فى ٧ من شهر حزيران سنة ١٥٢٠
- ٧٦ مطلب ما قام بنفس هنرى من عظم شوكته
- ٧٦ مطلب تتويج كرلوس بالتاج الايمبراطورى
- ٧٧ مطلب تولية السلطان سليمان الفخر على كرسى الدولة العثمانية
- ٧٧ مطلب انعقاد مشورة الديتة فى مدينة وورمس
- ٧٨ مطلب منشأ ما وقع فى دين النصرانية من النسخ
- ٧٩ مطلب ضعف اسباب الدين الجديد فى مبدء امره
- ٧٩ مطلب بيع الغفران الذى جددته الباباليون العاشر
- ٨١ مطلب فى الكلام على لوتير ومناقبه
- ٨٢ مطلب تصدى لوتير لمنع بيع الغفران
- ٨٣ مطلب نشر لوتير مسائل لاجل ابطال بيع الغفران
- مطلب تعضيد قسوس الطائفة الاوغسطينية التى كان لوتير من جملة اربابها
- ٨٤ لرايه وتايدهم لمذهبه

مخطوطة

- ٨٥ مطلب فيما كتبه عدة من علماء اللاهوت في مناقضة لوتير
- ٨٥ مطلب عدم اعتناء ديوان رومة بمذهب لوتير في مبدء امره
- ٨٦ مطلب تقدم آراء لوتير وانتشارها
- ٨٦ مطلب امر البابا الصادر الى لوتير بالحضور الى رومة
- ٨٧ مطلب امر البابا وكيله بان يحكم على لوتير في المانيا
- ٨٧ مطلب حضور لوتير بين يدي نائب البابا
- ٨٨ مطلب جسارته في سلوكه
- ٨٨ مطلب رفع دعواه الى غير كاتيجان
- ٨٩ مطلب اعانة منتخب سكس للراهب لوتير
- ٨٩ مطلب الاسباب التي حملت كاتيجان على ان يسلك مع لوتير ما سلكه اولا
- ٩٠ مطلب الحالة الخطرة التي كان عليها لوتير
- ٩٠ مطلب جمعية عمومية من القسوس
- ٩١ مطلب فرمان جديد لتأيد عادة الغفران وتعظيمها
- ٩١ مطلب كون موت الایمبراطور مكسيميليان من الامور التي اعانت لوتير
- ٩٢ مطلب تأخير الحكم على لوتير
- ٩٢ مطلب النسخ ببلاد السويد
- ٩٣ مطلب جسارة لوتير وتقدم مذهبه وازدياد قبول آرائه
- ٩٤ مطلب فرمان حرمان لوتير والحكم بكفره وطرده عن باب الكنيسة
- ٩٤ مطلب تأثير هذا فرمان في بلاد المانيا
- ٩٤ مطلب تأثير هذا فرمان في لوتير
- مطلب الحالة التي كان عليها النسخ حين دخول شراكان في بلاد المانيا
- ٩٥
- ٩٦ مطلب ملحوظات في شأن سلوك ديوان رومة
- ٩٧ مطلب سلوك لوتير

صحية

٩٩

مطلب الاسباب التي اعانت على تقدم النسخ

١٠٠

مطلب الشقاق الطويل الذي حصل مدة القرن الرابع عشر

١٠١

مطلب في الكلام على البابا اسكندر السادس والبابا جاليوس الثاني

١٠٢

مطلب فساد اخلاق القسوس

١٠٣

مطلب سهولة نيل الانسان العفو فيما جناه على نفسه كقتل او غيره

١٠٤

مطلب سعة ثروة الكنيسة وظلمها في المانيا

١٠٤

مطلب تغلب القسوس على بعض الاراضي

١٠٥

مطلب مزاي القسوس الذاتية

١٠٦

مطلب تغلب القسوس على الاحكام المدنية

١٠٧

مطلب خوف الناس من القسيسين

مطلب تحيل القسوس في تحصيل الوسائط التي يامنون بها على ما اثبتوه

١٠٧

لا تقسم من الحقوق والمزايا

١٠٨

مطلب القسوس الذين كانوا بالمانيا كان اغلبهم اجنبيا منها

١٠٩

مطلب كان قسوس المانيا ينصبهم البابا

مطلب الوسائط التي استعملت لتضييق دائرة شوكه البابايات ولم تكن

١٠٩

لهائمة

١١٠

مطلب بيع ديوان رومة للاقطاعات

١١١

مطلب كان ديوان رومة يستغرق اموال سائر الدول ويحوزها

١١١

مطلب مجموع نتائج هذه الاسباب السابقة

١١٢

مطلب استعداد الناس وصلاحياتهم لاتباع مذهب لوتير

١١٢

مطلب اختراع فن الطبع واعانتة على تقدم النسخ

١١٣

مطلب اعانة علم الاداب على تقدم النسخ

١١٨

مطلب مذكرة مشورة الديت بمدينة ورمس سنة ١٥٢١

١١٩

مطلب الزام لوتير بالحضور الى مشورة الديت

مطلب دخوله

صحيحة

- ١١٩ مطلب دخوله بمدينة ودمس
- ١٢٠ مطلب الامر الصادر بالقبض على لوتير
- ١٢٠ مطلب القبض على لوتير واخفائه في وارتنبورغ
- ١٢١ مطلب تقدم مذهبه
- ١٢٢ مطلب الامر الصادر من اونيورسيتة باريس بىطلان مذهب لوتير
- مطلب صنف الملك هنرى الثامن ملك الانكليز تأليفا يفسد وينقض به مذهب لوتير
- ١٢٤ مطلب رد لوتير
- ١٢٣ مطلب حالة المصالح بين شرلكان والملك فرنسيس الاول
- ١٢٤ مطلب انضمام هنرى الثامن ملك انكلترة للإمبراطور
- ١٢٤ مطلب ترددليون بين الحزبين
- ١٢٦ مطلب المشاركة المنعقدة بين البابا والايمبراطور
- ١٢٧ مطلب موت شيمورة وزير الايمبراطور ونديمه
- ١٢٨ مطلب بدء الحرب في مملكة نوار
- ١٢٩ مطلب تقدم فرنسا وية وظفرهم
- ١٢٩ مطلب دخول فرنسا وية في مملكة قسطنطية
- ١٣٠ مطلب هزم فرنسا وية وطردهم من مملكة نوار
- ١٣٠ مطلب ابتداء الحرب في مملكة البلاد الواطية
- ١٣١ مطلب محاصرة جيش الايمبراطور لمدينة ميزير
- ١٣٢ مطلب رفع الحصار
- ١٣٢ مطلب انعقاد جمعية الوزراء بمدينة كالس وتوسط ملك انكلترة في ذلك
- ١٣٣ مطلب اضاءة ثمر المداولة
- ١٣٣ مطلب عصبة الايمبراطور وهنرى ملك انكلترة على الملك فرنسيس
- ١٣٥ مطلب وقوع الحرب في ايطاليا

مطلبه

- ١٣٦ مطلب سامة اهل دوقية ميلان من حكومة فرنساوية
 ١٣٧ مطلب تخاصم البابا مع الملك فرنسيس
 ١٣٧ مطلب الحرب في دوقية ميلان
 ١٣٨ مطلب ظفر العساكر الايمبراطورية
 ١٤٠ مطلب تغلب جيش الايمبراطور على مدينة ميلان
 ١٤١ مطلب موت البابا اليون العاشر
 ١٤٢ مطلب انتخاب اديان للبابية
 ١٤٣ مطلب ابتداء الحرب ثانيا في دوقية ميلان
 ١٤٤ مطلب انهزام فرنساوية في واقعة بيكوك
 ١٤٥ مطلب طرد فرنساوية من دوقية ميلان
 ١٤٥ مطلب اخذ جنويرة من فرنساوية
 مطلب اشهار الملك هنري الثامن للحرب مع مملكة فرانسافي ٢٩
 من شهر ايار
 ١٤٥ مطلب ذهاب الايمبراطور الى انكلترة
 ١٤٦ مطلب دخول الانكليز في ارض فرانسوا
 ١٤٧ مطلب فتح السلطان سليمان جزيرة رودس
 ١٤٨ المقالة الثالثة من احواف ملوك الزمان بتاريخ الايمبراطور شرلكان
 ١٥٠ مطلب الحروب المدينة التي وقعت في مملكة قسطنطينة
 ١٥٠ مطلب قيام اهل طليطلة
 ١٥٠ مطلب قيام اهل مدينة سيغوية
 ١٥١ مطلب الوسائط التي استعملها اديان في معاقبة العاصين
 ١٥٢ مطلب طرد عساكره في مدينة سيغوية
 ١٥٣ مطلب طرد عساكره في مدينة دلكمبو
 ١٥٣ مطلب تسريح الكردي نال اديان للعساكر
 ١٥٤

مطلب مقاصد

ضعيفه

- ١٥٥ مطلب مقاصد الجمعيات البلدية في مملكة قسطنطينية ودعواها
- ١٥٦ مطلب معاهدة الجمعيات البلدية المشهورة بالمعاهدة والعصبة المقدسة
- ١٥٧ مطلب قبضهم على الملكة حاتنة ام الايمبراطور شرلكان
- ١٥٨ مطلب ادارة المملكة باسمها
- ١٥٩ مطلب تأسف الايمبراطور وروغمه
- ١٥٩ مطلب مادبره في شأن العاصين
- مطلب تقرير العصبة المقدسة المشتل على شكاويهم والمظالم التي يريدون رفعها عنهم
- ١٦٠
- ١٦٣ مطلب تولع العصبة بالحريه وغيرها عليها
- ١٦٣ مطلب سبب تكدر وطائفة الاشراف
- مطلب عدم تجاسر رسل العصبة على عرض التقرير الذي هم مبعوثون به الى الملك
- ١٦٤
- ١٦٥ مطلب مبارزة العصبة المقدسة
- ١٦٥ مطلب تسليح النواب والاشراف
- ١٦٦ مطلب عدم حزم سر عسكر العصبة وهزيمته
- ١٦٧ مطلب تصميم العصبة على رأيها الاول
- ١٦٨ مطلب ما فعلته العصبة لاجل تحصيل الدراهم
- ١٦٩ مطلب ضياع الزمن من العصبة لاشتغالها بالمداولة مع الاشراف
- ١٧١ مطلب غرور العصبة بسبب نجاحها في بعض وقائع هينة
- ١٧١ مطلب عدم سداد رأي العصبة
- ١٧٢ مطلب هجوم الاشراف على جيش العصبة
- ١٧٢ مطلب هزم الاشراف لجيش العصبة
- ١٧٢ مطلب قتل ياديله
- ١٧٣ مطلب انحلال حزب العصبة

صحيفة

- ١٧٤ مطلب مدافعة زوجة ياد يله عن مدينة طليطلة مع القوة والثبات
- ١٧٦ مطلب التناجيج المضرة التي نشأت عن هذا الحرب المدني
- ١٧٦ مطلب ازدياد العصيان في مملكة بلنسية
- ١٧٨ مطلب علامات الفتن في مملكة اراغونيا
- مطلب الفتنة الكبيرة التي حصلت في جزيرة مايورقه في ١٩ من شهر اذار سنة ١٥٢١
- ١٧٨
- ١٧٩ مطلب الاسباب التي منعت من اتفاق اهل اسبانيا
- ١٨٠ مطلب حزم الايبراطور في سلوكه وحمله على من عصاه من الرعايا
- مطلب سفر ادرين الى مدينة رومة وعدم تلقيه فيها مع الترحيب والاحترام
- ١٨٠
- ١٨٢ مطلب بذل ادرين جهده في تسكين قتل اوروبا ونشر رايات الصلح بها
- ١٨٤ مطلب عصبة جديدة مع الايبراطور على ملك فرنسا
- مطلب الاحتراسات التي استعملها فرنسيس ليقاوم اعداءه
- ١٨٣ ويسلم من مكرهم
- مطلب ضياع فائدة احتراساته بسبب كشف الفتنة التي كان الدوق بوربون
- ١٨٤ سر عسكر البرية يضرهم ناراها ميرا
- ١٨٤ مطلب مناقب هذا الامير
- مطلب اسباب غمه
- ١٨٥ مطلب مكاتبه السرية مع الايبراطور
- ١٨٦ مطلب كشف الفتنة وظهورها
- ١٨٧ مطلب التجاء الدوق بوربون لبلاد ايطاليا
- ١٨٧ مطلب اغارة فرنسا وية على بلاد ميلان
- ١٨٩ مطلب موت ادرين السادس
- ١٨٩ انتخاب كايان السابع في ٢٨ من شهر تشرين الثاني

مطلب عدم

مطبوعات

- ١٨٩ مطلب عدم نجاح الكردي نال ولسي في نيل منصب البابا
- ١٨٩ نغمه وحققه
- ١٩٠ مطلب حرب هنري في بلاد فرنسا
- ١٩٢ مطلب انتهاء الحرب
- ١٩٢ مطلب رأي البابا الجديد في ٢٧ شهر سباط
- ١٩٣ مطلب مبادرة جيش الامبراطور الى الحرب
- مطلب تأخير الحرب بسبب مكر العساكر وامتناعهم عن السير الى العدو
- ١٩٣ مطلب اضطرار فرنساوية الى ترك دوقية ميلان
- ١٩٤ مطلب موت الفارس بيار وانضمام جيش فرنساوية
- ١٩٥ مطلب تقدم النسخ في بلاد المانيا
- ١٩٦ مطلب ترجمة لوتير الكتاب المقدس
- ١٩٧ مطلب ابطال المواسم والمحافل الدينية في عدة مدائن
- ١٩٧ مطلب الوسائط التي استعملها اديان لينغ تقدم مذهب لوتير
- مطلب استدعاء مشورة الديينة المنعقدة في نورمبورغ بان نعقد مشورة قسيسية عامة لتتذاكر في ازالة اسباب الاعتزال
- ١٩٨ مطلب تحميل نائب البابا ومحاولته لاجل منع انعقاد تلك المشورة القسيسية
- ١٩٩ مطلب عرض مشورة الديينة على البابا جودولا مشتملا على مائة شكوى
- مطلب حاصل ما انخطت عليه الآراء في مشورة الديينة في ٦ من شهر اذار سنة ١٥٢٣
- ٢٠١ مطلب ما كان يلام اديان على فعله
- ٢٠١ مطلب الاحتراسات التي اتخذها كليمان لابطال مذهب لوتير
- مطلب مداولة نائب البابا في مشورة الديينة المنعقدة ثانيا بدينة نورمبرغ

صحيحة

٢٠٢

في شهر اسيوط سنة ١٥٢٤

٢٠٣

المقالة الرابعة من اتحاد ملوك الزمان بتاريخ الامبراطور شرلكان
مطلب آراء دول ايطاليا في شأن مصالح الامبراطور شرلكان والملك

٢٠٣

فرنسيس

٢٠٤

مطلب تصميم شرلكان على الهجوم على مملكة فرنسا

٢٠٥

مطلب دخول جيش الامبراطور في اقليم برونسة في ١٩ من شهر اب
مطلب ما اتخذته الملكة فرنسيس من الاجتراسات المبنية على الخزم

٢٠٥

والخذق

مطلب رفع جيش الامبراطور الحصار عن مدينة مرسيليا في ١٧

٢٠٥

من شهر ايلول

٢٠٦

مطلب اغترار الملك فرنسيس بهذا النجاح

٢٠٦

مطلب عزمه على الهجوم على دوقية ميلان

٢٠٧

مطلب اقامة امه نائبة عنه في المملكة مدة غيابه

٢٠٧

مطلب الحرب الحاصل في دوقية ميلان

٢٠٩

مطلب محاصرة فرنسيس لمدينة پاويا

٢٠٩

مطلب تشديده في تلك المحاصرة

٢١٠

مطلب مدافعة المحصورين

٢١٠

مطلب تخلي البابا عن الفريقين بموجب مشاركة عقدها

٢١١

مطلب انذار فرنسيس على مملكة نابلي

مطلب ما بذله كل من الامير سكيرا والامير دي بوربون من عظيم الجهد

٢١٢

والعزم

٢١٣

مطلب هجوم الجيش الامبراطوري على عساكر فرنساوية في ٣ من

٢١٣

شهر سباط

٢١٤

مطلب واقعة پاويا

مطلب انهمزام

مصحفه

- ٢١٥ مطلب انهزام جيش فرنساوية
- ٢١٥ مطلب أسر الملك فرنسيس
- مطلب حالة الايمبراطور حين وصلته الاخبار بنصرة جيشه في عشرة
- ٢١٧ من شهر اذار
- ٢١٧ مطلب مقاصده التي عزم عليها
- ٢١٧ مطلب غم اهالي مملكة فرانس
- ٢١٨ مطلب حسن سياسة النابتة في المملكة
- مطلب ما قام بنفس الملك هنري الثامن بسبب نصرة الايمبراطور في واقعة
- ٢١٨ ياويا
- ٢٢١ مطلب ما قام بنفس اهالي دول ايطاليا بسبب نصرة الايمبراطور
- ٢٢٢ مطلب قيام جيش الايمبراطور ووجهه عن الطاعة
- مطلب مذاكرة الايمبراطور فيما يكون به تحصيل فوائد جليلة من نصرته على
- ٢٢٢ الملك فرنسيس
- ٢٢٣ مطلب الشروط الصعبة التي طابها من الملك فرنسيس
- مطلب المشاركة المنعقدة بين مملكة فرانس ومملكة انكلترة واعانة هذا الملك
- ٢٢٥ للمملكة المذكورة
- مطلب القسنة التي اوقعها مورون لاعداد حكم الايمبراطور من بلاد
- ٢٢٥ ايطاليا
- ٢٢٦ مطلب مذاكرته مع الامير بسكير
- ٢٢٩ مطلب غدر بسكير بالتخليع مورون وقبضه عليه
- ٢٣٠ مطلب ما قاساه فرنسيس من سوء المعاملة في بلاد اسبانيا
- ٢٣١ مطلب اشراف فرنسيس على الهلاك
- ٢٣١ مطلب مقابلة الايمبراطور مع الملك فرنسيس في ٢٨ شهر ايلول
- ٢٣٢ مطلب وصول الدوق دي بوربون الى مدينة مدريد

مكتبة

مطلب جعل بوربون سر عسكر الجيش الايمبراطورى الذى كان يبلد

٢٣٢

ايطاليا

٢٣٣

مطلب المذاكرة التى حصلت فى شأن تخليه سبيل الملك فرنسيس

٢٣٤

مطلب حيرة الايمبراطور

٢٣٥

مطلب المشاركة المنعقدة بمدينة مدريد

٢٣٦

مطلب ما قارن هذه المشاركة من مقتضيات الاحوال

٢٣٦

مطلب انكار الملك فرنسيس للمشاركة المنعقدة سرا

٢٣٧

مطلب اقرار المشاركة ببلاد فرانس

٢٣٨

مطلب اطلاق الملك فرنسيس

٢٣٩

مطلب تزوج الايمبراطور بالاميرة ايرازيله البورغالية

٢٣٩

مطلب مصالح بلاد المانيا

٢٣٩

مطلب الحالة السيئة التى كان عليها الفلاحون

٢٤٠

مطلب عصيان الفلاحين فى سوابه

٢٤١

مطلب تسكين القننة السابقة

٢٤٢

مطلب القننة الحاصلة فى اقليم طورنجه

٢٤٢

مطلب ازدياد القننة الحاصلة باقليم طورنجه

٢٤٤

مطلب انهزام الفلاحين

٢٤٥

مطلب حزم لوتير وحذقه

٢٤٧

مطلب اخذ اقليم البروسيا من الطائفة التوتونيقية

٢٤٨

مطلب الاحتراسات التى اتخذها ملك فرنسا حين رجوعه الى مملكته

٢٤٩

مطلب العصبة المتحيزة على الايمبراطور

مطلب حكم البابا ببراءة ذمة الملك فرنسيس من اليمين التى حلفها أن يفعل

٢٥٠

بمقتضى المشاركة المنعقدة بمدينة مدريد

٢٥٠

مطلب تاسف الايمبراطور

مطلب طلب

- مطلب طلب الايمبراطور من الملك فرنسيس أن يعمل بمقتضى
المشارطة ٢٥١
- مطلب جواب فرنسيس للرسولين المبعوثين من طرف الايمبراطور ٢٥١
- مطلب تأهب الايمبراطور للحرب ٢٥٢
- مطلب ضعف همة المتعاهدين ٢٥٢
- مطلب حيرة اهالى بلاد ايطاليا ٢٥٤
- مطلب الاحتراسات التى صدرت من طرف الايمبراطور ٢٥٤
- مطلب تغلب حزب العائلة الكولونية على مدينة رومة ٢٥٦
- مطلب ازدياد جيش الايمبراطور ٢٥٦
- مطلب نقاد اموال الايمبراطور ٢٥٧
- مطلب اطلاق الدوق دى بوربون للاميرمورون ٥٧
- مطلب تفكر الدوق دى بوربون فيما ينبغي له فعله ٢٥٨
- مطلب توجه الدوق دى بوربون للهجوم على اراضى البابا ٢٥٩
- مطلب عصيان الدوق دى بوربون ٢٥٩
- مطلب دخول البابا وعدم تبصره ٢٦٠
- مطلب المشارطة المنعقدة فى ١٥ من شهر اذار بين البابا ونائب الايمبراطور
فى مملكة نابلى ٢٦٠
- مطلب عدم التفات دى بوربون الى هذه المشارطة ٢٦١
- مطلب قدوم دى بوربون الى مدينة رومة ٢٦١
- مطلب ما استعده البابا للمدافعة عن نفسه ٢٦٢
- مطلب الهجوم على مدينة رومة ٢٦٣
- مطلب قتل دى بوربون ٢٦٤
- مطلب نهب رومة ٢٦٥
- مطلب حصر البابا بقاعة سناتاج ٢٦٥

صيفه

٢٦٦

مطلب سلوك الاميراطور في هذا الخصوص

٢٦٧

مطلب دخول السلطان سليمان في بلاد البحار

٢٦٧

مطلب انهزام اهل البحار مع ملكهم

٢٦٨

مطلب انتخاب الامير فرديند ملكا

٢٦٨

مطلب تقديم النسخ في الدين وازدياده

هـ _____ ذ

كتاب اتحاد ملوك الزمان * بتاريخ الامبراطور شرل كان مصبوقا بمقدمته
المسماة اتحاد الملوك الالبا * بتقديم الجمعيات في اوربا منذ
انقراض الدولة الرومانية * الى اوائل القرن السادس عشر
من السنين المسيحية * ترجمه من اللغة الفرنساوية *
ونظمه في سلك التواريخ العربية * خليفة افندى
رئيس قسم ترجمة ادبيات بقلم ترجمة بدويان
المدارس المصرية * ادام الله ولي
النعم صاحب تلك الآثار *
وجعله وسلالته انصارا
لدولة العرفان
بامصار تلك
الديار
امين

(المجلد الاول)

(اتحاد ملوك الزمان)

تتمة
1955

1942



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اما بعد حمد الله الاول الاخر * والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله ذوى
المفاخر * فيقول مترجمه الفقير الى الله الودود * خليفة بن محمود * لما يسر الله
تعالى تميم اتحاد ملوك الالبا * بتقديم الجمعية لمت في بلاد اوروبا * وكل طبعه
باهر الخديوى الاكرم * ذى الفيض الاعم * وكان مقدمة لتاريخ الابرار طور
شركان استحسن ترجمة التاريخ باجمعه لما فيه من القوائد السياسية الزاهرة *
والفرائد البوائيقية الباهرة * بذلت الهمة في تعريبه * وتنقيحه وتهذيبه *
وازدادته ذيبا بما قبلته مع رب البلاغة والتدقيق * من اوفى في هذا الفن مقاييس
كنوز الحقيقة والتحقيق * حضرة رفاعة افندى فاخر قلم الترجمة والكتاب
المذكور في اللغة التي ترجمته منها اربعة مجلدات * نمرها مرتبة على عدد

(المقالة الاولى)

(بتاريخ الایمپراطور شرلکان)

٣

المقدمة من الكتاب فاقدمه اعنى اتخاف الملوك الالباء مرسومة بالجلد الاول والثاني هو اول مجلد من التاريخ ولكن بنا على ان المقدمة كتاب مستقل برأسه وان كان يتوقف عليها فهم تاريخ الایمپراطور شرلکان جعلت لمجلدات التاريخ المذكور فقرة مخصوصة كما حصل نظير ذلك في الكتب العربية القديمة من جعل المقدمة والذيل مستقلين برأسهما كمقدمة كتاب ابن خلدون وذيل تذكرة داود وسميته بالتخاف ملوك الزمان بتاريخ الایمپراطور شرلکان ونسأل الله التوفيق * والارشاد الى اقوم طريق

(المقالة الاولى)

ولد شرلکان بمدينة غنده في اربعة وعشرين من شهر اشباط سنة ١٥٠٠ مسيحية وهو ابن فيليبش لوبيل ارشديق اوسترسيا ابن الایمپراطور مكسميليان والاميرة مارية بنت كركوس لوهردي اخرا من آة عائلة بورغونيا ولم يكن له من الذرية غير هذه الاميرة وام شرلکان هي حانة بنت فردينند ملك اراغون وایراییله ملكة قسطنطية فبتداول عدة حوادث سعيدة مدة طويلة ورث شرلکان اراضي الترامية واسعة لم يملك على مثلها احد من ملوك أوروبا منذ زمن الایمپراطور شرلمان لان اجداده اكتسبوا بالوراثه ممالك واقاليم عظيمة وان كانت اسباب ميراثهم فيها واهية بعيدة جدا وكان لا يخطر ببال احد ان الاراضي الواسعة التي كانت للاميرة مارية البورغونية تنتقل ذات يوم الى عائلة اوسترسيا لان اباهما كان قد وعد بها ان يزوجهما ابن لويز الحادي عشر ملك فرنسا الذي لم يكن له غيره لكن ابی لويز المذكور ذلك لما انه كان مستهجن الطبع وكان يكره عائلة بورغونيا ورأى ان اخذه لبعض اراضي الاميرة مارية بطريق القهر والغلبة اولي من اخذها كالم بواسطة الزوجية فصارت عاقبة ذلك عاقبة سوء وشوم لذريته حيث ترتب عليه ان صار ملكة البلاد الواطية وبلاد الفرنسقية بين ايدي خصمه واما الملكة ايراییله بنت حنا الثاني ملك قسطنطية فكان يستعبد عليها

سنة ١٥٠٠

ولادة شرلکان

مطلبه

اصل اراضيه وعماله

سنة ١٥٠٠

انها سترث الممالك الكبيرة التي آلت اليها فيما بعد وورثها عنها حفيدها شرلكان لانها قضت اوائل عمرها في الفاقة والحوول لكن لما غضب اهل قسطنطينية من اخيه الملك هنري الرابع لما انه مع مخافة عقله في الادارة والتدبير كان شقيا طاعيا زعموا انه عني لا قدرة له على الجماع واتهموا امراته بالزنا فبعد موته طرد القسطنطيون بنته حانه عن الكرسي الملوكي وجبروها على الارتحال الى بلاد البورتغال وولوا عمتها ايرابيلة عليهم مع ان هنري الرابع لم يرزل ينفي ما اتهمت امراته به ويعترف بان حانه بنته من صلبه الى ان حضرته الوفاة بل عقد في هذا الشأن مشورة وكلاء المملكة وحكم اربابها بانها هي التي ترث ملكه من بعده

واما السبب في استيلاء فردينند على تاج مملكة اراغون فهو موت اخيه الاكبر فجأة فلما صار ملكا على اراغون بعد موت اخيه المذكور هتك حرمة المشارطات وحقوق القرابة وتغلب على مملكتي نابلي وسيليا وزيادة على ذلك استكشف الماهر كرسنوف كولومب بقبح فكرته وبهمته وجسارته في سعيه السعيد الذي هو اعظم سعي ذكر في التواريخ البشرية الدنيا الجديدة (وهي بلاد امريقة) فانضمت الى الممالك السابقة وصارت تحت حكم فردينند ولا شك ان محصلات امريقة كانت من اعظم الوسايط التي كان بها بأس ملوك اسبانيا وازدياد صولتهم

فلما رأى فردينند وايرابيلة ان ابنهما الامير حنا الذي لم يكن لهما غيره من الذكور وبنتهما البكرية مملكة البورتغال قد نشبت بهما اظفار المنية في عنفوان شبابهما تعلقت امالهما ببنتهما حانه ام شرلكان وقصر ارجاءهما عليهما وعلى ذريتهما لما كان الارشدوق غريبا عن اسبانيا واجنبيا من اهلها استصوب الملك فردينند وزوجته ايرابيلة ان يحضرا الى اسبانيا ليقم بين اهلها ويتعلم شرائعهم ويتعود على اخلاقهم حيث انه معد لان يصير ذات يوم ملكا عليهم وله هو وزوجته حانه حق في ولاية العهد لا تمنعه مشورة القورطس التي كان لها حينئذ صولة عظيمة

فوجهه فيليبش ابني شرلكان وحانية امه الى بلاد اسبانيا

سنة ١٥٠٢

في مملكة اسبانيا بحيث كان لا ينقذ حكم ولا يثبت لاحد حق في التاج
الابراء تلك المنسورة وقدمت فيليبش وامراته بمملكة فرانسوا وهما
ذاهبان الى اسبانيا فتلقيا فيها بغاية الترحيب والاحترام واكرما الاكرام التام
واذعن فيليبش الملك فرانسوا لور الثاني عشر بالانقياد والطاعة
فيما يخص قوتية العنك وعد في مجلس برلمان مدينة باريس من
جملة وجاق البير (اي رجال المملكة) ولما وصل الى اسبانيا تلقيا مع
احتفالات التشريف الجديرة بان يضعها الملوك لابنائهم ومع غاية التعظيم
والتبجيل من الرعايا وعماقيل ثبت لهم ما حق ورائه ناجي مملكة قسطنطية
ومملكة اراغون باقرار وكلاء اهالي هاتين المملكتين

مطلبه
غيرة فردينند من فيليبش

ولكن مع هذه المسار الظاهرة كان كل من الامير فيليبش والملك فردينند
في عذاب اليمن من الغم الذي كان يغلي في بطونهما كغلي الجيم اما غم فيليبش
فلان رسوم ديوان اسبانيا وعوايده كانت صعبة متكلفة فلم يمكنه تحملها
ولم تنطقه انفسه لانه كان صغير السن حلیم الطبع لين الجانب يحب مجالس الانس
والخلاعة وانواع المسرات فلم يكت مدة الا واطهر القلب وعزم على الرجوع الى
اصل غرسه ومسقط رأسه لما ان اخلاقه وعوايده تلایم طبعه اكثر من اخلاق
اهل اسبانيا وعوايدهم واما غم الملك فردينند فلان صحة المملكة
ايراييله زوجته كانت دائماً في الضعف والتناقص وكان يعلم انه بعد فقدتها
لا يبقى له حق في حكومة مملكة قسطنطية وكان قد ظهر له من حال الامير
فيليبش انه متشوق جد الحكم ومنتظر وقته مع التلق والجزع فكان يخشى
ان هذا الامر بعد فقد ايراييله لا يرضى ان يتزل له شيئاً في حكومة قسطنطية
ولما كان في ذلك نقص اشوكتة ومما لكان طمعا عارضا صار معذبا به
في جميع اوقاته

مطلبه
حيرة الملكة ايراييله
والا مهمان اجل بنتها

واما الملكة ايراييله فكانت لا تنها لها عيشة بسبب بنتها حانه لما ان
زوجها فيليبش كان يحقرها ولا يحبها اذ كانت خالية عن جميع المحاسن
الحسية والصفات الحميدة المعنوية التي تستميل بها المرأة قلب زوجها وكانت

بالطبع سخيفة العقل فكانت عرضة لنبل متواضع وكانت تحب زوجها
 فيليبس حباً شديداً وتود المودة التامة وهو يبغضها حيث كان حبها فيه
 يلجأ إلى فعل أمور يسأم منها وكانت غيرتها الشديدة عليه تقضى بها إلى
 ما بعد من الجنون وإن كانت معذورة في ذلك وكانت أمها إيزابيل لا تنكر
 عيوبها إلا أنها كانت تتأسف كثيراً على حالها المحزن وعملاً قليل زاد حزنها
 واشتدت آلامها حين عزم زوجها فيليبس في فصل الشتاء أن يسافر
 إلى البلاد الغلظت ويتركها في بلاد إسبانيا فجعلت أمها إيزابيل تحاول
 بلا طائل تغيير مقصده وتخبّره بأن زوجته حاته قد قرب وأن وضعها وإذا
 تركها كثيرة حزينة من بعده تكون عرضة لخطر عظيم وتضرعت إليه
 زوجته نفسها طالبة منه أن يؤخر السفر ولو ثلاثة أيام لتخطي بانه مدة
 عيد الميلاد وكذلك الملك فرديناند أبى له أنه ليس من الحزم والاصابة
 ارتحاله عن إسبانيا قبل أن يعرف أخلاق أهلها ويستميلهم إليه حيث أنه
 سيصير ذات يوم ملكاً عليهم ولكن كان فيليبس معه ما كل التصميم على
 ما عزم عليه فلم يصغ لقول أحد منهم فعند ذلك أوصاه فرديناند أن لا يمر
 في سفره بملكمة فرانسوا حيث كانت وقتئذ في الحرب مضطربة بينها وبين
 إسبانيا فسافر فيليبس إلى البلاد الواطية في ٢٢ من شهر كانون
 الاول ومضى في سفره بملكمة فرانسوا ولم يلتفت لما يقتضيه الحزم والمرؤة حيث
 خالف وصية فرديناند بمروره بالملكمة المذكورة ولم يرث لحال زوجته
 فلما سافر وترك زوجته حاته صارت في احزان واشجبان اورثها
 ما ليخوليا شديدة بحيث كان لا يمكن أن تنسلي بشئ بعده وفي أثناء ذلك
 وضعت فرديناند وكان ثانياً ولد حملت به فصار اعلان السرور والفرح
 بولادة هذا الأمير في جميع بلاد إسبانيا كل ذلك ولم يحصل لامه فرح بولادته
 لأنها كانت لا تتأثر بشئ من المسرات ولا ترغب إلا في اجتماعها بزوجها
 ولم يحصل لها راحة وأمن كالم يسكن عقلها إلا بعد أن اجتمعت به في العام القابل
 بمدينة بروسيه

مطلبه
 ولادة فرديناند الذي
 صار إمبراطوراً فيما
 بعد

سنة ١٥٠٤

ولما فرغ فيليبش في سفره بمملكة فرانساجتمع بملكها لورال الثاني عشر وعقد معه مشاركة امل بها فاض المشاجرات الحاصلة بين فرانساجاسبانيا ولكن لما كان لاهل اسبانيا وقتئذ عظيم بيلاد ايطاليا حيث كان لهم فيها الماهر غونسلود وكوردو وكان دائما ينتصر على الفرنسيين ويضعف قواهم حتى سمي بالسردار الاعظم لم يعبأ فردينند بالمشاركة التي عقدتها زوج بنته مع ملك فرانساجاستمر الحال على ما كان عليه بل ازدادت نيران الحروب بين الفريقين

ومن وقتئذ لم يظهر ان فيليبش تصدى الى الدخول في مصالح اسبانيا في شيء بل جعل ينتظر بدون سعي موت فردينند اوزوجته ايرانيه ليجلس على كرسى من يموت منهما فلم تمض عليه مدة طويلة الا وبلغ مرامه وذلك لان موت اولاد ايرانيه الذي ادركهم في زمن صباهم وربعان شبابهم اودع في قلبها من الكآبة والحزن ما لا يطاق فكانت اولاد تتسلى بينها حانه واولادها فلما رأت ان صحة بنتها آخذة دائما في التناقص والضعف وان زوجها لا يرافها ولا يودها ولو في الظاهر تراكت عليها المهوم واشتد بها الحال واخذت قواها تضعف شيئا فشيئا حتى ماتت بعد شهر وقليلة بمدينة المادندل كمبو في السادس والعشرين من شهر تشرين الثاني سنة ١٥٠٤ من الميلاد وكانت هذه الاميرة مشهورة بالفضائل والمعارف فهي جديرة بما اتى به عليها مورخو اسبانيا من الثناء الجميل سواء كان ذلك بالنظر الى وصف كونها ملكة اوزوجة او والدة بمعنى انها كانت موفية بما يجب على النساء لازواجهن والمولود لراياهم والامهات لاولادهن

وقبل موتها عدة كتبت وصيتها وذلك لانها لما كانت تعلم ان بنتها حانه لا يمكنها ان تملك زمام مملكة قسطنطية وكانت تاتي تقسمها ان تعطيها الامير فيليبش لانها ماتت مغضبة منه او صحت لزوجها ان يقوم بادارة المملكة المذكورة على سبيل النيابة حتى يبلغ سبطها كرلوس احد العشرين واوصت له ايضا بنصف الايرادات التي تأتي من الهند وبالرياسة على الطوائف العسكرية الثلاثة وهو

مطلب

ايضا ايرانيه لزوجها فردينند بان يكون قويا على مملكة قسطنطية

سنة ١٥٠٤

مطلب
اقرار فردينند على نيابة
مملكة قسطنطية

منصب يكسب صاحبه السطوة والصولة العظيمة حتى يكاد يجعله قائما بنفسه
فن ثم اضافته ايراييله الى المنصب الملوكي وجعلته من خصوصيات الملك
ولا يمكن قبل ان تضع امضاءها على الوصية اخذت على فردينند ميثاقا
ان لا يبحث بواسطة زواج او نحوه عما فيه حرمان بنتها حانه وذريتها من
شي من ممالكها

وعجرو موتها خلفها فردينند ولقب ملكا على قسطنطية واعلن ان
حانه وزوجها فيليبش هما اللذان لهما الحكم الحقيقي على هذه المملكة
واما هو فليس ملكا عليهم الا بطريق النيابة واقرت ذلك مشورة وكلاء المملكة
لكن بعد التوقف والصعوبة بسبب بغض اهل قسطنطية واهل اراغون
لبعضهم نعم انهم مكثوا قبل ذلك نحو ثلاثين سنة وهم في الاتحاد والائقة الا ان
البغضاء والعداوة التي بينهم من قديم الزمان كانت لم تزل في قلوبهم حتى ان اهل
قسطنطية منعهم كبرهم وتعاطفهم ان يتقاد والحكومة ملك اراغون
وابوا ان يتوجوا فردينند بتاج مملكتهم وزيادة على ذلك كانوا يعرفون
اخلاق فردينند حق المعرفة فراؤا انه لا يصلح ان يكون ملكا عليهم وذلك
انه كان كثيرا الوسوسة سئ الظن ينظر في عواقب الامور ويسلك في امور سبيل
الجد والصعوبة والاقتصاد المفرط حسودا ولوعلى سفاسف الامور يجازي
صاحب العمل الجليل بالقليل فكثيرا ما كان يتأسف اهل قسطنطية على فقد
ملكهم ايراييله لانها كانت لينة العريكة حليلة الطبع ترقق بهم وتجههم
فكانت غالبا تلطف باخلاقها الجميلة شراسة اخلاق زوجها ومن المعلوم ان
فردينند كان مذهبه في ادارته واحكامه الاجفاف بالا كبر والامرأة فكثيرا
ماسعى مع الاجتهاد في اضعاف شوكة الاشراف الخارجة عن الحد وتقوية
الشوكة الملوكية وطالما اخذ بناصر كل تابع تعدى عليه ملتزمه او سيده
وزاد في مزايي المدن وخصوصياتها فبهذه الاسباب كلها تعصب عليه حزب
عظيم من اهل قسطنطية ومع ان هذا الحزب لم يصل خروجه الى حد الفتنة
واقعيام عليه الا ان فردينند كان يتيقن انه لو حصل لهذا الحزب ادنى

تخريص من الملك الجليد الذي هو فيليبس لكانت عاقبته عليه سنة
منشومة

وقد وقع الاضطراب ايضا في البلاد الواطية حين وصل اليها خبر موت الملكة
ايرازيله واستيلاء زوجها فردينند على حكومة قسطنطية لان فيليبس
لم يكن عنده صبر ولا تجلد حتى يطبق ما فعله الملك فردينند من تغلبه على
ملكه قسطنطية طمعاً من غير ان يكون له فيها حق فكان يزعم فيليبس انه ان
كانت الاميرة حاتة بنت ايرازيله لانصلح ان تكون حاكمة على مملكة
قسطنطية لضعفها عن الادارة بسبب ما هو قائم بها من الداء العضال كان له
الحق في النيابة عنها لانه زوجها وان لم يكن ذلك ايضا لكرلوس لكونه قاصراً
فله ايضا الحق في النيابة عنه لانه والده ووصيه بالطبع فعلى كل حال ينبغي
ان لا يستولى غيره على المملكة ولا يخفى ان الوصية التي كتبها ايرازيله قبل
موتها لا تكن في نقض هذه الحقوق الاكيدة الشرعية لاسيما ولم يقع الاتفاق
على صحتها لانها من باب الافتيات والتعدي وقد وافق ذلك حصول حادثة
حملت فيليبس على التميم على تخيير غرضه وهي حضور حنا منويل
عنده وذلك انه كان الجياع من طرف فردينند في ديوان ايمبراطور النمسا
فلما اخبر بموت الملكة ايرازيله سار الى مدينة بروكسيلة مؤملاً ان يكون
له ديوان ملك شاب سخي من نفوذ الكلمة والرفعة ما لا يمكنه ان يطمع في نواله
بديوان شيخ بنجيل كفردينند وكان فيليبس مدّة مكثه يملاد اسبانيا قد
استمال اليه هذا الامر الذي نشأ في ديوان فردينند وتمكن من معرفة ادارة
المصالح فكان في وسعه معارضة مقاصد فردينند وسياسته بمعارف
وحيل ليست دون معارف فردينند وحيله فانخطر رأي منويل
المذكور على ان يبعث رسالا الى فردينند ليلزمه بالذهاب الى مملكة
اراغون وبسبب مملكة قسطنطية الى من يختاره فيليبس ويخصه
بالنيابة عنه حتى يذهب بنفسه ويجلس على كرسيها وجعل فيليبس حينئذ
يستميل عقول اشرف قسطنطية الذين كانوا في غيظ كبير من الملك فردينند

مطلب

سعى فيليبس في الاستيلاء
على حكومة قسطنطية

مطلب

بعث فيليبس الى فردينند
أن يسلم مملكة قسطنطية
ويذهب الى مملكته

ويحرضهم ويحثهم كل الحث على العصيان والخروج عليه وعقد ايضا مع
لوير الثاني عشر ملك فرنسا مشاركة معتقدا انه بذلك يستميل قلب هذا
الملك فيعينه على مشروعاته

هذا ولم يبق طريق الاوسلكه فردينند لاجل ابقاء نفسه ملكا على
قسطيلة فاتخذ له امينا من اشرف اراغون يسمى كونسيلوس
واناطه بنقل المراسلات السرية بينه وبين بنته حانة ولما كانت ضعيفة العقل
قليلة الحيلة بلغ هذا الامين منها أن كتبت لابنها فردينند واقربه على
النيابة على مملكة قسطيلة ولم يكن لم تحف هذه الدسيسة على الامير
منويل لحذقه وفراسته فقبض على مكتوب الاقرار الذي كتبه حانة
ووضع كونسيلوس في دياس مظلم وسجنت حانة في جهة من القصر
ومنع خدمها الاسبانويون ان يدنوا منها

فلما رأى فردينند ما حصل من كشف ممره لحقه غم شديد وازداد ذلك
بما عايناه من نجاح الرسل المبعوثين من طرف فيليبش الى قسطيلة
حيث ان بعض الاشرف احتجب وتحصن في قصوره وبعضهم احتجب
في مدائن التي له فيها شوكة وشؤذ كلمة ونعصبوا فيما بينهم على فردينند
واخذوا يجمعون اتباعهم حتى خلى ديوان فردينند عن الاهل ولم يبق
فيه من الاعيان الا اكريمينيس ودوق البه والملازم دوريه بخلاف بيوت
رسل فيليبش فلا زال يتوارد عليها كل يوم اكابر الاشرف واعيانهم فلما
تخلى جميع الناس عن فردينند ولحقه الخزي من كونه رأى الامير منويل
مع صغر سنه قد تمكن بسياسته من افساد حيله وتديره غضب غضبا شديدا حتى
هتك حرمة النواميس الطبيعية الرابطة بين الآباء وابنائهم وخلع برقع الحياء
فعزم على حرمان بنته حانة وذريتها من تاج قسطيلة حيث رأى ان
ذلك اولى عنده من خلعه بهذه المثابة عن نيابة تلك المملكة وهذا المقصد
وان كان قبيحا في ذاته صعب التحيز الا انه صمم على تتيمة فطلب ان يتزوج
بالاميرة حانة بنت الملك هنري الرابع مع ان الملكة ايزابيلا كانت

مطلب
تخلى اشرف قسطيلة
عن الملك فردينند

لم ترث كرسى قسطنطينة الابعد ادعاء اهل تلك المملكة ان هذه الاميرة متولدة من الزنا وانه لاحق لها في المملكة لكونها ليست بنت هنرى المذكور فظن فرديند انه ان تزوج بهذه الاميرة التى حاربها سابقا بنفسه مع جيوشه يمكنه ان يحى حقوقها فى مملكة قسطنطينة ويعود الى الاستيلاء عليها الا ان ايمويل ملك البورنغال الذى كانت حانة المذكورة قاطنة ببلاده وكان متزوجا باحدى بنات الملك فرديند والمملكة ايرايبل لم يقر هذا النكاح حيث انه فى غير محله خصوصا وحانة المذكورة بنت هنرى مكثت مدة طويلة مترهبة فى دير فزالت من قلبها علائق الدنيا ودواعى المعالى والفخار فاطهرت انه لا حاجة لها بمثل هذا الزواج

ومع ذلك فبعد ان ايس فرديند من تنفيذ ما طمع فيه وجد وسائل جديدة تعينه على تجميع مقصده الذى صمم عليه فبعد ان خاب سعيه بمملكة البورنغال جعل مملكة فرانس مطمح نظره وطلب ان يتزوج بالاميرة جرمين روفواكس بنت الويقونته دوناربون والاميرة مارية اخت الملك لويز الثمانى عشر وكان الحرب الحاصل وقتئذ فى نابلى بين لويز المذكور وفرديند مشؤما على لويز فسر لما طلبه فرديند وبادر بقبول هذا الامر حيث انه يكون به عقد الصلح على وجه لطيف لا يخل بمقامه هذا ومع ان فرديند كان بمكانته من الكياسة والحزم بحيث لم يفقه فى ذلك احد من الملوك لانه كان يؤثر الاسباب السياسية على الاغراض التى تدعو اليها نفسه ولا يتصدى لمقصد سوى له آماله الابعد الوقوف على حقيقته ومعرفة عاقبته كان غضبه شديدا من صهره فيليبس حتى انه لاجل ان يفصل عنه حليفه لويز الثمانى عشر ويخلعه عن كرسى اراغون عزم على تمزيق اسبانيا وتقسيمها الى عدة ممالك كما كانت قبل ذلك مع ان انضمامها الى بعضها وجعلها مملكة واحدة هو الذى اشتهر حكومته واكسبه الفخار وكان مطمح نظره ورضيت نفسه ان يعيد الى اشراف نابلى الذين هم من احزاب الفرنساوية جميع املاكهم ومن اياهم وعرض نفسه للسخرية والاستهزاء

مطلبه
زواج فرديند بنت
اخت ملك فرانس

سنة ١٥٠٤

حيث تزوج مع كبرسنه بنتا لم تبلغ من العمر الا ثمانى عشرة سنة فتأثر الامير فيليبش من هذا النكاح تأثرا شديدا حيث فصل عنه حليفه لور الثاني عشر ولم يكن له حليف سواه فخشى ان يترتب على ذلك حرمانه من ممالك اسبانيا العديدة فعند ذلك رأى الامير منويل انه يلزم المبادرة الى سلوك طريقة اخرى فى شأن قسطنطينة فارسل اعلاما جديدا الى رسل القلمك الذين كانوا يدبوان اسبانيا وامرهم ان يخبروا فردينند بان اميرهم فيليبش له رغبة عظيمة فى ان يبطل بالقي هي احسن ما بينهما من المشاجرة ويرضى بقبول كل شرط يعرض عليه لتجديد المحبة التى ينبغى دوامها بين الاصهار ولم يسبق لاحد من الملوك انه عقد او نقض من المشارطات اكثر من الملك فردينند الا انه كان يصدق الغير ولا يمتنع ابداعا عن استماع ما يعرض عليه فخرج من غير توقف الى قول رسل فيليبش وعقد بعد ذلك بمدة قليلة فى مدينة سلمك مشارطة بها حصل الاتفاق على ان ادارة مملكة قسطنطينة تكون باسم الاميرة حانة وزوجها فيليبش والملك فردينند وان ايرادات المملكة ومحصولات المناصب تصكون بالمناصفة بين فردينند وفيليبش

مطلب
المشارطة التى حصلت
بين فردينند وفيليبش
فى ٢٤ من تشرين
الثانى

ولكن كان فيليبش فى الباطن لا يعتبر هذه المشارطة الا آلة يتوصل بها الى ما آربه وبعد ذلك يبادر بنقضها فكان قصده بها مشاغلة فردينند حتى يمكنه ان يسافر الى بلاد اسبانيا من غير ان يتصدى فردينند لمنعه ويسد السبل امامه وقد شجع بهذه الحيلة وبلغ ما آربه وذلك ان فردينند مع ما كان عليه من الحزم والتبصر مكث مدة وهو لا يخطر بباله مقصد صهره فيليبش وبمجرد ما اخبر به طلب من ملك فرنسا ان يحسن للامير فيليبش العدول عن هذا السفر بل ويرزعه عنه بالتهديد والتخويف وطلب ايضا من دوق غولدره ان يشن الغارة على دوله التى بالبلاد الواطية ليشغله عن السفر ولكن جميع هذه الاحتراسات لم تمنع فيليبش وزوجته حانة عن السفر فصارا فى دونما كبيرة واخذاهم مطافئة كبيرة من العساكر البرية الا انه

مطلب
سفر فيليبش وزوجته
حانة الى بلاد اسبانيا
سنة ١٥٠٦

سنة ١٥٠٦

في اثناء السفر هبت عليهم ارياح عاصفة حملتهما على ان يرسوا ببلاد انكلترة فجعل فردينند يترجى ملكها هنرى السابع حتى حجزها عنده اكثر من ثلاثة اشهر وبعد ذلك رخص لهما في الرحيل فساfera من غير ان يحصل لهما عائق يمنعهما في ٢٨ من شهر ابريل حتى وصلا سالمين الى قورون في غابسة فلم يتجاسر فردينند على ان يجند الجنود ليجنهم ما عن الخروج من السفن كما كان مصمما عليه

مطلب

ميل اشراف قسطنطية

الى حزب فيليبش

وكان اشراف قسطنطية الى ذلك الوقت لم يتجاسروا على افشاء ما في ضميرهم فعند وصول فيليبش اليهم انضموا الى حزبه وصاروا ياتون اليه من اطراف المملكة وارجاباها وهرع اليه من سائر مملكة قسطنطية الاكابر والمتمزومون مع اتباعهم ليدخلوا في خدمته وانعقدت مشورة حكم فيها ببطلان المشاركة التي حصلت في سلمك واتفقت الاراء على طرد فردينند من مملكة قسطنطية حيث رضى بانفصالها عن مملكتي اراغون ونابلي لان ذلك يدل على انه لا يرغب فيما فيه مصلحتها وراحة اهلها فلما تخلى جميع القسطنطينيين عن فردينند وخرجوا عليه صار متخيرا ما بين ترك حكومة قسطنطية بدون حرب وشقاق واشهار الحرب لنزعها من خصمه فاعرض للامير فيليبش انه يريد مقابله ليتفاوضا في هذا الشأن والحق عليه في ذلك فلم يبلغ مرامه لان الامير منوبل كان يمنعه من ذلك وكان فردينند يرى ان حزب فيليبش دائما في الازدياد فعلم انه لا طائل في التصدي الى مقاومة احزابه التي كانت كاسيل العرم فعقد مشاركة جديدة مضعونها انه يتخلى للامير فيليبش عن نيابة قسطنطية ويذهب الى مملكة اراغون التي هي وراثيته ولكن تبقى له الرئاسة على الطوائف الثلاثة العسكرية ولا يحرم ايضا من اليراد الذي اوصت به زوجته ايرابيلة له قبل موتها فلم يظهر حينئذ دواعي يستدعي مقابلتهم بالعضهما ولكن لما كان الملايم للمرأة والانسانية مقابلتها لان فردينند كان يرغب في ذلك كل الرغبة ذهب فيليبش الى المحل المعقد بينهما للمقابلة في رونق ومحفل عظيم من اشراف قسطنطية واعيانها واطافة

مطلب

تخلى فردينند عن نيابة

قسطنطية وذهابه الى

مملكة اراغون في ٨

من شهر حزيران

سنة ١٥٠٦

كبيرة من العساكر المسلحة واما فردينند فذهب ولم يكن معه الا بعض خدم
لا سلاح بأيديهم فاخذ منويل حينئذ يباهى فردينند ويقتر عليه
بما اكتسبه في خدمة فيليبش من الشوكه والصولة والحظوة عنده فلحق
فردينند من ذلك الخزي بين اهل قسطنطية الذين كانوا رعيته سابقا وصارت
نفسه تكابد ألمين شديدين لا يطيق تحملهما ملك طماع مخادع مثله احدهما
هو انه مع كبر سنه وخبرته ومكانته من السياسة والحزم ظهر عليه مثل هذا
الشاب الصغير وخطه عن درجته وافسد عليه ما دبره والثاني هو ضياع ممالكه
منه

وبعد ذلك بمدة قليلة سافر فردينند الى مملكة اراغون وكان يامل ان
يساعده الذهب في رجوعه لمملكته على قسطنطية فاشهد بعض الناس سرا على
بطلان المشاركة التي انعقدت بينه وبين صهره فيليبش واقرباؤها قد انعقدت
كرها فتكون لغاة لا اعتداد بها

شهرتوز

فاستولى فيليبش على مملكته الجديدة مع السرور الذي يحصل عادة
للشبان من مثل هذا المنصب واما زوجته حانة سبعة البخت التي كانت
سببها في تلك السعادة فمضت عليها مدة هذه المنازعات وهي في عذاب اليم
وكره عظيم من الماخيوليا التي كانت قائمة بهم افكان لا يؤذن لها في الخروج بين
الناس الا نادرا حتى ان اباهما فردينند طلب ان يراها فلم يمكنه وكان قصد
زوجها فيليبش ان ارباب مشورة وكلاء المملكة يحكمون بانها لا تصلح
للعلم حتى لا يشركه احد في مملكة قسطنطية الى ان يبلغ ابنه كرلوس رشده
ولكن لم ينجح في هذا القصد لما ان اهل قسطنطية كانوا يحبونها اذهى بقية
عائلتهم الملكية الاصلية نعم قد امكن للامير منويل بسياسته وحزمه ان
ياخذ بعقول بعض الناس من ارباب المشورة التي انعقدت في مدينة
ولادوليد وكان هنالك اناس آخرون مستعدون لتنفيذ مقاصد فيليبش
ولكن لم يرض جمهور ارباب تلك المشورة باقراره على ذلك لما انهم كانوا يعدونه
نقصا في حق عائلتهم الملكية فحكموا بان المملكة تكون لكل من فيليبش

مطلب

اقرار مشورة وكلاء

المملكة فيليبش

وزوجته حانة على

حكومة مملكة قسطنطية

سنة ١٥٠٦

مطلبه —

موت فيليبش في ٢٥

من شهر ايلول

مطلبه —

ازدياد اختلال عقل حاتة

وزوجته حاتة وان ابنهما كرلوس يكون اميرا على اقاليم اسطوري ولم يكن لفيليبش من الحوادث السياسية الشهيرة سوى هذه الحادثة وبعدها انهمك على الشهوات واللذات فاصابته حتى شديدة مات بها وكان في عمره الثمانية والعشرين فلم يخط ثلاثة اشهر كاملة بالم نصب الملوك الذي شمر عن ساعد الجدي في طلبه وتحصيله

وبموته صارت مملكة قسطنطية لزوجته حاتة لا يشركها فيها احد ولكن حصل لها تاثر من موته اوجب خلل عقلها وصارت لاتصلح بالكلية لادارة المملكة رأسا فكانت لاتسارق فراش زوجها مدة مرضه ولم يمكن باى وجه ابعادها عنه ولوطرفة عين مع انها كانت حاملا في ستة اشهر وعند خروج روحه لم تدمع عينها ولم تتأوه ابد ابل كانت آلامها خفية وكاتبها باطنية لاتظهر عليها ولم تزل عاكفة على جثة فيليبش وتنتظر اليه بعين الشفقة والرافقة كما لو كان حيا وبعد ان اذنت بدفنه ودفن اخرجته من القبر وحملته الى قصرها ووضعت على سرير نفيس مكسو بحلل فاخرة بهية من انواع الحرير والديباج لانها كانت سمعت في حكايات بعض الرهبان والقسوس ان بعض الملوك حلت في بدنه الحياة بعد موته باربعة عشرة سنة فكانت دائما تشخص البصر الى جسم فيليبش مترتبة الوقت السعيد الذي تعود فيه اليه الحياة واغرب من ذلك انها كانت تغار عليه وهو ميت كما في حال حياته فكانت لاتأذن لنساء يتنهنهن ان يقربن من فراشه واما النساء الاجنبيات فكانت لاتأذن لهن في الدخول الى الجهة التي بها جثته حتى انها عند وضعها لم ترض بان يدخل بعض القوابل لاجل مساعدتها على الولادة مع ان هذه القابلة قد اتخبت قصدا من المجاوز فوضعت الاميرة كاترينة من غير مساعدة احد غير خدمها

ومن المعلوم ان المرأة اذا كانت بهذه المثابة لاتصلح لادارة مملكة عظيمة كمملكة قسطنطية وزيادة على ذلك كانت لاتنفك تنتحب على زوجها وتدعوه بالرحمة حتى كانت ترى انها لو التفت لمصالح الدولة لما وفت بما يجب عليها فابت ان

تقوم بتدبير المملكة ولغيرتها لم نطق ان تقيم لها وكيل على المملكة يقوم بمصالحها وادارة امورها فصار رعاياها يتضرعون اليها كل التضرع في ان تقيم لها وكيل او تضع امضاءها على الاوامر اللازمة لاجراء القوانين ونشر الامن والاطمئنان في المملكة فابت ان تفعل شيئا من ذلك

فصار اهل قسطنطينية في حيرة عظيمة حيث انهم عند جنون ملكهم كان ولدها كرويس لم يبلغ سن الرشده حتى يقيموه محلها فراءوا انه لا بد من اقامة وكيل على المملكة يقوم بامورها لكن لم يجدوا في اشرف قسطنطينية احدا افضل شهر في المعارف والحزم حتى يكون جديرا بان يدعى الى هذا المنصب الجليل فتعين عندهم للقيام به الملك فردينند او الاميراطور مكسيميليان اما الاول فيستحق ذلك بوصف كونه نائبا عن بنته حانة لاسيما وكان يعضده في ذلك وصية امها ايرابيلية واما الثاني فوجه استحقاقه للوكالة ان خفيه كرويس لعدم صلاحية امه للحكم له الحق في مملكة قسطنطينية وحيث انه صغير السن فخدمه من جهة ابيه يكون وليه ووكيله عنه وقد حصل لمن سعى في طرد فردينند من مملكة قسطنطينية غم شديد حيث رآوه قريبا من الاستيلاء عليها ثانيا وكان جبارا بطبع لا يعرف العقوبات لاسيما اذا تذكر ما صدر منهم في حقهم من الاساءة فانه يزداد بذلك قسوة وعظامة واما مكسيميليان فلم يكن له شيء من هذه الاسباب يمنعه عن الاستيلاء على تلك المملكة الا انه كان لا يعرف اخلاق اهلها ولا قوانينهم ولم يكن له جيوش ولا مال حتى يمكنه تنفيذ اغراضه في هذا الشأن وايضا لا يثبت له حق في قسطنطينية الا بعد ان يعلم الخاص والعام بحال المملكة حانة وعدم صلاحيتها لادارة المملكة ومع ان حالة هذه الاميرة لم تكن اذذاك خافية رآى اهل قسطنطينية انه ليس من المروءة اشاعة ذلك بين الناس لما انه يورث العار ويرزى بالعرض

ولكن لما كان الامير منويل وبعض اشرف قسطنطينية يعتقدون انهم اول من ينقذهم من فردينند فيذيقهم العذاب الاليم بسبب ما فعلوه معه جعلوا انفسهم في حزب مكسيميليان وانتموا بانهم يعضدونه ويدافعون عنه

سنة ١٥٠٦:

مطلبه —
سفر فردينند الى مملكة
نابلي

سنة ١٥٠٧

بجميع طاقتهم وكان مكسبيلان مع جسارته واقدامه على المشروعات بطياً
ضعيف المهمة في تمييزها فيقدم في ذلك رجلاً ويؤخر أخرى فبادر بالقبول
لمقصد منوبل ومن معه لكن لم يترتب على ذلك الامجادلات ومحاورات
لا طائل تحتها فابدى هذا الامبراطور حقوقه مع الابهة والتفاخر كما هي عادته
ووعدها بشيء شتى لكنه لم ينجز شيئاً منها

وكان فردينند قبل موت فيليبس ببعض ايام قد سافر الى مملكة نابلي
لما انه كان يسي الظن بنائبه غونزلودو كورد ومع انه كان حسن السلوك
ذا صدق ونصح في خدمته لا يهمل في ادارة المملكة ومصالحها سافر
فردينند اليه ليسلبه الصولة التي اكتسبها من منصبه ولم يكن يكتف بارسال احد
من طرفه لهذا الشأن بل رأى ان الاحسن والايقن ان يذهب بنفسه الى نابلي
ويعسك بعنان حكومتها بعد عزل نائبه المذكور فلما بلغه في مدينة بورغونينو
بارض جنويرة موت صهره فيليبس رأى ان ذهابه الى مملكة نابلي
ايكشف الدسائس التي كان يتهم بها نائبه ويعزله من حكومة نابلي اولى من
رجوعه على عقبه وهان عليه ان يترك مملكة قسطنطية على مثل هذه الحالة
وكان حينئذ لا يوجد بها من يقوم باصلاح حالها وادارة مصالحها فلما كان
يقرب على غيبته ضياع حكومة قسطنطية منه وثبوتها لغيره

ولم يكن هناك ما يمنع من حصول الامور السريعة التي كان يمكن تسهيلها عن غيبة
فردينند الا معارف ندمائه وحزمهم وسداد رأيهم لاسيما كبيرهم
اكرميينيس مطران طليطلة فانه وان كان لا يامل نيل صولة عظيمة تحت
حكم فردينند لما راى من تنقصه منه حين ولته المملكة ايرانيطة منصب
المطرانية لم يعتبر اغراضه النفسانية بل اترفع المملكة على نفع نفسه واعرض
ان قسطنطية لا يحسن ادارتها سوى الملك فردينند حيث انه بكثرة
تجارب يعرف ما يضر تلك المملكة وما ينفعها اكثر من غيره ولا جل ان يحسن
لبناء وطنه هذا الرأي ويستسلمهم الى قبوله رأى انه لا بد ان يكون لين العريكة
والجانب في حق الناس وان كان ذلك على خلاف طبيعته فحضر جناحه وصار

سنة ١٥٠٧

يواسى من يناقضه من الاشراف فجمع بين المداينة والبراهين ليستياعهم اليه
واعانه على ذلك ما ابداه فردينند من السياسة المحكمة والتدبير العجيب
حيث استمال بعض الناس بالاقطاعات والمزايا وبعضهم بزخرفة القول
والمواعيد واستعوز على الجميع بمراسلات لطيفة تسر الخاطر حتى توصل الى
جذب قلوب عدة من اكبر اخصامه ونجح في هذا المتصدغاية النجاح مع ما كان
حاصلا وقتئذ من الفتن في هذا الشأن حتى انه بعد ان اصلى حالة فابلى ورجع
الى اسبانيا حظى من غير معارض ولا مناقض بناية مملكة قسطلية
وسلك في الحكم بين الاهالى طريقة لطيفة وان كانت لا تخلو عن الصعوبة
والتشديد فالغزو جميعا واحبوه وعاش في الامن والراحة مع وجود الحكومة
الاتزامية التي من شأنها الفتن والتخزيات ولم يرزل بها في امن واطمئنان حتى
ما تم مع ان قوانين الحكومة الاتزامية كانت باقية ميا على عنفوانها واعتوها
والفضل لفردينند على سبطه كرلوس في ابقاء السكون والامن في مملكتي
اراغون و قسطلية بل له الفضل عليه ايضا فيما هو اعظم من ذلك وهو ان
دول كرلوس الوراثة ازدادت في مدة نيابة جده فردينند واتسعت
دايرتها بسبب فتوحاته الجديدة التي اضيفت اليها وذلك انه اضيف الى مملكة
قسطلية مدينة وهران وغيرها من المدائن الحصينة الموجودة
في اطراف بلاد البربر التي هي بلاد الغرب وكان ذلك بهمة الكردينال
اكرمينيس حيث سار بالعا كرا الى اهل الغرب وابدى في قتالهم العجب
الحجاب من الشهامة والحمية الدينية التي شأنها ان تصدر عن امنا الدين واغرب
من ذلك ايضا ان جميع المصاريف التي قدت في هذا الحرب كانت من امواله وقد
نعمل فردينند من جهة اخرى بمحج واهية غير مقبولة بعد اتهامه بتجنيزها
من قبيل الخيانة والجبن وطرد الملك خنات البرطة من مملكة نوار
واستوى على كرسيا بدلا عنه مع ان حق حنا المذكور في هذه المملكة كان
حقا شرعيا لا ريب فيه فانسعت اراضى اسبانيا بهذه المملكة حتى صارت
ممتدة من جبال البرنات الى حدود بلاد البورتنغال

مطلب
رجوع فردينند الى
اسبانيا
حسن تدبيره

مطلب
فتوح مدينة وهران

مطلب
اخذ مملكة نوار

سنة ١٥٠٧

ولم يكن قصد الملك فرديناند من مشروعاته التي كان يفعلها تكثير الممالك
لبسطه كرلوس الذي ورثها بعده لانه كان يعتبره خصما يسب منه مملكة
قسطنطينية في المستقبل لاسبسطا فاصرا جعل هو وليا عليه ليقوم بادارة ممالكه
على سبيل النيابة والامانة حتى يبلغ رشده فكان يغار منه حتى صار قلبه منه
بغضا لا توارى فلما وضعت زوجته جرمين دوفوا كس ولد افرح فرحاشديدا
حيث ان هذا الولد يرث ممالكه من بعده ويحرم كرلوس من مملكة اراغون
ومملكة نابلي ومملكة سيسليا ومملكة سردينيا الا ان هذا الولد لم يطل مدة حياته
وعند موته صار فرديناند كانه يتقلب على البحر لعدم الذرية وظهر عليه القلق

سنة ١٥١٣

والجزع وظهر التلطف على ان يكون له اولاد يرون عنه ممالكه والظاهر انه لم
ينشأ عن جرعه فائدة غير انه عمل باقامة كرلوس على كرسى اسبانيا على خلاف
مرامه وذلك انه وان كان لا ينبغي له ان يتوقع نسلا لانه كان وقتئذ قد طعن
في السن وكان في مدة شبوبته قليل العفاف منه كما على اللذات الا انه لتلطفه
على الذرية قص امره على اطباء وطلب منهم ما يعينه على مقصده فاعطوه
شرابا من الاشربة التي يرغم ان خاصيتها تقوية الباه مع انه لا ينشأ عنها سوى
ضعفه وانلاف الصحة كما تحقق ذلك في فرديناند فانه بعد تعاطيه هذا
الشراب اخذت صحته في التناقص والضعف خصوصا وان بنيته قبل ذلك
كانت ضعيفة فاعتراه مرض شديد وشفي منه الا انه لازمه داء السل فجعل
يزداد في السقم والنحول واختل عقله حتى صار غير صالح لادارة ممالكه واتبع
من انواع اللعب واللهو ما لا يليق بالرجا وينس من الذرية لضعف بنيته الا انه
ازدادت غيرته من سبطه الارشدوق كرلوس وصار ينظر اليه بعين الشافئ
المبغض كما هي عادة اغلب الملوك من انهم يبغضون من هو معد لان يخلفهم على

مطلب

عزم الملك فرديناند على
حرمان سبطه كرلوس من
مملكة اسبانيا حتى كتب
الوصية بذلك للاسير
فرديناند اخ كرلوس

سنة ١٥١٥

ممالكهم وحيث بلغ بغضه لكرلوس الى هذه الدرجة كتب وصية
للامير فرديناند بالنيابة على الممالك حتى يحضر كرلوس اخوه لما انه
كان يعلم ان الامير فرديناند المذكور قد نشأ في اسبانيا فيرغب فيه اهلها
اكثر من اخيه كرلوس وقلده ايضا رياسة الطوائف العسكرية الثلاثة

سنة ١٥١٥

ولا ينبغي مالم ملك فردينند في ذلك من التدبير والمكر حيث ان الامير فردينند بالامر الاول وهو النيابة يكون له حق في التاج الملوكي فينازع اخاه فيه وبالثاني وهو رياسته على الطوائف العسكرية يكون قائما بنفسه في جميع احواله واطواره حتى لا يكون لاحد عليه ولا

ولم يرل فردينند يغار على ملكه من غيره غير عجيبة الى ان مات حتى انه قبل موته بقليل دعه تلك الغيرة الى ان ينتقل من محل الى آخر كانه يفر من مرضه او يتلاهي عنه وكان حفته يرون ان صحته دائما في التناقص والضعف ومع ذلك كانوا لا يتجاسرون على خطابه في هذا الشأن حتى كانوا لا يذنون لتأسيس الاعتراف المرتب عليه ان يدومنه وكان هذا التأسيس يود ان يخبره بحاله لانه كان يرى ان مراعاة خاطر الملك واخفا حقيقة حاله عليه يعد من الكبرياء المنهى عنها شرعا فلما اتسع الخرق عليهم وعظم خطر الملك لم يمكنهم كتمان الحق فاخبروه بان لهجلا قد دنا فلم يذعر فردينند من ذلك ولم ير عوا بدوا حضر اليه حينئذ اقدم ندمائهم واحبهم اليه وهم ثلاثة كرواجال و رابطة و وركاس وترجوه ان يغير وصيته التي كتبها واعلموه بان ان اعطى الامير فردينند نيابة الممالك وقع الحرب بينه وبين اخيه كرلوس لاحتماله وان اعطاه رياسة الطوائف العسكرية الثلاثة ضاع من التاج الملوكي رونقه وبعته وجرده عن اعظم قوته فاستصوب رأيهم ورثا لجمال كرلوس ورأى ان ماصم عليه في حقه من باب الظلم والتعدي وغير هذين الامرين من وصيته وكتب ان كرلوس هو الذي يرثه وحده في جميع ممالكه وجعل للامير فردينند في نظير التاج الملوكي الذي توههم انه ثبت له ارضا ارادها في السنة خمسون الف دينار معاملة من النقود المسماة دوقات ومات الملك فردينند بعد ان وضع امضاءه على هذه الوصية ببعض ساعات كان ذلك في ٢٣ من شهر كانون الثاني سنة ١٥١٦ من الميلاد

فلما مات فردينند ورثه شريكان في دوله الكبيرة وكان قد بلغ حينئذ من العمر ست عشرة سنة وكان الى ذلك الوقت قاطنا بمملكة البلاد الواطية

مطلب
تغيير الملك فردينند
لوصيته التي كتبها

مطلب
موت فردينند
مطلب
تربية كرلوس الخامس
المسمى شريكان

سنة ١٥٩٦

للمق ورنها عن ابيه والذي اعطى تربيته في صغره هي عمته مرغوريطة اميرة
 الاوسترسيا ومرغوريطة اميرة يورقة اخت ادوارد الرابع ملك
 لنكلتر وارمله الملك كرلوس لوهردي وكانت كلتاها تين الاميرتين ذات
 فضل شهر وعلم غزير قد منحت من كنوز المعارف والقضائل نفائس شتى وبعد
 موت ابيه فيليبس اعطى اهل القلمن مملكة البلاد الواطية لايه
 الامبراطور مكسيميليان على سبيل الوكالة لكن كانت تلك الوكالة ظاهرية
 لا حقيقية حيث كان لا يتصرف في المملكة بجميع ما يقتضيه حق النيابة
 فاختار مكسيميليان غلبوم وكروائ ملتزم شيوره وجعله ناظرا على
 حفيده كرلوس ليحسن تربيته وكان هذا الامر مستمرا لجميع الصفات
 والمعارف اللازمة لمثل هذا الامر المهم فجعل يوفى به كما ينبغي وانتخب كذلك
 ادريان دورتيقطة وجعله مودبالا امير كرلوس فرق هذا القسيس بتلك
 الوظيفة اعلام مرتبة ارتقى اليها القسيسون والاحبار ولم يدع لذلك لطيب نسبه
 وحسبه لانه كان مجهول الاصل ولا اصولته وفوق ذلك لانه لم يكن له مدخل
 في مصالح الدولة وانما كان ذلك لمعارفه التي اشتهر بها بين ابناء وطنه لانه كان
 ممتازا بين اقرانه بالعلوم الهزنية التي مكنت عدة قرون وهي تدعى بالعلوم
 الفلسفية واشتهر ايضا بشرح وضعه على كتاب مشهور للمؤلف بطرس لومبرد
 يسمى معلم الحكم كان وقتئذ معتبرا كفتح لكنوز العلوم اللاهوتية المستعملة
 في المدارس فقبل هذا الشرح اتم القبول واستحق مؤلفه المدح والثناء ولكن
 مع هذه الشهرة التي حظى بها ادريان في ذلك العصر الذي كان عصر
 جهالة لوحظ بعد مدة قليلة ان مثل هذا الرجل الذي لم يخرج من المدرسة ابدا
 ولم يعاشر الناس حتى يعرف امور الدنيا ويكون ذائق وادب لا يصلح لتربية
 الامير كرلوس وتأديبه ولا يمكنه ان يستميله الى التعليم والتحصيل ولذلك
 اطهر كرلوس من صغره النفرة من العلوم وكان له رغبة شديدة في تعلم
 العسكرية التي كانت وقتئذ مطمح نظر الاشراف ولا يعتنون بغيرها فكان
 الرجل منهم يفخر ويتباهى بفوقانه الاقران فيها وكان الامير شيوره يستحسن

سنة ١٥١٦

منه ذلك ويقره عليه ولا يعلم هل كان ذلك تعلقا منه بالامير **كرلوس** ليستعمله به اولان نفسه كانت ايضا لا تميل الى العلوم الادبية ومع ذلك بذل المهمة في تعليمه علم الادارة والتدبير وقرأ تاريخ ممالكه وتاريخ الدول التي كان بينها وبين دوله علاقات وروابط فلما تولى **كرلوس** على بلاد القلمك سنة ١٥١٥ اهتم **شيوهر** ان يعوده على الشغل والاجتهاد فعمله على ان يقرأ جميع الاوراق التي تخص مصالح الدولة وان يحضر مذاكرات شورائه الخاصة وان يقص بنفسه على اربابها المواد المحتاج فيها الى ارائهم وبهذه التربية تعود **كرلوس** على الانفة والتعالى وما لا يليق بصغر سنه مع انه في مبداء امره لم يظهر منه ما يدل على البراعة والنجابة التي امتاز بها فيما بعد فلم يكن عنده وهو صغير من النشاط والحمية ما ينظمه عادة على من يكون كثير الجهد والمشروعات اذ بلغ حد الرجولية وذلك انه كان في مبداء امره منقادا بالكلية لما يامر به الامير **شيوهر** وغيره من ندمائه ويقتبل منهم النصيحة بدون توقف وبمثل ذلك كان لا يلوح منه انه يحوز هذا العقل الواسع الناقب والرأى الصائب الذي قام فيما بعد بمصالح نصف ممالك **اوروبا** وادارتها ولكن كان رعاياه مغرورين بمحسن موارثه ومهارته العظيمة في المصارعة وغيرها من الالعاب البدنية فاحسنوا فيه الفطن كما هي عادة الناس في حق ملوكهم وقت الشبوية و**حكموا** بان يكون له مستقبل سعيد وتزيد به بجمعة الممالك التي ورثها عن جده **فردينند**

مطلب
طباع **كرلوس** في مبداء امره

وكانت حينئذ ممالك **اسبانيا** تستدعي عظيم حزم و**صكبير** عزم في ادارتها وتخييز مصالحها كما يفهم مما ذكرناه في اتحاف الملوك الالبا وذلك ان العوايد الالتزامية التي ادخلها كل من امة **الغوطيين** وامة **السولويه** وامة **الوندال** في اقاليمها كانت باقية بها على قوتها الاصلية وكان للاشراف شوكة قوية ومهارة في القنون الحربية وكانوا قد مكثوا زمانا طويلا يتمتعون بالمزايا الواسعة التي اثبتتها لهم تلك العوايد الالتزامية وكانت مدائن **اسبانيا** كثيرة العدد والاهل على خلاف ما تقتضيه الحكومة الالتزامية التي هي لاتلائم

سنة ١٥١٦

التجارة والعمران ولا الضبط والربط الذي يكون به امن البلاد وراحة العباد
وكان لاهل تلك المدائن مدخلية عظيمة وتأثير قوى في شان السياسة وكان لهم
حقوق شخصية عظيمة جدا واما شوكة الملك فكانت ضعيفة بسبب مزاي
الاشراف وتطلبات الاهالى لمصايهم وصكانت محصورة في حدود
ضيقة جدا وبالجملة فادامت هذه الحكومة المختلة موجودة كانت اسباب
الفشل والشقاق كثيرة لا تحصى وكانت الروابط الجامعة بين اجزاء اسبانيا
واهية ضعيفة فكانت اسبانيا في اشد المشاق والمكابدات التي تنشأ عادة
من خلل الحكومة الالتزامية وزيادة على ذلك كانت عرضة لمصائب اخرى تنشأ
عن بعض امور مختلة في ترتيبها وقوانينها

نعم لم ينع مدة حكم فرديناند الطويلة شئ من التعكيرات والفتن الداخلية
في اسبانيا لانه عرف بمجودة قريحته وحزمه كيف يجمع نقوس الاشراف
حتى لا تغار منهم الجمعيات البلدية فبحسن تدبيره وسياسته في داخل بلاده
وبهارته وحزمه في تمييز مشروعاته في البلاد الاجنبية صار له موقع عظيم
في قلوب رعاياه وثبت له عندهم فضل جليل وقدر جليل في المعارف وبذلك
اسكنه ان يحفظ في دوله الامن والاطمئنان وان كان الترتيب السياسي وقتئذ
لا يسوغ ذلك بل كان يلايم الفتن والتعكيرات فلما مات فرديناند انعدمت
بموته موانع افشل والشقاق وعادت التخربات والتعصبات وتسلطن الهم
والحزن في ممالك اسبانيا بعد ان مكثت زمنا طويلا مستريحة منها وصارت
بعد موت فرديناند اشنع وافظع مما كانت عليه قبله

وكان فرديناند يتبصر في العواقب فادرك انه لابد من وقوع هذه الفتن
والتعكيرات بعده فبحث قبل موته عما يجتري به من حصولها فكتب في وصيته
ان اكرزيمينيس مطران طليطلة هو الذي يكون نائبا عنه في ملكة
قسطيلة حتى يحضر حفيده كرلوس الى اسبانيا وانما خص هذا المطران
بذلك لانه كان لحزمه وحسن طباعه وحيد صفاته جديرا بمثل هذا المنصب
العظيم ولذلك راينا من اللائق ان نتكلم عليه هنا بخصوصه ونذكر بعض

مناقبه وصفاته المحمّدية ثم ترجع الى الموضوعات فنقول كان من عشيرة طيبة الاصل
الا انها كانت قليلة الغنى والثروة فحملته العيلة والفاقة على الدخول في زمرة
القسيسين لاسيما وقد كان يميل بالطبع الى ذلك فلما انتظم في سلكهم فاز في اقرب
وقت باقطاعات انعامية عظيمة حتى صار ذا ثروة فتحت له ابواب السودد
ومهدت له سبل ارقى بها الى اعلام راتب الكنيسة ومناصب الاقسية ثم رغب
عن هذه الانعامات الكبيرة واراد الدخول في دير سنتفرنسيس وهو من
اصعب مراتب كنيسة رومة فامتحنوه امتحانا شديدا صعبا ودخل هذا الدير
وعما قليل امتازفه ايضا بالعفة والزهد وحسن الاخلاق وغاية التدقيق
الذى كان اذا لم ين اجل اخلاق المتربين وفي اثناء مجاوزات الحد في الدين
التي لا يقع فيها عادة سوى العقول السخيفة الزائغة التي تميل الى البدع
والתרهات كان الكريمينيس باقيا على حدة ذهنه ووفور عقله لما انه كان بالطبع
جيدا رأى حاد الذهن فتزهدت قريحته عن الزيف والضلال فلما رأى اهل
طائفته القيسية انه يفوقهم جعلوه رئيسا على اقليم وكان مشهورا بالزهد
والتقوى فعما قليل دعى الى ان يكون قسيس اعتراف عند الملكة ايرابيلة
ومع شرف هذا المنصب وعظمه توقف في قبوله ولم يقيم به الا كرها بغير رضا وبعد
دخوله في خدمة هذه الملكة لم يزل مستمرا على اخلاقه من الزهد والتقوى والورع
التي اشتهر بها في الدير فكان اذا اراد الذهاب الى محل يذهب راجلا كعادته وكان
لا يتعشى الا من الصدقات وكان يكلف نفسه بالامور الشاقة كما كان قبل ذلك
فحصل للملكة ايرابيلة منه غاية الفرح والسرور وقلدته منصب مطرانية
طليطلة وهو اعظم مناصب الكنيسة الرومية بعد منصب البابا ومع ذلك
ابى ان يقبله حتى صدر له امر مخصوص من طرف البابا ولسكن لم تتغير
اخلاقه بارتقائه الى هذا المنصب العالي الا انه جبر على ان يظهر في الناس
بما يقتضيه مظهر منصبه من الابهة والرونق ومع ذلك بقي على ما كان عليه من
الشدة الدينية والصعوبة القيسية فكان يلبس دائما تحت ثياب منصبه
الحريّة ثوبا خشنا من ثياب رهبان سنتفرنسيس وكان يخيطه بنفسه

سنة ١٥١٦

اذا تمزق وكان لا يلبس القماش الرفيع الناعم على بدنه مباشرة وكان يشام دائماً من غير ان يخضع لمبوسه ويشام في الغالب على التراب اوعلى الواح من الخشب وقل أن نام على فراش وكان لا يأكل شيئاً من الاطعمة اللذيذة اللطيفة التي تقدم له في مائدته بل كان يكتفي في ذلك بما توجهه قوانين طاقته القسسية فكان يقنع بلقميات تسد الرق و كان له معرفة غزيرة في مصالح الدولة واحوالها حتى انه لما دعي الى الادارة بموجب رأى الملك فردينند وزوجته ايراييله اظهر من الفضل والمعارف الجليلة ما جعل له شهرة في القرية والحزم مماثلة لشهرته في الزهد والتقوى وكان لا يقع بصره الا على كل امر جديد لم يسبقه به غيره ولا يهتم بالابتحيز كل مقصد صعب ومشروع خطب وكان حسن نيته في تلك المشروعات يحمله على ان يتبعها مع الهمة التي لا تنكسر والتصميم الذي لا يميل حتى يفجزها ويبيت امرها ولما كان متعة ودان صغيره على قمع نفسه وعدم اتباع شهواته كان لا يعفو ابداً عن مال الى الشهوات واتبع هوى نفسه وكان يعلم بموجب الدين ان الزينة والرفاهية ممنوعة فكان يبغض كل ما يلوح عليه دلائل التصنع والعجب ولم يكن لين العريكة بل كان لا ينفك عنه تدقيق القسوس وتشديدهم الذي يوجب السامة والنفور خصوصاً في بلاد اسبانيا التي كانت تجمل بها طباع الاقسمة ومع ذلك فلم يصفه احد بالقظاظه والغلظ

هكذا كانت حالة الكزيمينيس الذي اقامه فردينند نائباً على مملكة قسطنطية وكان قد بلغ من العمر نحو الثمانين ويعرف صعوبة هذا المنصب ومشاقه الجمة التي لا تنفك عنه ومع ذلك لم يتوقف في قبوله لانه كان بالطبع قوى العزم وكانت له رغبة تامة في تبحر ما به تكون مصلحة البلاد ونفع العباد لكن كان اديان دوريقطه الذي ارسل الى اسبانيا قبل موت فردينند ببعض شهره واطهر اوامر من الارشودوق كرلوس بالنيابة على مملكة قسطنطية بعدم موت الملك فردينند المذكور غير ان اهل اسبانيا كانوا يبعضون حكومة الغرباء فيهم ويعلمون ان الفرق بين فضل هذا الرجل ومعارفه

مطلبه

جعل كرلوس اديان نائباً على مملكة قسطنطية

سنة ١٥١٦

مطابق

انفرا اكرمينيس بارادة
الدوية ونجيزه صالحها

وفضل اكرمينيس كما بين الثريا والثرى فلم يكن له اعتبار عندهم كاكزيمينيس
بحيث كان يمكن ابطال سعيه وخيبة آماله لولان اكرمينيس امتثل اوامر
كرلوس واقتره على النيابة لكنه شارك في الادارة والتدبير على ان نيابة اديان
على المملكة المذكورة لم تكن الا مجرد الاسم والصورة واما اكرمينيس فانه
بحسن سياسته اخذ يعامل اديان مع المراعاة والاحترام التام حتى آلت
اليه الكلمة النافذة في الدولة وصار يده الحل والعقد في جميع المصالح
واول شيء لاحظته اكرمينيس وتدارك ما يترتب عليه من العواقب السيئة
المضرة هو حال الامير فردينند بن فيليبس الذي اوصى له الملك فردينند
اولا بالحكمة وكان اقرب من غيره للاستيلاء عليها فلما بدت الوصية وحرم مما
كان يامله لحقه الاسف والتحسر واطهر من الجزع ما لا يليق بشيبيته وصغر
سنه فخشي اكرمينيس ان ملحق فردينند من الغم لضياح الحكومة منه يجعله على
السعي في ايقاع فتنة او حادثة مشؤمة وبحث عن احضاره ليتمكنه ملاحظته
في سلوكه وافعاله وتعلل في تنفيذه ذلك المارب بانه يريد مباشرة تربية هذا الامير
ليكون تحت رعايته في الحفظ والصون فنجعت حيلته واحضر فردينند
من مدينة وادي لوب التي نشأ بها الى مدينة مدريد التي جعل بها حينئذ
الديوان الملوكي ولما حضر فردينند الى تلك المدينة اخذ اكرمينيس
يلاحظه في جميع اموره واناط اناسا بالالتفات اليه والى اتباعه في جميع حركاتهم
وافعالهم

مطابق

تلقب كركلوس ملكا

واول خبر بلغ اكرمينيس من البلاد الواطية اورنه الحيرة والقلق حيث بلغه
انه فعل امرا صعبا باحضاره للامير فردينند عنده وجعله تحت ادارة اناس
لا يعرفون قوانين اسبانيا ولا اخلاق اهلها وبجرد ما وصل خبر موت الملك
فردينند الى مدينة بروكسيه انخطر اى مشورة الفلنك على تقييد
الامير كركلوس ملكا على دول فردينند فتقبل قولهم وبحث عن التمكن
من ذلك ولكن بموجب قوانين اسبانيا كان كل من مملكة ارغون
ومملكة قسطيلة لا يثبت الا لاميرة حانة دون غيرها من انها كانت

سنة ١٥١٦

لاتصلح للكم بسبب امر اضاها واختلال علمها الا ان ذلك لم ينبت بتقرر صحيح
صادر من مشورة وكلاء مملكة اراغون او مملكة قسطنطية حتى يعلمه الخاص
والعام وبناء على ذلك كان اهل اسبانيا يعتبرون ان هذا المقصد من طرف
كرلوس محض نعد وافتيات على مزاياهم وحقوقهم بل ومخالف لنواميس
الطبيعة حيث انه يريد ظلم امه والتعدي على حقوقها ورأوا ان في ذلك اهانة
لاميرتهم لم يحصل لها مثلها من جهة رعاياها
ولكن بعدم داولات بين ديوان مدينة بروكسيله و البابا و الايمبراطور
اقر كل من هذين الاخيرين تلقب كركلوس ملكا على قسطنطية وكان لهم ما
وتقنن الحق في ذلك اما الاول فلانه رئيس الكنيسة واما الثاني فلانه رئيس
الايمبراطورية وصدر الامر الى اكرمينيس بان يعلم اهل اسبانيا باستيلاء
كرلوس على كرسي مملكتهم وكان اكرمينيس هو اول من عارض في هذا
الامر لانه كان يرى انه يغضب الله من غير ان يجدي نفعا للامير كركلوس فلما
اقر كل من البابا و الايمبراطور تيقن النجاح وبذل غاية جهده في حل
الناس على اقرار كركلوس ملكا على اسبانيا لجمع الاشراف الذين كانوا
حينئذ بالديوان واعلمهم بمرام كركلوس فاخذوا يتضجرون من ذلك لان فيه
سلب مزاياهم واتفق الجميع على ان هذا حق حانة لا ينتقل الى غيرها لانه
كان منهم وبينهم ميثاق اكيد لا يمكنهم نقضه فعند ذلك قطع اكرمينيس
كلامهم وهم قائلون باعلاصونه اني لم اجمعكم لاشاوركم في هذا الامر واعمل
برأيكم وانما جعتمكم لاعلمكم به فاعليكم الا الطاعة والامثال حيث ان
ملككم كركلوس ارسل يطلب منكم الطاعة لا الاستشارة فيلزم ان ينشر ذلك
في يومنا هذا بمدينة مدريد ليعلم الخاص والعام ان كركلوس هو ملك قسطنطية
وتقنن ديها غير هامن المدائن وصدرت الاوامر في هذا الشأن لاسارجمها
المملكة واقرا الخاص والعام بالملوكية لكرلوس وان كان كثير من الاشراف
قد حصل له في الباطن غم شديد من ذلك هذا في مملكة قسطنطية واما في مملكة
اراغون فلم تنفذ اوامر كركلوس ولم يقره الا هالي على التملك لان اهلها

مطلب
اقرار كركلوس على الملوكية
في مملكة قسطنطية وكان
ذلك باقتباس اكرمينيس
وهتمته في ٥ من شهر
نيسان

سنة ١٥١٦

كانوا يتمتعون بمزايا اعظم من مزايا اهل قسطنطينة لاسيما وقد كان الملك
فرديند قبل موته جعل مطران سراغوسة نائباً على تلك المملكة وكان
في الصولة والمعارف دون اكرمينيس وبهذا السبب مكث كركوس غير
معترف له بالملوكية في اراغون حتى حضر بنفسه الى اسبانيا

ومع ان شوكة اكرمينيس كانت بمجرد النياية فقط وكان لكبر سنه لا يطمع ان
تدوم له الشوكة زمناً طويلاً رأى انه بمنزلة الملك في قسطنطينة حيث انه نائب
عنه فيها فاخذ يتصرف في ادارته كأنه ملك حقيق فشرع في مقاصد مهمة
ليقوى بها الشوكة الملوكية ويوسع دائرة مزاياها واخذ يبذل غاية جهده
في تجميع تلك المقاصد حتى كان هو الملك وان عمرة ذلك تعود عليه هذا وكانت مزايا
الاشراف حينئذ في قسطنطينة قد تجاوزت الحدود حتى لم يبق للملك سوى
حقوق واهية هينة فرأى اكرمينيس ان اثبات تلك المزايا للاشراف مع
حرمان الملك منها ليس الا محض ظلم وعدوان فصرم على حرمانهم من
بعضها ولا يخفى ان مثل هذا الامر خطر ولكن كان اكرمينيس يرى ان
مقتضيات الاحوال تعينه على تجيزه وتكسبه نجاحاً لم يسبق لاحد من ملوك
قسطنطينة وذلك انه بجزره وتوفره في صرف ايرادات المملكة واموالها
السوية جمع من الاموال النقدية ما لا يمكن لاحد من ملوكهم ان يجمعها
في اى وقت كان وكان لحسن اخلاقه ورأفته واحسانه قد تسلطن حبه في قلوب
الاهالى حتى كان الاشراف لا يخشون منه قننة او غدر او غير ذلك مما يضر بهم
فلم يلاحظوه في حركاته وافعاله كما كانوا يلاحظون بعض ملوكهم

وبمجرد ما جعل اكرمينيس نائباً على مملكة قسطنطينة توهم جماعة من
الاشراف ان الشوكة الملوكية ستضعف وتضعل صولتها فاخذوا في جمع
اتباعهم وجند واجنودهم وعادوا الى طلب المزايا التي لم يكن لهم تحصيلها
في زمن فرديند لما انه كان ثابت الحثان قوى العزم والحزم ولما كان
لاكرمينيس حينئذ جيش عظيم من العساكر المستأجرة فافسد عليهم
امالهم وجعل سعيهم هباء منثوراً من غير ان يحصل له في ذلك اذى مشقة لكنه

مطلب

شروع اكرمينيس في
تقوية الشوكة الملوكية
وتوسيع دائرة مزاياها

مطلب

تخضه للاشراف
واضعافه لشوكتهم

سنة ١٥١٦

مطلب
شروع اكريمينيس في
ترتيب جيوش من
الاهالي

لم يرض ان يكون قاسي القلب شديد الحقد على من كان سببا في تلك الفتن
ولم يذقهم من العذاب ما استوجبوه بمجرمهم وانما طلب منهم المبايعة على
الطاعة والالتقاء وجعل الاعز منهم الاذل
وما دام اكريمينيس لا يصيب بسهام صولته الا بضع اناص مخصوصين
وكانت افعاله تحسن بمقتضيات الاحوال بحيث يترأى انها من قبيل العدل
والانصاف وكان تشديده فيها مشوبا بنوع من الرفق ولين الجانب قل أن حصل
للناس منها غم او نكلك لكنه لما صمم على امرهم يعود بالضرر على مزاي
الاشراف الذاتية اغضب ذلك سائر طبقاتهم وكانت وقتئذ قوة الشوكة
والصولة وتلك المزية الذاتية هي فن العسكرة وذلك انه بموجب المذهب
الالتزامي كان هذا الفن من خصوصيات الاشراف لا يشركهم فيه غيرهم
فكان لا يسوغ لاحد من الرعا ان يحمل السلاح ليبرز الى ميدان الحرب
الا اذا كان من اتباع بارون او امير منهم واما الملك فكانت ايراداته قليلة
بسبب ضيق دائرة مزاياه وحقوقه فكان يجب عليه مراعاتهم ليعينوه
في جميع مشروعاته وحروبه لانه كان لا غنى له عنهم عند الهجوم على اعدائه
او المدافعة عن دوله اذ كان لاجيوش وقتئذ الاجيوش الاشراف وكانت هذه
الجيوش لا تطيع لغير الاشراف امراف كانت شوكة الملك بهذا السبب ضعيفة
لا تتقيم بنفسها وكانت ايدى الاشراف فوق يد الملك فاراد اكريمينيس ان
يتخذ الشوكة الملوكية من هذا التصديق الذي هو نوع من الاستعباد لكن رأى
انه لم يعهد في الحكومة الالتزامية ترتيب جيوش من العساكر المستأجرة
مكنت ملازمة للدولة لا تنفك عنها ولا تسرح فعلم انه ان رتب جيوشا مستأجرة
على سبيل الاستمرار والدوام يغضب عليه اهل قسطنطية لانهم كانوا اولي
افعة وكان لهم تولع عظيم بالحرب فاستصوب ان يرتب جيوشا من الاهالي
وامر ان يجعل في كل مدينة من مدائن قسطنطية مقدار من الاهالي يشتغل
بالتعليمات الحربية في ايام المواسم والاعياد وسعى حتى جعل ما هيأت ضباطهم
على طرف الدولة ووعد العساكر تشجيعا لهم بان يعافهم من جميع انواع

الغرامات والجرائم المضروبة على الاهالى وايدى علة مقبولة مستحسنة
في تجديد هولاء العساكروهي ان اغارات اسلام الغرب على بلاد اسبانيا
كانت لا تقطع فقال لا بد من وجود جيوش تلازم الدولة دائما وابد حتى تكون
اسبانيا في امن من اعدائها مع ان غرضه الحقيقي من ذلك هو ان يجعل للملك
جيشا مخصوصا غير تابع للبارونين ليكون ذا قوة بينهم وينعمهم عن تعدي
الحدود في فعل ما يحل بالدولة والامن العام ولكن لم يحث هذا الغرض على
الاشراف بل علموا كنه سره وادركوا حقيقة امره وايقنوا ان ذلك من طرق
سياسته الدقيقة وحزمه المحكم وانه سينجح ويبلغ غرضه الا انه لم يحكمهم التصدي
لمنعه عن انشاء هذا الامر لان العلة الظاهرة التي ابداهوا هي منع المسلمين عن
البلاد كانت مقبولة مستحسنة عند الاهالى لما انهم كانوا اهل حمية جاهلية
لا يعرفون حقيقة الحال ولا يدركون العاقبة والمآل فدخل الاشراف الياس
ولم يحكمهم التصدي باقتسامهم لده عن مقصده خوفا ان ينسبهم الاهالى الى
اغراض نفسانية او مصلحة خصوصية فلازموا الصمت والسكوت وان
كانت افئدتهم تضطرم بنيران الياس والنفوف ولكنهم بذلوا سراغاية جهدهم
في حث المدائن على ان لا تسلم في تحييز ذلك ولا تطيع لا كزيمينيس فيه امرا
حيث انه يخالف لقوانينها ومن اياها فنجحوا بهذه الحيلة حيث عصت مدينة
بورغوس ومدينة ولادوليد وعدة مدائن اخرى واخذ بعض الاشراف
في تعصيدها وتأييدها والمدافعة عنها وصار اهل المدن يخاطبون الملك كركوس
بالانذار والتحذير حتى داخله الفزع والربع واضطربت قلوب ارباب مشورته
الفطنين ولم يبق من اهل الدولة ثابت القلب سوى اكريمينيس فانه لم
يلحقه جزع ولا روع من ذلك بل اخذ يسلك مع العاصين طورا سبيل التحذير
والتمديد وطورا سبيل المداهنة والمخادعة ويسلك تارة مسلك القسر والقوة
وتارة مسلك اللين والملاطفة حتى ظفر باعدائه وفتح المدائن العاصية وارغم
انوف طغاتها وجعل الاعز منهم الاذل ولم يزل ترتيب العساكر مدة حكم
اكريمينيس كل يوم في ازدياد فقامات اهمل هذا الامر وعاد الحال الى ما كان

سنة ١٥١٦

مطلب

شروع اكريمينيس في ان
يرد للتاج الاقطاعات التي
اقطعها الملوك الاولون
للاشراف والاكابر

عليه اولا

فلما لمج اكريمينيس في اضعاف شوكة الاشراف التي كانت قد
تجاوزت الحدود شرع في تقليل املاكهم والتزاماتهم حيث كانت قد ازدادت
حتى تعدت اطوارها وذلك انهم لما كانوا لا يفلقون ابدا عما فيه جلب مصلحة
او مزية لهم امكهم بسبب التفكير والفتن التي كانت سابقا لا تفك عن
الدولة ان يستفيدوا فائدة جليلة من ضعف شوكة الملوك واحتياجهم
اليهم فتغلبوا بالغصب او بالحيلة على الاراضي الملوكية وجعلوها من جملة
التزاماتهم حتى لم يبق للتاج الملوكي شيء من الاملاك والاراضي الواسعة التي
كانت له فكانت املاك اغلب الاكابر والتزاماتهم كاية عن اراض اغتصبوها
من الملوك لضعف شوكتهم واقطاعات اقطعها لهم الملوك قهر عنهم بسبب
مقتضيات احوال الجأتهم الى ذلك ولكن لما كان يعسر البحث عن اصل هذه
الاراضي المقطعة والمغصوبة لان مبدء استدلاء الاشراف عليها كان حين
ظهور المذهب الالتزامي لاسيما والبحث عنها بالنظر الى اصلها يترتب عليه
حرمان كل من الاشراف من بعض اراضيهم رأى اكريمينيس ان ذلك يؤدي
الى فتن عامة جسيمة وتقلبات عظيمة لا يمكنه مع حزمه وعزمه وسداد رأيه ان
يستدباها ويقمع اربابها فاقصر على ان يبحث عن اصل هذه الاراضي من عهد
الملك فردينند فبدأ بقطع المرتبات التي كان رتبها هذا الملك وتعل بان من
تبرع بها قدمات وانتقل الحق فيها لغيره فلامعنى لابقائها بعد موت من رتبها
ويبحث عقب ذلك ايضا عن نزع الاراضي الملوكية التي انتقلت الى الاشراف
في عهد الملك المذكور واسترجع بأمر واحد جميع الاراضي التي كان اقطعها
لهم فردينند فجرد بهذا الوجه عدة من صدور الاعيان عن املاكهم
والتزاماتهم نعم وان كان فردينند لم يبلغ في السخا والكرم درجة كونه يعطى
املاكا كبيرة واقطاعات عظيمة لكن لا ينبغي انه وزوجته ابراهيمية لم يحظيا
بكرسى مملكة قسطنطينة الا بمساعدة حزب عظيم من الاشراف قام معهما
فاضطر كل منهما الى مكافأة من اعانها مكافأة عظيمة ولم يكن لهما شيء يتصرفان

فيه لاجل هذا الغرض الاراضى الملوكية
فلما ازداد بذلك ايراد الملك وكان اكرمينيس صاحب توفير غريب واقتصاد
في المصاريف عجيب امكنه ان يقضى ديون الدولة التى تراكت عليها فى حكم
فردينند وارسل الى الملك كرلوس بيلاد الفلنك مبالغ جسيمة جدا
وصرف لضباط العساكر التى جددوها ما هيأتهم وانشأ ترسانات ومحازن ملاها
من انواع الاسلحة والمهمات الحربية بما لم يسبق بمثله فى اسبانيا وبالجملة
فكانت جميع مصاريفه من اموال الدولة فى محلها حيث لم يصرف منها الا فى
مصالح الدولة العامة حتى ان الاهالى استحسوا ما فعله من نزع المرتبات
والاراضى الملوكية ممن كانت بيده وعرفوا ان ذلك من باب العدل والانصاف
لا التعسف والاحجاف

فلما اضرت افعاله بمزايا الاشراف وحقوقهم ورأوا ان مشروعاته فى هذا الشأن
دائمة فى الازدياد رأوا انه لا بد لهم من الاحتراس منه بكل وسيلة تقيم منه
ويكونون بها فى امن وطمانينة فتعددت منهم العصب والفتن واتت شكواهم من
سائر الجهات حتى ان بعضهم صمم على فعل مقاصد مهولة بعجبية وما رغب غريبة
توقع الحكومة فى الخطوب والكروب الا انهم قبل شروعهم فى ذلك عينوا ثلاثة
منهم للبحث عن القوانين التى استند اليها اكرمينيس فيما فعله وعما سوغ له تلك
الاشياء التى لم يفعلها احد قبله وهؤلاء الثلاثة هم اميرال قسطنطية ودوق
انفتادو وقوتنة بنيونطة فلما ذهبوا الى اكرمينيس لم يقابلهم
بالمباشرة والطلاقة ولم يجيبهم عن سؤالهم الا بكونه ابرزام وصية الملك
فردينند بجمعه نائبا على مملكة قسطنطية وبرزلهم ايضا فرمان خليفته
كرلوس الذى اقره على النيابة فاخذوا يفسدون عليه هذين الامرين
ويبرهنون على انهما ليسا مشتملين على شروط الصحة وهو يبرهن لهم على صحتها
فلما اشتد الجدل بينهم هم اكرمينيس وهم معه حتى اتى بهم الى فرجة فاذا هم
ينظرون الى جيش عظيم باسلحته ومقدار جم من المدافع فقال لهم اكرمينيس
بأعلى صوته هذه هي مستندى واعتمادى بها احكم قسطنطية حتى يأق

مطلب
نصدي الاشراف لمنع
عن تيجيز مشروعاته

سنة ١٥١٦

ملكها كرلوس فاسلمه عنانها فعند سماعهم هذا القول المشوب بالجرأة والافتقار
حق عليهم الصمت وتوجهوا وهم متعجبون منه وعلما انه لا ينفعهم العصيان
والخروج على رجل تبصر في العواقب وأهبط ما يدافع به عن نفسه ويخبر
مقاصده ولم يكن في وسعهم ان يحزبوا عليه عصابة عامة لمعارضته في مشروعاته
ولذلك لم يحصل في مدته شيء مما يوجب خلل قسطنطينة ويقلل راحتها ما عدا
بعض قتل صغيرة جرتية نشأت عن بعض الاشراف لما قام بنفوسهم من الغيظ
وكان هنالك من غير الاشراف من ينزع الكزيمينيس وينعه عن تنفيذ
مقاصده وذلك ان ارباب مشورة الملك كرلوس ببلاد القلنك كان لهم
عنده الملك كلمة نافذة وقول غير مردود فاردوا ان يجعلوا ادارة اسبانيا
كادارة مملكة البلاد الواطية لاجل اضعاف شوكة الكزيمينيس لانهم كانوا
يفارون منه لمعارفه وفضله لاسيما وكان لا يبحث عما يوجب بينه وبينهم المحبة
والمودة بل كان مستقلا عن غيره في جميع اموره فكان عندهم بمنزلة خصم يمكن
ان يضربهم لا كوزير يبدل جهده في علوشان ملكهم وتقوية شوكته فكانت
كل شكوى قدمت في الكزيمينيس تقبل في ديوان مدينة بروسيه ببلاد
القلنك من غير توقف وبذلك حصلت عدة موانع لاثمرة لها الا كونها ضيقت
على الكزيمينيس في مشروعاته ولكن لما لم يمكن لوزراء القلنك ان يخلعوه عن
النيابة بدون خوف على انفسهم او اعراضهم بجحوا عن اضعاف شوكته بجعل
اناس معه في نيابة قسطنطينة وذلك لانهم وجدوا ان اديان دوريقه
الذي ارسل نائبه على قسطنطينة مع الكزيمينيس لا يبلغ شأوه في الحزم
والعزم حتى يمكنه ان يردعه عما تتعلق آماله بتجيزه فعملوا الملك كرلوس على
ان يولى معه في نيابة قسطنطينة الشهير لاشو احد امراء قلندر و كان
بمكان من وفور العقل وكال الفطنة والامير امرستوف احد اشراف
القلنك وكان شهيرا بالعزم والثبات فلم يخف على الكزيمينيس قصد
القلنكيين من تولية هذين الاميرين معه ومع ذلك لما وصل اليه تلقاهما مع
ما يليق بمنصبهما واطمهر لهما من الاحترام والتبجيل ما لم يكن في سريره ولكن

مطلب

تحزب وزراء القلنك على
الكزيمينيس

مطلب

تولية الملك كرلوس لاثنين
يشركان الكزيمينيس في
نيابة قسطنطينة

لما اراد ان يدققا في شأن الادارة ويعرفا اصولها وفروعها تكبر
عليهما وصار بهما ملهما بما عمل به اديان وقام وحده بادارة مصالح المملكة
هذا واهل اسبانيا هم اشد الملل كراهة لحكومة الغرباء عليهم فلا يطبقون
امارة احد اجنبي فاستحسنوا من الكزيمينيس ما كان يفعله لاجل بشائه
على شوكته في منصبه حتى ان الاشراف لهذا السبب نسوا ما اساء لهم به
الكزيمينيس واحبوا ان تبقى النيابة بيده لانه من ابنا وطنهم وبقا الشوكة
الملوكية بيد احد من بلدهم يخشون صولته او جوره احب اليهم من جعلها بين
ايدي اناس غربا لا يأتونهم بالطبع ولا يطبقون حكمهم فيهم
وكان الكزيمينيس حينئذ قد ثقل حمله وتراكت عليه الخطوب لما انه مع
اتساع دائرة مقاصده السياسية الداخلية التي كان وزراء الفلنك يجملهم
ودسائهم يعكرون عليه في تجهيزها كان مشغولا بجريين عظيمين مع البلاد
الاجنبية احدهما كان في شأن مملكة نوار حيث كان اغار عليها عن قريب
الملك حنادلبرطه واراد نزعهما من حكومة اسبانيا وذلك ان المملكة
المذكورة كانت لهذا الملك فغصبها منه فرديند فلما مات فرديند ظن
حنادلبرطه انه يمكنه استرجاعها لاسيما وكان ظاهر الاحوال يغريه وزيرين
له آماله حيث كان كرلوس لم يحضر الى اسبانيا وكان اشراقها في فشل
وشقاق فظن بذلك حنادلبرطه انه ينجح في مشروعه وبأخذ بلاده من غير
مشقة ولكن تيقظ الكزيمينيس وفطنته افسد اعليه ما كان دبره في هذا الشأن
حتى ذهب سعيه هباء منثورا فكان الكزيمينيس يفهمه الناقب ورايه
الصائب قد ابصر العاقبة وادرك انه يخشى على هذه المملكة فكان اول شيء
بدأ به حكمه هو انه ارسل اليها جيشا عظيما يقوم بحفظها وضبطها فبينما كان
الملك حنادلبرطه مشغولا مع بعض عساكر من جيشه بمحاصرة مدينة
سبانيايد وپورط اذ هجم القرم الخبير وبلالوا على البعض الاخر من هذا
الجيش وبدد شمله فعند ذلك اخذ الملك حنادلبرطه في الفرار فكانت هذه
الواقعة آخر الحرب المذكورة لكن لما كانت مملكة نوار وقتئذ كثيرة المدائن

سنة ١٥١٦

والقلاع الغير المحصنة بحيث لا يمكن ان تدافع عن نفسها ان اغار عليها جيش
ذو انتظام وضبط ودراية بالقنون العسكرية بل ربما كانت هذه القلاع قضر
ولا تنفع بان يتخذها الاعداء ملجأ يأتون اليه امر الكريمينيس الذي كانت
لا تفتقر لهمة بهدمها كلها ما عدا مدينة بيلون فانه ابتساها وعزم على ان
يحصنها تحصينا جيدا ولولا هذا الاحتراس العظيم لانزعزت قوار من بلاد
اسبانيا لان جيوش فرنسا وية اغاروا عليها بعد ذلك المراتر العديدة واخذوها
بدون مشقة الا انه كان يحصل لهم بعد الاستيلاء عليها جميع المشاق التي تحصل
للجيوش في ارض اعدائها واما اهل اسبانيا فكانوا يأخذون من الاقاليم
الاسبانية القريبة منهم جميع ما يحتاجون اليه من العساكر ويتقضون
عليهم كالعقبان فكانوا اذا اشتد الحال بهم لا يجدون قلعة يحمون
بها يأتون اليها فيتركون البلاد في اقرب مدة كما قصوها ويركنون الى
القرار

واما الحرب الثاني فكان ببلاد افريقة مع الشهير هوروق برروس اى ذى
الحية الصغرى وكان من ارباب الصيال في البحر فصار بشجاعته ملكا على بلاد
الجزائر و تونس ولكن لم ينجح الكريمينيس في هذا الحرب كما نجح في الاول وذلك
ان سر عسكر الجيش الاسبانيولى سلك مسلكارديتا وكذلك الضباط خاطروا
باقتسامهم من غير تبصر ولا حزم فانتصر عليهم هوروق بدون مشقة وهلك
مقدار جسيم من عساكر اسبانيا ومن بقي منهم رجع يجر ذيل الخزي والعار
ومع ذلك لم يتغير حال الكريمينيس من هذه الهزيمة التي لم يسبق له غيرها
وقتش ذيل بقي ثابت الجنان وازدادت بهجته وروقه وما كان احد يظن فيه ذلك
لانه كان اذا شمرع في مقصد لا يهأله عيش الا بعد تميمه ونتيجته

وقد نسبت هذه المصيبة في اقرب زمن ولكن حصل بعدها بقليل امر اوقع
الكريمينيس في الحيرة واغضب سائر اهل اسبانيا وهو قبح سلوك
الفلنكيين ارباب ديوان كركوس وذلك لان الامير شيوره نديم الملك
كركوس واعظم وزرائه كان مع فضله وعارفه له خصلة ذميمة وهى طامعه

ودانة نفسه فلما تولى كركوس ملكا على اسبانيا امكن لهذا الامير ان
يشقى غليل طمعه وذلك ان كركوس مادام ببلاد القلمنك كان كل من
يطلب منصبا او انعاما يذهب اليها فكان الناس يدخلونها افواجا فواجا لانهم
رأوا انه لا يمكنهم نيل مرادهم الا بواسطة الامير شيوره فاخذوا يتوسلون
اليه ويستميلونه بالرشوة الى اعانتهم على قضاء اوطارهم فانتقلت كنوز اسبانيا
وخزائنها الى البلاد الواطية وصارت المناصب وغيرها تباع في ديوان كركوس
وربما كان المنصب وما اشبهه يطلبه عدة اناس فينزايدون فيه بالرشوة كانه بضاعة
في سوق نوذى عليها بالمزاد ولا يثبت الا لمن يشتره باعلى الاثمان واقتدى سائر
ارباب الدولة بالامير شيوره في هذا الامر الموجب للعار والفضيحة وجعلوا
كلهم بضاعة يتجرون فيها على رؤوس الاشهاد فاغتطا اهل اسبانيا من ذلك
حيث رأوا ان اعظم مناصب بلادهم كان يبيعها اناس غربا من القلمنك
لا يرغبون في سعادة اسبانيا ولا في فخارها ولما كان الكزيمينيس بطبعه
يحب مثل هذه الامور الدنيئة وكانت نفسه عزيزة شريفة تجل عن مثل هذه
الذائل التي تدنس المرء وترى بالعرض اخذ يتشكى من قبح سلوك الفلمنكيين
واخبر الملك بذلك حيث كتب له ان اهل اسبانيا اصحاب حرية واثقة
لا يطيقون قبح سلوك الفلمنكيين وقد ازداد غيظهم واشتد غضبهم حتى
ضاقت عليهم الارض بما رحبت وان اسبانيا صارت في حالة تستدعى حضوره
اليها بدون تراخ ولا مهلة لكي يرزى بنفسه غمات الكروب وضبابات المخاوف
وان الخطوب التي انعقدت وتراكمت على المملكة

وكان كركوس يعرف انه قد تأخر زمنا طويلا عن الذهاب الى اسبانيا
ليأخذ بعنان ممالكه ولكن كان ثم وداع قوية تمنعه عن ذلك مدة اخرى
ولا تاذن له بالارتحال من مملكة البلاد الواطية وذلك ان الحرب الذي انعقد في
بلاد ايطاليا بسبب عصبية كبريه كان لم يزل باقيا على حاله لم تخمد نيرانه
وان كانت جيوش الاحزاب في هذا الحرب قد سلكت طرقا مختلفة وحصل
بينهما الفشل والشقاق حيث تعاهدت مملكة فرنسا مع جمهورية

مطلب
حث الكزيمينيس لكركوس
على الحضور الى اسبانيا

سنة ١٥١٦

البنادقة بعد أن كانت من جملة المتعصبين عليها وكان الامبراطور
مكس جيليان والملك فردينند منذ بعض سنوات يتحاربان مع الفرنسيين
بعد أن كانوا في مبداء الامر متعاهدين معهم حتى ان الجيوش الفرنسية هي
التي نصرتهم واثبتت لعصبتهم النجاح والظفر فكان فردينند ترك الحفيدة
كرلوس ممالك عظيمة ترك له ايضا هذا الحرب الكبير والظاهر ان الامبراطور
مكس جيليان كان يجرى كرلوس على ان لا يدع محاربة الفرنسية لما انه
كان شديد التولع بالمشروعات الجديدة ولكن كانت تجارات الملك قد
تأسست مدة هذا الحرب على ما بقي من آثار تجارة اهل البنادقة وصارت
تنمو وتزداد فابوا ان يجاربوا الفرنسية خوفا من ان يجر ذلك الى اضرارهم
وتعطيل تجارتهم وكان الامير شيوره ذا فراسة عظيمة ودراية كبيرة
في معرفة مصلحة بلاده ولكن كان طامعه في الغالب يلهيه عنها الا انه في تلك المرة
لم يتبع شهوات نفسه بل اظهر ان الصلح بين الملك وفرنسا ضروري
لابد منه وان الحرب بضرر يبلاد الملك كل الضرر فكتبت مراسلات الصلح
الى فرنسيس الاول ملك فرنسا وكان حينئذ لاهليفه بعينه حتى
يعتمد عليه ويامن على فتوحاته الجديدة التي كان استولى عليها في ايطاليا
فحصل له السرور والفرح باعراض هذا الصلح عليه وكان وكيل كرلوس الامير
شيوره المذكور ووكيل فرنسيس الامير بوازي وكان كل منهما ناظرا
على ملكه في صغره وترى كرلوس تحت ادارة شيوره وفرنسيس تحت
ادارة بوازي وكان كل من هذين الوزيرين يرغب في الصلح لما انهما كانا
يعلمان ان معاهدة الملكين معا هي اسعد حادثة لهما ولرعاياهما فتذاكر
الوكيلان في شأن ذلك بمدينة نوايون وبتا هذا الامر في مدة يسيرة وكان
الغرض من ذلك عقد مشاورة بين الملكين بها تكون معاهدتهما معا
ومدا فتماعن بعضهم ما عند الضرورة بحيث لا يتخلل احدهما عن الاخر وكان
من جملة الشروط الاصلية زواج كرلوس للاميرة لويورة بنت
فرنسيس الاول ولم يكن له سواها وكان عمرها وقتئذ سنة واحدة وكان

مطلب
عقد الصلح بين كرلوس
وملك فرنسا في (١٣)
شهر آب

سنة ١٥١٦

فرنسيس قبل هذه المشارطة يتنازع كرلوس في مملكة نابلي فتركها له
حينئذ في نظيره شواربنته وجمها زهاولكن حيث كانت هذه المملكة بيد ملك
اسبانيا جعل على كرلوس ان يدفع لملك فرانسوا مائة الف ريال في كل
سنة حتى يحصل عقد النكاح وبعد ذلك يدفع خمسين الف ريال مادامت الاميرة
لم تلد من كرلوس وانحط الراي ايضا على انه حين وصول كرلوس الى
اسبانيا يذهب اليه وورثة الملك خنادر برطمة ليطلبوا حقهم في مملكة نوار
فان لم يرضهم كرلوس وجب على فرنسيس ان يساعدهم بجميع طاقته
فتشأ عن هذه المعاهدة اتحاد كرلوس و فرنسيس وكان لها ثمرة اخرى
عظيمة وهي ان مكسيمليان رأى انه لا يمكنه مقاومة مملكة فرانسوا
وجمهورية البنادقة معا فاضطر الى عقد الصلح معهم ما وبطل الحرب
الطويل الممول الذي ترتب على عصية كبريه وبالجملة فقد ترتب على
معاهدة كرلوس و فرنسيس ان بلاد اوروبا بتامها مكنت بعض
سنوات وهي في الراحة والاطمئنان وان كان قد حصل فيما بعد بين هذين الملكين
عداوة كبريه نشأت عن طمعهما فعدا بلاد اوروبا واقعا فيها الفشل
والشقاق مدة حكمهما

مطلب

منع اهل الفلنك كرلوس
عن السفر الى بلاد اسبانيا

ثم انه بمشارطة مدينة نوايون فتحت سبل اسبانيا لكرلوس وصار
لا يمتحن شيئا اذا سافر اليها ولكن كان اهل الفلنك لا يحبون منه ان يجهل هذا
السفر حيث يعلمون انه يعود عليهم بالخسارة والضرر وذلك ان كرلوس مدة
اقامته ببلاد الفلنك كان يصرف ايراده وسنوياته وكانت فائدة تبذيره
تعود على ندمائته الفلنكيين من غير ان يشركهم فيها احد لان بلادهم كانت تحت
الحكومة وجميع الانعامات الملوكية كانت توزع بايديهم وشتان بين حالهم
في تلك الصورة وما لهم في صورة ما اذا سافر كرلوس الى اسبانيا لانه من
الجانان يجرموا من تلك القوائد الجذيلة وذلك انه عند حلوله باسبانيا رجما
اعطى لاهلها عتقان ادارة بلادهم فتصير مملكة البلاد الواطية معتبرة كاقليم تابع
لبلاد اسبانيا وبعد ان كان اهل الفلنك يتصرفون كيف شاؤوا

(القائمة الاولى)

بتاريخ الابرطور شرلكان

٣٩

سنة ١٥١٦

مطلبه

خوف الفاندة كمين من
اكريمينيس

في الانعامات الملوكية ويعطونهم لمن ارادوا يضطرون الى طلبها من ايدى اهل
اسبانيا وما كان يخشاه الامير شيوره ريادة على ذلك هو مقابلة اكريمينيس
للملك لان هذا الخبر باستقامته وشرف نفسه كان له في عقول الناس تأثير قوي
فكان من الممكن انه بفضلهم ومعارفه وجلالته وكبرسه يأخذ بعقل الملك
كرلوس لما انه كان شابا بلا لالان تؤثر فيه النصائح العظيمة وتتمكن منه شعار
النفوس الكريمة التي يبديها له اكريمينيس واذا عرف كرلوس فضائله
وخصلاته الحميدة قل وثوقه باهل القلنك لانه يرى ان طباعهم مباينة
بالكلية لطباع هذا الخبر الصادق ورأا وأربا آخر وهوان كرلوس ان ترك
لوزراء القلنك ما كان لهم في مصالحه من الحل والعقد فان اكريمينيس
يغضب من ذلك ويراه من المعرة للحلة الاسبانية التي هو منها في بذل جهده
في المدافعة عن حقوق بلاده كما فعل ذلك لاثبات المزايا والحقوق الملوكية فكل
هذه الاسباب دعت وزراء القلنك الى بذل جهدهم في منع كرلوس عن
السفر الى بلاد اسبانيا وحيث كان هذا الملك امانة سريع الميل لا تجربة له
حتى يعرف قلوب الرجال لاسيما وكان يحب الوطن الذي ولد به ابني السفر الى
وقت آخر ومكث بمملكة البلاد الواطية سنة كاملة بعد مشاركة مدينة
نوايون

مطلبه

سفر كرلوس الى اسبانيا

ولكن كان اكريمينيس دائما يرسل الى كرلوس ويلم عليه في الحضور الى
اسبانيا وكان جده مكسيمليان يحثه على السفر حين اطهر اهل اسبانيا
القلق من غيبته عنهم فعزم كرلوس على السفر ولم يرجع عن عزمه ولما سافر
صحبه الوزير شيوره وعدة من اشراف القلنك وبيكراداتها وهم في ابهة
ورونق عظيم وانما صحبوه لرغبتهم في مشاهدة جلالته وقدره في غير بلادهم
وليكون لهم حظ في فيض احسانه وذهمه فركب السفينة ومعه هؤلاء
المذكورون وبعد ان جاب مسافة كابد فيها هوالا واطارا رسا على مدينة
ويلاويسيوزة في اقليم الاستوري مع اربع موكب واعظم احتفال وسر
لحضوره سائر الناس لانهم كانوا ينتظرونه مع مزيد التشوق كما هو شان مله

في (١٣) من شهر ايلول

سنة ١٥١٧

مكنت زمرنا طويلا تنتظر ملكا جديدا ترغب في الوقوف على حقيقته واخذ
اشراف اسبانيا يهرعون اليه من كل فج عميق واطمروا من بها الروثق
والزينة ملا يمكن لاهل الفلنك ان ينسجوا على منواله
وكان اكريمينيس مسرورا بحضور الملك وبعد ذلك من اعظم ماتنته
اسبانيا من الامور السعيدة فاخذ يهرول بين يديه بقدر ما ياذن له به هرمه
وضعف بنيته لان هذا الرجل العجيب مدّة نيابته على المملكة كان لم يزل على
تقشفه وزهده الخارج عن الحد وكان مع ذلك له مواظبة عظيمة على الاشغال
الصعبة ولا شك ان هذا يهدم اعظم القوى ويضعف صحة الاجسام فكان
يعتكف كل يوم عدة ساعات للعبادة ويؤدى الصلاة والادعية على الوجه الاتم
ثم يشتغل بالمطالعة وقرآءة الكتب هذا وكان لا يتكلم اصلا عن حضور المشورة
ويقرأ جميع الاوراق والعريضات التي تقدم له ويعمل المراسلات والاعلانات
اللازمة وينجز بنفسه سائر مصالح الدولة مدنية كانت او عسكرية اوقسية
فجميع اوقاته كانت لا تخلو عن اشغال مهمة جسيمة وكان اذا اراد ان يريح
نفسه من الشغل يكثر مع الرهبان وعلماء اللاهوت وينظرهم في مسائل
مشكلة من علوم اللاهوت التدريسية فبعيشته على هذا الوجه وطعنه
في السن صارت صحته كل يوم في التناقص والهبوط فسافر لقا بالملك وهو
على هذه الحالة فاصيب في مدينة بوزيكيلوس ببلاد اسبانيا بمرض
شديد وظهرت عليه علامات مخوفة عجيبه حتى زعم من كانوا معه في هذا السفر
انهم رأوا فيه علامات السم الا انهم لم يعرفوا من فعل ذلك معه هل هم اشراف
اسبانيا ليقفه وامنه بما فعله معهم او هم وزراء الفلنك اغيبرتهم منه

فلما نقل على اكريمينيس المرض ولم يمكنه السفر مكنث بمدينة بوزيكيلوس
المذكورة وكتب الى كروس ما كان قائما بنفسه من غير ان يخفى منه شيئا
كما هو دأبه فتعجه بان يطرد جميع الامراء الفلنكيين الذين كانوا معه لان
افعالهم السابقة اغضبت اهل اسبانيا واذا استروا معه ولم يطردوهم بغضب
منه الاسبانويليون ويبغضونه ودعاء ان يمن عليه بمقابلته واجتماعه به

سنة ١٠١٧

مطلبه
خيانة كرلوس

لغيرهم حالة الغلبة الاسبانيولية ويوجهه على طباعها فحزب امرآء القلنك
وامرآء اسبانيا وبذلوا جهمهم في منع الملك عن مقابلة الكزيمينيس
حتى انهم بعد ان انتقل الكزيمينيس الى مدينة ارانده صاروا يذنون
جميع وسعهم ويحاولون كل المحاولة في ابعاد الملك عن هذه المدينة حتى لا يجمع
به وبسعيهم بطلت جميع المقاصد التي اوصى بها الكزيمينيس واخذ كل من
امرآء اسبانيا والقلنك يفعلون ما يفهم الكزيمينيس والملة
الاسبانيولية ان شوكتهم قريية السقوط ولم يبق على قدمه ايها بالكلية
الا اليسروا هتموا في اذاعة هذا الخبر بين الخاص والعام في اسبانيا حتى انهم
في الاشياء الواهية التي يستوى وجودها وعدمها عند الكزيمينيس كانوا
يذنون جهمهم في فعل ما يظنون انه يغضبه ويوجب غمه وحرنه ومع انه كان
من عادته التجمل على تحمل الاساءة والاذى حصل له في تلك المرة كل الجزع
والضجر ولم يمكنه تحمل هذه المعاملة السيئة لانه بسبب فحشه في الخدمة
واستقامته كان يؤمل من كرلوس ان يكافئه باحسن من ذلك حيث انه
احيي له مملكته مدة حكمه واصلحها حتى صارت في حالة زاهية زاهرة لم تحظ بها
قبل ذلك وصار للتاج الملوكي شوكة عظيمة متينة لم يثبت مثلها غيره ممن حكم
قبله من الملوك فلم يقدر الكزيمينيس في عدة احوال على ان يخفي غضبه وغمه
ويكتم ما يوجب تشكيه وهمه واطهر التاسف على سوء حظ وطنه وبلاده واخبر
بانه سيحصل لهما مصائب شتى بسبب سفه الغربا وظلمهم وجهلهم فبينما كان
متعبا في امره بسبب هذه الامور اذ جاءه كتاب من الملك كرلوس ليس فيه من
الاحترام ما يكفي في الدلالة على اهتمام المرسل بالمرسل اليه لبرودة عبارته وفيه
اذن له بالذهاب الى ابرشيتة ليقضي فيها مع الراحة ما بقي من عمره الذي لم يسترح
فيه لحظة واحدة فحين وصل هذا الكتاب الى الكزيمينيس وقرأه اذ ادغم واشتد
المه وكانت عزة نفسه تقضي بانه لا يعيدش بعد هذا الخذلان وربما اضربه ما كان
قائما بنفسه من انه سيحصل لوطنه مصائب شتى وبالجملة فلم يعمل الفم الذي قام
بنفسه من هذه الفكرة فمات بعد ان قرأ كتاب الملك ببعض ساعات واذا نظر

مطلبه

موت الكزيمينيس في
من شهر تشرين الثاني

سنة ١٥١٧

الانسان الى كثرة مشروعات هذا الوزير وعظمها ونجاحها مع انه لم يقم بالنسابة
الا عشرين شهرا شهد بانها قد استوجب المدح الجليل والثناء الجليل لفراسسته
في المشورات وفطنته وحرمة في المشروعات وشدة عزمه في تنفيذها وشهرته
بالقرحة والذهبي والتقوى وجميع تلك الخصال الحميدة مرسومة الى الان
في اذهان اهل اسبانيا فتراهم يذنون عليه في كل وقت وحين وقد اشتهر
في عصره من بين الوزراء بالتصوف حتى انه بمفرده هو الذي شرفه ابناء وطنه
باسم الصوفي وقال عليه الاهالي مدة ادارته للمملكة ان الله قد اكرمه بظهور
خوارق العادات على يديه

وبعد موت اكرميس بمدة قليلة دخل كروس في محفل عظيم
بمدينة ولادوليد وجمع فيه مشورة وكلاء المملكة قسطنطين ومع انه كان
ملقا بالملك لم تقره تلك المشورة على ذلك وكان اهل اسبانيا لم ير الوايرون ان
التاج الملوكي انما هو حق امه حانه فقط اذ لم يوجد في التاريخ ان ابنا
بويغ بالمملكة في حياة ابيه او امه ولهذا السبب لم تقره مشورة وكلاء المملكة
على ذلك مراعاة للرسوم القديمة واجتنابا لاحداث امور جديدة كماله عادة
المشورات الاهلية من انها لا تعدل عن الرسوم الجارية ولا تميل الى ابتداع
حادثه او بدعة ولكن حين حضر اليهم كروس وصار وزراؤه يذنون غاية
جهدهم من التهديد والتخيل والحذق سلت مشورة وكلاء المملكة في هذا
الامر ورضيت بان يكون المسكامع اسمه بشرط ان يوضع اسمه بعد اسم امه
في جميع ما يتعلق بالمصالح العامة ووقع الاتفاق ايضا على انه لن يرث حنة
من اختلال محفلها وبنونها الملتقط تنحصر للملكية فيما من غير ان يشركها
احد وانمط الرأي ايضا في تلك المشورة على ان يعطى للملك كروس على
سبيل التبرع ستمائة الف من الدوقات يأخذها بالتقسيم على ثلاث سنوات
وهو مبلغ جسيم لم يعط مثله لاحد من ملوك قسطنطين

ولما طلب كروس ذلك المبلغ من ارباب مشورة وكلاء المملكة اجابوه من غير
توقف الا ان ذلك كان اول ما فعله بعد تقريره في الملكية فنشأ عنه غم عظيم

مطلب
عقد مشورة القودس
بمدينة ولادوليد
سنة ١٥١٨

مطلب
مبايعة كروس بالملوكية
في قسطنطين

مطلب
بضم اهل قسطنطين

سنة ١٥١٨

في سائر اقطار المملكة وكان الوزير شيوره مودب كرلوس قد صار عنده
بمنزلة ابيه حتى كان لا يتسكلم ولا يحكم بشئ الا بموجب ما يقتضيه رأى هذا
الوزير وكان دائما لا ينفك عنه امراء الفلنك بحيث كان لا يمكن لاحد من
اهل اسبانيا ان يدنو منه الا باذنهم ولا يكلمه الا بحضرتهم ولما كان لا يعرف
من اللغة الاسبانية ما يكفي كان اذا سئل عن شئ يجيب بجواب قصير جدا
وفي الغالب لا يحسن العبارة في الافصاح عن مقصده فظن معظم
الاسبانيولين انه بطئ الفهم قاصر المذهب وزعم بعضهم ان بينه وبين امه
شبهاء عظيمة حتى اخذ الناس يقولون فيما بينهم انه لا يصلح لادارة المملكة اكثر
منها واما الذين وقفوا على حقيقة طبعه فلم يأخذوا بنظواهر حاله بل عرفوا ان له
معارف غزيرة وفطنة كبيرة الا انهم اتفقوا كغيرهم على انه يميل لاهل الفلنك
لكنهم ابنا وطنه لاسيما وندما وده منهم ولكن لسوء حظ كرلوس كان جميع من
معهم من الامراء الفلنكيين غير جذيرين بوثوقه بهم وركونه اليهم لانهم كانوا
لا يحبونه محبة صادقة ولا يدركون مسلك النصيح في مصالحه بل كان مطمح
بظنهم جمع الذهب وكانوا يخشون ان يدرك كرلوس حقيقة حالهم او يغضب
منهم الاسبانيوليون فيكون ذلك سببا في حرمانهم من شوكتهم وقوذ
كلتهم في اسبانيا فكانوا اذا وجدوا فرصة يتعدون الحدود في السلب
واكل اموال الناس لانهم كانوا لا يطمعون ان يبقوا زمنا طويلا على حوالتهم
ونفوذ كلتهم فكانت جميع المناصب الرفيعة والوظائف الشريفة والانعامات
لا يحظى بها الا اهل الفلنك او من يشتريها منهم على رؤوس الاشهاد وكان
شيوره وزوجته والامير سواج الذي لم يصب ككرلوس في توليته
فخاير قسطنطية بعدموت الكزيميريس يتسابقون الى كل ما كان فيه
ازدياد هذا الاختلاس واتساع دائرة بيع المناصب وما اشبهها ولم يذكر هذه
الحوادث المورخون الاسبانيوليون دون غيرهم حتى يتوهم عدم صحتها
لوتنظم من مبالغات المورخين بل ذكرها المورخون الاجانب في مكاتبات
المؤلف بطرس مارتيز انكوريا الذي كان وقتئذ يدون اسبانيا بمبالغات

زائدة في وصف شره الظنكين وطمعهم يستبعدا العقل كل الاستبعاد مع انه لم يكن ثم سبب يحمل هذا الموقف على ارتكاب الكذب في مراسلاته وتدوين اشياء ليس لها وجود وقد قال المواقف المذكور انه في ظرف عشرة اشهر نقل من اسبانيا الى مملكة البلاد الواطية من الدوقات (صنف معاملة) مليون ومائة الف فاصبروهناك حادثة اخرى اغضبت اهل اسبانيا اكثر من جميع تلك المظالم وهي تقليد غليوم دو كرواي وهو من اقارب شيوره منصب المطرانية على طليطلة مع انه كان شابا لم يبلغ السن الذي عينته القوانين القسيسية لمن يتولى هذا المنصب فظهر لهم ان ترقية هذا الامير الغريب الى هذا المنصب الذي هو اعل المناصب الدينية بمملكته واعظم مناصب بلادهم على الاطلاق اراد اوثرة محض ظلم واجحاف بل وفيه تزييل للالة الاسبانيوية فحملت المصلحة او البغضة كلا من القسيسين وامراء الالابيك على المعارضة في هذا الشأن

ثم سافر كركوس من مملكة قسطيلة وتركاهلها في غم شديد يتشكون من ادارته وتوجه الى مدينة سراغوسة ليجمع فيها مشورة وكلاء المملكة فاجتمع في سفره باخيه فردينند وكان يريد ان يبعده عن ممالك اسبانيا بوجه حسن فتعل بان جدهما مكسيميليان متشوق الى رؤيته ومتشوف الى مقابله وارسله الى بلاد المانيا ولا ريب ان هذا احتراس عظيم ناشئ عن الحزم وسداد الرأي لانه لولا هذا الاحتراس لفقد كركوس جميع ممالك اسبانيا لانه بعد سفر الامير فردينند بقليل حصلت ببلاد اسبانيا قتن واقتلابات مهولة بحيث لم يشك احد في انه لو كان فردينند موجودا اذذاك لاعطاه الاسبانويون تاج مملكته لانهم كانوا يحبونه حبا جما ويميلون اليه كل الميل وكان فردينند طماعا بحيث لا تأذنه نفسه مع اشارة خاصه عليه ان يعرض عن التاج اذا عرض عليه

وكان الاراغونيون الى ذلك الوقت لم يقرروا كركوس ملكا عليهم ولم يجتمع مشورة وكلاء المملكة بامر ولا باسمه بل اجتمع باسم الجوستورا

مطلب
جمع كركوس مشورة وكلاء
مملكة اراغون

مطلب
كون توقف الاراغونيين
في هذا الشأن وعصيانهم
اكثر من القسطلبيين

سنة ١٥١٨

(اي القاضي الاعظم) لان هذا الحق كان من خصوصياته ومن اياه مدة خلو
الكرسي الملكي عن يشغله ولما انعقدت هذه المشورة واجتمع اربابها
وعرض كرلوس عليهم ان يبائعوه على الملوكية انكروا عليه ذلك ونازعوه
اكثر من ارباب مشورة وكلاء قسطنطية لكنهم بعد مدة طويلة في المنازعة
وعدم التسليم نال منهم ذلك على ان تشاركه فيه امه حاته وكان ذلك منهم
بعد ان اخذوا عليه موثقا على رؤوس الاشهاد انه لا يمتك حرمه الاراغونيين
ولا يتعدى على ادى شئ من حقوقهم ومن اياهم كما هي عادتهم مع كل من تولى
عليهم وقد توقعوا ايضا غاية التوقف حين طلب منهم كرلوس مبلغا على
سبيل التبرع كما طلب من مملكة قسطنطية فانه لما طلب منهم ذلك مكث
ارباب مشورة وكلاء المملكة عدة اشهر وقوسهم لا تسمح باعطائه هذا المبلغ
قائلين نفعه لنفع المملكة ونصرفه في ديون التاج فقصوا منه تلك الديون
التي كانت قد تنوسيت منذ زمن طويل بحيث لم يبق منه للملك كرلوس
الامبلغ قليل ولما شاهد اهل اراغون ما حصل في قسطنطية صاروا
في حذر عظيم واحترسوا بقدر ما يمكنهم وجعلوا يدافعون عن بعضهم لما رأوا
ان المحافظة على حقوق ابناء وطنهم وما يدعون من المزايا والخصوصيات
مهما كانت اولى من كونهم يسلمون للغرباء في امور مملكتهم فيسلمون اموال
وطنهم كما فعلوا بمملكة قسطنطية

وفي انشاء انعقاد المشورة بمدينة سراغوسة اتت رسل الملك فرنسيس
الاول ورسل ملك نوار الذي كان شابا الى تلك المدينة ليطالبوا
من كرلوس ان يتخلى عن مملكة نوار كما هو مقتضى الشروط
المتفق عليها في المشاركة التي انعقدت بمدينة نواتون ولكن لما كان
كرلوس لا يريد تسليم هذه المملكة فوض الامر في شأنه لاشراف قسطنطية
فلم يرضوا به وبعد مدة حصلت مذاكرة بين الفريقين في مدينة موتيميليه
(احدى مدن فرنسا) لاجل انتهاء هذا الامر بالتي هي احسن ولكن كانت هذه
المذاكرة لا طائل تحتها ولم ينشأ عنها اتفاق بين الاسبانيولين والفرنساوية

سنة ١٥١٨

سنة ١٥١٩

لان رسل الفرنساوية كانوا يتعللون بان عدم تسليمها لاصحابها من محض
التعدي والظلم واما رسل اسبانيا فلم ينظروا الا الى عظم تلك المملكة فشق
على قلوبهم تسليمها

ثم سافر كرلوس من مملكة اراغون الى مملكة قشتالونيا فبكث فيها
ايضا زنا طويلا وادلمها ممتنعون من مبايعته وما اخذ منهم من النقود كان
اقل مما اخذه من مملكة اراغون هذا وكان اهل اسبانيا يبغضون
الملكيين لما ارتكبهوه من الظلم والاختلاس في سائر اقطار الاسبانية وولية
لاسيما وكانوا اصحاب حربة وعزة نفس فلم يطيعوه وان يفعل الا جانب في بلادهم
على ما تقتضيه ذمواتهم النفسانية واطماعهم الفاحشة فبدلوا جهدهم
فيما يكون به انتقاد بلادهم من اختلاس هؤلاء الاغراب وظلمهم

ولما اشتد ظلم الملكيين في قسطنطية صمم اهلها على ان يتركوا الاهمال الذي
افضى بهم الى امور شنيعة وجعلهم محتقرين عند غيرهم من اهالي اسبانيا
وتعاهدت مدينة سيقوييا ومدينة طليطلة ومدينة اشبيلية
وعدة مدن اخرى من اكبر مدائن قسطنطية على المدافعة عن حقوقها
ومزاياها ومع ان الاشراف قد لزمو السكوت في هذه القرصة ولم يبذلوا
جهدهم كما كان يؤمل منهم كتبت المدائن المتعاهدة للملك تقريراً بينت فيه
على وجه التفصيل ان المملكة في اسوء حال لقبح ادارة ندمائه الملكيين
وكان موضوع هذا التقرير هو التمسك من تقليد الغرباء بمناصب اسبانيا
ونقل اموالها الى بلاد الفلنك وزيادة الجرائم والغرامات وطلبت من الملك
ان ينصفها في هذه الاشياء ودققت في ذلك غاية التدقيق وتجامرت كل الجسارة
حتى قدمت هذا التقرير اقولاً للملك في مدينة سراغوسة ثم في مدينة
برشلونة فلما لم يعن الملك به اغتاظت المدائن المتعاهدة وتعصبت مع بعضها
على الملك وترتب على ذلك في مملكة قسطنطية المعاهدة الشهيرة بمعاهدة
الجمعيات البلدية ونشأ عن تلك المعاهدة في ممالك اسبانيا اختلال عظيم
وفشل كبير حتى تزلزل الكرسي الملكي واضطرب وكادت صورة اسبانيا تتغير

سنة ٥١٩ في

مطلب

موت الايمبراطور

مكسيليان في ١٢ من

شهر كانون الثاني

بالكلية وينسخ ترتيبها الذي كانت عليه

ولم يمكث كرلوس مدة قليلة بمدينة برسولونه الاوبلغه وقوع حادثة
مشؤومة تأثر منها اكثر من عصيان القسطيليين وتوقف مشورة بمسكة
قشالونيا معه وامتناعها من اعطائه ما يطلبه منها وتلك الحادثة هي
موت جده الايمبراطور مكسيليان نعم لم يكن موته في حيد ذاته عظيم امر
لانه لم يكن صاحب شوكة ولا فضل ومعارف حتى يتأسف على فقد
الانه ترتب عليه عواقب شنيعة صار بها من اعظم الحوادث التي ذكرت
في تواريخ القسرون المتأخرة وذلك لانه نشأ عنه تعكير المراء والصالح العام
الذي كان لاداد الافرنج وترتب عليه أن صار بين فرنسيس الاول وكرلوس
عداوة وبغضاء نشأ عنها تعكير اوربيا بتمامها حيث اضطرت في انيران
حروب مهولة عمت معظم ممالكها وطالت مدتها اكثر من سائر الحروب
التي حصلت في عهد جمهورية الرومانيين

وكانت التقلبات والفتن التي تسببت عن اغارة كرلوس الثامن ملك فرانسا
على بلاد ايطاليا قد اذهمت ملوك اوربيا اهمية المنصب الايمبراطوري
(منصب ايمبراطورية المانيا) وذلك ان الايمبراطورية الالمانية كانت تدعى
ان لها حقوقا في بعض المالات ايطاليا وان لها التصرف المطلق والسيادة
والولاء على بعض آخر نعم ان الايمبراطرة الذين كانوا قليلي المعارف والشوكة كانوا
لا يدعون تلك الحقوق وكانوا لا يستعملون تلك السيادة الا نادرا ولكن كل
من المعلوم انه متى حكم في المانيا ايمبراطور ذو شوكة ودها وحزم ونهى
واجتهد في هذا الشأن يخرج كل النجاج ويدخل تحت حكمه معظم بلاد
ايطاليا ومع ان مكسيليان كان ضعيف الشوكة كثير التردد في المشروعات التي
عرف أن يجلب لنفسه فواتد جلية من جميع الحروب والمشارطات التي
حصلت في ايطاليامدة حكمه هذا وكان رئيس الايمبراطورية الالمانية
له الكلمة على سائر ملوك النصارى وكان للمنصب الايمبراطوري حقوق
عظيمة لاسيما اذا كان المنصب المذكور بيد ايمبراطور ماهر يمكنه احياؤها

سنة ١٥١٩

وتعصدها فانها تزداد عظما وروقا وتلك الاسباب كان هذا المنصب
جديرا بان يكون مطمح انظار ملوك الافرنج وميدانا تتسابق فيه

اطماعهم

ثم ان الامبراطور مكسيمليان كان قبل موته بمدة قد بذل جهده في ابقاء
المنصب الامبراطوري لعائلته الاوسترياسي في ان يجعل حفيده كرلوس
ملك اسبانيا خليفة في الامبراطورية ولكن حيث كان من الشروط المقررة
وقتشذان البابا هو الذي يتوج الامبراطور في محفل عام وكان مكسيمليان
لم يتوجه البابا كان معتبرا انه امبراطور ولي بطريق الانتخاب لا غير
ولم ينبه احد من المؤرخين على ان هناك فرق بين امبراطور توجه البابا
وامبراطور ولي بطريق الانتخاب ومع ذلك فلم يثبت لمكسيمليان في كل
من ديوان ايطاليا و المانيا سوى تلقية بملك الرومانيين وحيث لم يثبت
في التوار يخ ان ملكا من ملوك الرومانيين قد جعل له قبل موته خليفة يحل
محل في الحكم وكان اهل المانيا يحترمون قوانينهم ورسومهم القديمة
ايوا ان يمكنوا كرلوس من هذا المنصب حيث لم يكن له فيه اسم مقيد في قوانين
الامبراطورية وامتنعوا كل الامتناع عن تنفيذ اغراض مكسيمليان في هذا

الشان

ولمات مكسيمليان جدد كرلوس بنفسه في طلب المنصب الامبراطوري
الذي اهتم جدته قبل موته في اثباته له ولم ينجح وبارزه في طلبه الملك فرنسيس
الاول وحصلت بينهم مامعادة ومخاصمة عظيمة صارت مطمح انظار ملوك
اوربا اعظم مقام المتسابقين الى هذا الغرض واهمية ما كانا يتطابانه فكان
كل منهما يسعى في تحصيل هذا المنصب بثبات قلب كانه متيقن النجاح في سعيه
فاما كرلوس فكان يرى ان المنصب الامبراطوري منذ زمن طويل لم يخرج
من عائلته الاوسترياسي فهو حق ثابت له بطريق الوراثة لاسيما وكان لا يرى
في الامبراطورية امير صاحب قوة وشوكة ينازع فيه وكان يعلم ان اهل
المانيا لا يرضون بترقية ملك اجنبي عليهم حيث ان المنصب الامبراطوري

مطلب

سعى مكسيمليان في اثبات
التاج الامبراطوري
لحفيده كرلوس

مطلب

سعى كل من كرلوس
وفرانسيس في نيل
المنصب الامبراطوري

مطلب

دعوى كرلوس في شأ
المنصب الامبراطوري
ووجه طمعه في التاج

سنة ١٥١٩

منذ قرون عديدة لم ينتقل الى غيرهم لاسيما وفرنسيس الاول زيادة على كونه اجنبيا منهم كان له اسباب اخرى تمنع من صلاحيته لان يكون ايمبراطورا في المانيا منها ان رعاياه الفرنسية كانوا سبائين لاهل المانيا في العوايد والاخلاق والحكومتهم بحيث لا يمكن التأليف بين قلوب هاتين الامتين هذا وكان كرلوس يأمل ان ماعرضه مكسبيليان قبل موته في شأنه ان لم ينجح فقد اتى ذكر كرلوس في اذهان الامراء المنتخبين وشم امر اخر كان يقويه في طلبه للتاج الايمبراطوري وهوان دوله الوراثية في المانيا كانت حارضا حصينا تجمعي ايمبراطورية المانيا من اغارات الدولة العثمانية التي كانت تخشاه وتقتد جميع ممالك اوروبا وكان السلطان سليم الثاني بفتوحاته العديدة الكبيرة ومعارفه الغزيرة واطماعه قد اوقع الرعب في قلوب الملوك الافرنجية لانه هزم دولة المماليك ومحققهم عن آخرهم وضم بلاد مصر و الشام الى دولته فحصل من ذلك الوقت في الدولة العثمانية اطمئنان عام وخلت عن الفتن والتعكيرات الداخلية حتى كان يمكن لهذا السلطان الماهر ان يشن الغارة على جميع ملوك الافرنج ويوجه اليهم جيوشه التي كانت الى ذلك الوقت تظفر حينما توجهت ولا يمكن لاحد من الملوك مصادمتها ومقاومة قواها التي كانت لا تسكل ولا تقتر فلم يكن هناك واسطة في حياية الايمبراطورية من قوى هذا السلطان التي كانت كسيل العرم احكم واتقن من كونهم يولون على الايمبراطورية ملكا مثل كرلوس له دول واسعة في البلاد الالمانية التي كانت اذذاك عرضة لاغارات الدولة العثمانية بل وكان لا يصلح احد لذلك اكثر منه حيث كان قوى الشوكه فيمكنه عند الضرورة ان يقا تل جيوش الاسلام بقوة عزم ونبات جنان لكثرة عساكره وامواله التي كانت ترد له من محصولات معيادن الدنيا الجديدة (امريكا) ومن تجارات البلاد الواطية فمذه هي الاسباب التي كان كرلوس يعضدها مقاصده في شأن الاستيلاء على الايمبراطورية وقد استحسناها اولو العقول الزكية والاراء السديدة بل وراوا انها براهين قاطعة لا يمكن خدشها بشئ ومع ذلك فلم يقتصر هذا الملك

سنة ١٥١٩

على تلك الاسباب القوية بل اخذ يستميل عقول ارباب الحل والعقد في هذا الشأن بمبالغ جسيمة من الاموال حتى لم يبق شئ الا وفعله لاجل الظفر بمقصد واحد سراً على طرفه الجيش العظيم الذي كانت رتبته مشورة وكلاء اقليم سوابه وبالجمله فقد استمال بالهدايا النفيسة عقول من يبيع عرضه بقبول الرشوة وحل بذلك كل مشكل قوى واما ضعفاء الناس فانه اخرس السنتهم بالتخويف والتهديد

واما فرنسيس الاول فكان ايضا يبدل جهده مثل كرلوس في اخذ المنصب الايمراطورى ويأمل النجاح والظفر فاذا عرسله الذين بعثهم سرا الى المانيا انه يجب على من يحب مصلحة الايمراطورية ان يفهم امرآ عائلة الاوسترياس ان التاج الايمراطورى انتخبى لا وراثى بمعنى انه يجوز لغير امرآ تلك العائلة ان يطلبه ولا يلحق ان يبلغ من سفهها وحققها ان تعتبره كانه متاع من امتعتها او شئ من املاكها لانه ربما لم يكن فى امرآها من يصلح له وانه يلزم للايمراطورية ملك يكون بكبر سنه قد تربت له ملكة وصار له دراية وخبرة بكثره تجاربه حتى يمكنه ان يتقن حكومة تلك الايمراطورية التى كانت وقتئذ فى اضطراب واتقلاب بسبب المذاهب الدينية الجديدة التى كانت متولعة بها عقول بعض الناس وكان يخشى ان تصير لها عاقبة مشؤمة شنيعة واذا عوا ايضا ان كرلوس حيث انه صغير السن قليل الخبرة لعدم تجاربه وممارسته للامور ولم يظهر منه ما يدل على براعته فى الفنون الحربية لا يمكنه ان يقاوم عدوا مثل السلطان سليم الذى قضى عمره فى الحروب وعكس من فنونها واتصرف فى غزوات عديدة ولا تصعب مقاومة هذا السلطان الجسور الذى فتح بلاد آسياه على ملك مثل فرنسيس ارغم فى صغره اخوف السويسيين وقتل بجيوشهم مع انهم كانوا اهل ضبط وربط ودراية تامة بالعسكرية حتى كان لاظن احد الى ذلك الوقت انه يمكن لاي ملك كان ان يقهرهم ويظهر عليهم فاذا حكم فرنسيس فى الايمراطورية وضم الخيالة الفرنسية المشهورة بالشجاعة والشهامة الى القزابة الالمانية المشهورة بالضبط والربط

مطلب

الاسباب التى بنى عليها
فرنسيس دعواه

سنة ١٥١٩

والثبات تألف له من مجموعهما جيش عظيم يفزع منه العدو وبذلك يمكنه عند اقتضاء الحال ان لا ينتظر الجيوش العثمانية حتى تأتي الى بلاده بل يبادر بالاغارة عليهم في بلادهم واذاعوا ايضا نواية كرلوس على الامبراطورية مخالفة لقانون من قوانينها الاصلية وهو ان كل ملك كانت بيده مملكة نابلي لا يجوز له ان يحكم على الامبراطورية لاسيما و كرلوس يتطلب دوقية ميلان فلا بد وان يحصل بينه وبين ايطاليا حرب عظيم فاذا اتى على الامبراطورية ربما جر ذلك الحرب الى اضرارها وصارت عواقبه مشؤمة عليها

وبينا كانت رسل فرنسيس الاول تبتدى هذه الاسباب وما اشبهها في جميع دواوين المانيا اذ بلغ هذا الملك ان توليته على الامبراطورية فيها عسر لكونه اجنبيا عن ديارها ولا يعرف لغتها ولا اخلاق اهلها وعوايدهم فاخذ يبذل جهده فيما تكون به ازالة تلك الموانع وجعل يستميل عقول ارباب العقدة والخل بالمهدايا العظيمة والوعود الجسيمة ولين الكلام وزخرفة القول وحيث ان اوراق الحوالات لم تكن معلومة وقتئذ صار رسل فرنسيس يسافرون من بلدة الى اخرى ومعهم قطارات من الخيل محملة بالذهب ولاشك ان هذا الامر مما يوجب العار والفضيحة لباذلهم واقبالها

وكان ينبغي للملوك اوروبا الاخرين ان يدخلوا واسطة في هذا الشأن الذي له سريان عظيم وتأثير كبير في مصالح ممالكهم حيث ان مصلحة العامة كانت تقتضى ان تعصبوا مع بعضهم على هذين الملكين المتطلبين للامبراطورية لانه ان ولى احدهما عليها تقوى شوكته وازدادت صولته حتى يخشى منه اضاعة حرية اوروبا باجمعها ولكن لم يمكن لاحد منهم ان يعرف حق المعرفة انه من من الضروري اللازم لتحصيل الراحة والامن العام ان يكون هنالك ميزان تعادل بين قوى الممالك وبعضها بحيث لا يتعدى القوى منها على الضعيف لان اذهانهم اذذاك كانت لم تصل الى معرفة اهمية هذا التعادل لانه لم يندرج في مذاهبهم السياسية الا قبل تلك الحادثة بمدة قليلة هذا وكانت الاغراض منسلطنة على نفوس بعضهم وكان البعض الاخر عاجزا عن ادراك العواقب

مطلب
آراء ملوك الفرنج الاخرين

سنة ١٥١٩

مطلب
آراء السويسين

مطلب
آراء اهل جمهورية
البنادقة

مطلب
آراء هنري الثامن

والتبصر فيها لاسيما وكان منهم من يخشى ان يغضب احد الملوك المتطلبين
للايمبراطورية فلم يأخذوا في شيء من اسباب تلك العصبية او المعاهدة التي
كانت لازمة لتحصيل الراحة العامة ومن حملته نفسه منهم على ان يكون واسطة
في هذا الشأن لم يبذل جهده كما ينبغي ولم يعتن به كل الاعتناء

فاما اهل السويسة فكانوا يخشون ان يرقى فرنسيس او كرلوس الى
المنصب الايمبراطوري ويرغبون في تولية ملك آخر يكون ضعيف الشوكة
قليل الممالك والاراضي ولكن كانوا يغضون الفرنسيين فبدلوا جهدهم
في تعطيل مقاصد فرنسيس وافساد مآذره وأبدوا ان الاصوب تولية
كرلوس على الايمبراطورية

وكذلك اهل البنادقة كانوا يريدون ان مصالحهم تقتضي ان يمنعوا كل من هذين
الملكين عن الاستيلاء على الايمبراطورية ولكن كان بغضهم لعائلة الاسترسيا
اكثر واشد لطمعهم اولا ان يجاورتهم كان مشؤومة عليهم حيث اضرت
بعض جمهوريتهم ونخاردولتهم فعدلوا عما كانت تقتضيه اصول السياسة
وقتئذ وبادروا بالدخول في حزب ملك فرنسا

وكان هنري الثامن ملك انكلترة مقتدرا اكثر من غيره على منع كل من
ملك فرنسا والملك كرلوس من الاستيلاء على هذا المنصب الذي يفوق
صاحبه سائر ملوك الافرنج وليكن مع ان هنري المذكور كان يفخر
غالبا بانه ميزان التعادل بين بلاد اوروبا لم يكن جامعا لما تستدعيه هذه
الوظيفة من التبصر وادراك العواقب واصابة الرأي والتؤدة والحزم فلم يستطع
ان يحكم بدون تصد لهذا المنصب الايمبراطوري بل بادر مع من يتطلبه فكان
ثالث الاثنين المذكورين اللذين كانا مطمح نظر ملوك الافرنج وبعث رسولا
من عنده الى بلاد المانيا لطلب التاج الايمبراطوري فتلقا امرأ المانيا
بالتبجيل والاحترام وكذلك رسول البابا قابله باسنى التسليم والاحترام
ولكن لم يتيسر له شيء في شأن تولية سيده على الايمبراطورية فبعد مدة قليلة كتب
اليه انه لم يجد وسيلة في ذلك وان تطلبه لهذا الغرض قديما في الزمن الاخير

سنة ١٥١٩

فلما وصل كتابه الى هنري صدق ان تأخير هو السبب في عدم شجاعه وانه
لولا ذلك لم يحظ به غيره والظاهر انه من وقتئذ ضرب صفحا عن هذا الغرض
حتى انه لم يتعرض فيما بعد لمنع كل من الملكين المذكورين عن الاستيلاء على
الامبراطورية ولا المساعدة احدهما على الآخر

واما البابا ليون العاشر الذي اشتهر بمعارفه السياسية وتولعه بالفنون
فهو الذي لاحظ دون غيره حركات كل من فرنسيس وكرلوس ملاحظة عالم
ماهر متمكن من الاسباب والمسببات وهو الذي رأى عليه انه في حيرة عظيمة
من خوفه على فقد الاطمئنان والراحة من بلاد اوروبا هذا وكانت احكام
البابا واحكام الامبراطور تتعارض في امور شتى وكان كل منهما يتعدى
على حقوق الآخر فكان البابا لا يأمن على اراضي الكنيسة الرومانية
الا اذا كانت شوكة من يجواره ضعيفة فكان لا يبغض اليه من ان يتولى على
الامبراطورية ملك ذو شوكة كبيرة وقريبة غزيرة فحصل عنده قلق عظيم خيفة
من تولية احد هذين الملكين فكانت نفسه لا تطيق ان يعطى كرسى الامبراطورية
للكارلوس لانه كان ملكا على اسبانيا و نابلي والدنيا الجديدة
فكانت شوكمه عظيمة لا تدوم معها شوكة الكنيسة الرومانية وكان يرى ايضا ان
من الخطر عليه وعلى كنيسته تولية فرنسيس حيث كان ايضا قوى الشوكة
فكان ملكا على فرانسسا ودوقا على ميلانه وسلتزم جنويرة فادرك
هذا البابا ان تولية كل من هذين الملكين على الامبراطورية يضر بالكنيسة
الرومانية كل الضرر ويجتر الى سقوط استقلالها وحريتها ويعكر على بلاد
ايطاليا بل ويمكن انه يضر بحرية اوروبا كلها ولكن حيث كان هذان
الملكان ذوي شوكة قوية وبطش شديد بحيث لا يأمن من عاداهما ان كان
يمكنهما الانتقام منه بطرق مختلفة رأى البابا ليون انه لا بد لهذا الامر
عن الخداع والحزم فاستعمل كلا من هاتين الوسميلتين واخذ سرا يبحث امر
المانيا على كونهم يتخبون اميرامن بينهم ويجعلونه على الامبراطورية حيث
ان فيهم كثيرا ممن يمكنه ان يقوم بادارة مصالحها ويوفى بها حق التوفية

ودكرهم بان كرلوس لاتسوخ توليته على الايمبراطورية بموجب القوانين
والرسوم القديمة لانه ملك على نابلي ومن كان بيده تلك المملكة لا يجوز له
ان يتقلد بالمنصب الايمبراطوري هذا وكان يحترض فرنسيس على التثبت
في مقصده ولم يكن قصده بذلك نجاح فرنسيس اوانه كان يحب له ذلك
ترجيحاه على كرلوس بل كان ذلك منه سياسة وخديعة لانه كان يعلم علما
يقينيا ان اهل المانيا يرجحون الملك كرلوس عن فرنسيس الاول
فكان يأمل انه اذا حث فرنسيس على تطلب الايمبراطورية ودقق
فرنسيس ورأى ان اهل المانيا يرجحون كرلوس عليه يبدل غاية
جده في اعطاء التساهل الايمبراطوري للملك آخر غير كرلوس واذا اتفق
ان فرنسيس هو الذي يجد المساعدة والاعانة ورأى كرلوس انه لا يمكنه
الاستيلاء على الايمبراطورية يسعى بلاشك في اعطاء تاجها للملك آخر غير
فرنسيس واعتقد انه بهذا الوجه ينجح في خداعه ويحرم كلا منهما من
الايمبراطورية ولا ريب ان مقتضيات الاحوال كانت اذذاك لاتسوخ للبابا
ان يسلك في هذا الغرض غير تلك الطريقة فدبرها مع غاية من الخزم والخذق
الان اجراها لم يكن على ما ينبغي من انتيظ والتباهة وذلك ان الرسل
الفرنساوية كانوا يلاهون سيدهم ويقوون اماله بان المنصب الايمبراطوري
يثبت له واخذوا ايضا بعقل وكيل البابا حتى نسي ما اوصاه به سيده واستمر
فرنسيس يدقق في كونه هو الذي يتولى على الايمبراطورية دون غيره ولم يقل
باعطاء المنصب الايمبراطوري لاحد غيره او غير غيره ففسدت آمال البابا ليون
وخاب سعيه

مطلبه

انعقاد مشورة الديت
في ١٧ من شهر حزيران

هكذا كانت آمال الخصمين وآراء الملوك الاخرين الذين كان لهم ما رب
تدعوهم الى التوسط بينهما حين انعقدت مشورة الديت الى العموم على
حسب العادة في مدينة فرنكفورت لان الحق في انتخاب الايمبراطورية كان
منذ زمن طويل ثابتا لسبعة امراء معتبرين يقال لهم منتخبون بضم الميم
وكسر الحاء المججمة وقد ينشأ في الاتحاد اصل انشاء هؤلاء المنتخبين وبينا

سنة ١٥١٩

مطلب
اراء الامراء المنتخبين

صولتهم ووظيقهم وما يتعلق بها وكان المنتخبون وقتئذهم الامير البرطه
دوبرندبورغ مطران ميانسس والثاني هرمان قونته وييدوكان
مطران تريويس والرابع لويز ملك جه والخامس القونته لوبر
وكان قونته بالايطيياى صاحب اطيان واملا على نهر الين والسادس
فريدريق دوق سكس والسابع جاشم الاول مر كيز برندبورغ
فاخذ حينئذ رسل الملكين المتقدمين بيدون عللا واسبابا من الظاهر
فاسدة الباطن ويتوقعون بين ايدي المنتخبين ويكثرون لهم من الهدايا
النفيسة ومع ذلك لم يفس المنتخبون امرامهما عندهم بعدونه اصلا لحرية
القوانين المبني عليها ترتيب الامبراطورية وذلك الامر هو ضعف شوكة
الامبراطور لان الجمعية الجرمانية كناية عن جمهورية كبيرة مشتملة على عدة
دول تسكد كل دولة منها تكون مستبدة بنفسها فجمع اعضائها يحبون ان تكون
شوكة الامبراطور ضعيفة حتى لانضيق حقوقهم ومن اياهم وهذا الامر
كان موافقا للطبيعة الحكومة الامبراطورية ولازمها لزوما ذاتيا حتى
ان ارباب السياسة من اهل المانيا كانوا لا يملكون فيه ولا يتحولون عنه باى
وجه كان ولذلك مكثت الامبراطورية عدة قرون من غير ان يولى عليها امير
يكون قوى الشوكة او تكون له اراض وعمالك واسعة ولولا هذا الامر لما بقى
عدة من عائلات المانيا الاعيان يتمتعون باستقلالهم ومن اياهم التى
اكتسبوها فى طرف تلك البرهة الطويلة وحيث كان الامر كذلك رأى
المنتخبون ان توليتهم لاحد هذين الملكين تنضى بهم الى التعب والنصب حيث
رأوا ان تولية احدهما كناية عن اعطاء الامبراطورية لسيد يتصرف فيها كيف
شاء للرئيس تكون افعاله مقصورة على ارادة ارباب الحل والعقد فى الدولة
ورأى المنتخبون ايضا انهم يصيرون كآحاد الرعية بعد ان كانوا فى رتبة
الامبراطور

مطلب
عرض المنتخبين التاج
الامبراطورى على الامير
فردريق دوق سكس

وبتلك الاسباب صرف المنتخبون النظر عن كل من كرلس و فرانسيس
وجعلوا مطمح نظرهم فريدريق دوق سكس وكان اميرا صاحب

معارف وآداب قد استوجب المدح والثناء الجميل من اهل عصره حتى كان
جسديرا بان يلقب بالحكيم العاقل واجمعوا جميعا على اعطائه التاج
الايمراطورى الا انه لم يرضه وعقله لم يغتبر وناق هذا التاج وبهتته ولم يبادر
بقبوله كالتلف الذى لفرجه لا يتبصر فى العواقب لان هذا الامير كان يرى
ان هذين الملكين اللذين هما اقوى منه شوكة واعظم منه صولة وبطشا
لا يسلطان له فى هذا التاج الذى كانا يجتازان فى طلبه فتوقف مدة ليتفكر
فى العاقبة ثم ابى ان يقبله فتعجب الناس من وفور عقله حيث ان عظم التاج
الايمراطورى وعلو شان المنصب الذى كانوا يدعون له لم يمنعه عن التبصر فى
العاقبة ورأى ان ضعف شوكة الايمراطور مع انه من عدة وجوه يعد من الامور
الصائبة المبنية على العدل الان عدم التحول عنه فى جميع الاحوال ليس من
الصواب بل لاشئ اكثر منه مخالفة لحسن السياسة والادارة فكتب فى رده
يقول فى زمن الامن محتاج لايمراطور ضعيف الشوكة حتى لا يتعدى
على حقوقنا ومزايانا واما فى زمن خوف الحرب والمحن فلا بد لنا من
ايمراطور قوى الشوكة شديد البأس حتى نكون فى أمن واطمئنان وهما هى
الجيوش العثمانية تصطف الان تحت لواء سلطان ماهر ذى بطش وقتل
قد تقوى عزمه بنصرته فى غزوات جمة وظفره فى مشروعات مهمة وتتأهب
لان تغير على المانيا مع قوة لم يسبق مثلها فى القرون الخالية والاعصر
الماضية ولا شك ان كل زمن مقتضيات مخصوصة تستلزم امورا جديدة
وتبطل ما كان من الامور الضرورية معتبرا ومعدودا وبناء على ذلك يلزم
اعطاء التاج الايمراطورى للملك يكون اقوى منى شوكة واثمة منى بطشا
واما اننا فلا قدرة على تحمل اعباء الايمراطورية لانها ثقيلة على وعلى غيرى
من امراء المانيا حيث لم يكن لنا اراض واسعة ولا ارادات جسيمة
ولا شوكة عظيمة تكفى فى مقاومة العدو والقوى البطش الذى يخشى منه الاغارة
على بلادنا وعلى كل حال خالتنا الراهنة تستلزم ان نهطى التاج لاحد الملكين
السابقين وهما فرنسيس وكرلوس فقد انحصر الامر فيهما لان غيرهما

مطلب
استناعه عن قبول التاج

سنة ١٥١٩

لا يمكنه عند الاخطار ان يبادر بالجيش الا لضرورة لحماية وطننا والذب عنا ولكن
حيث ان كركوس ملك اسبانيا قد ولفى المانيا بحيث يعدّ عضوا
من اعضاء الایمپراطورية ومن امراؤها بسبب الممالك التي ورثها فيها عن جده
مكسيليان وبسبب ان بلاده متصلة بالاراضي الایمپراطورية التي يخضع
عليها من اغارات جيوش الاسلام اكثر من غيرها فيظنهم ان استحقاقه في شأن
التاج الایمپراطوري مبني على اساس متين واصل مكين وانا ارى توليته على
الایمپراطورية انسب واليق من تولية فرنسيس لانه اجنبي ليس منا
ولا يعرف لغتنا واما كركوس فهو من دمننا ولحننا ومن بلادنا وبناء على ذلك
ارى ان التاج لا يعطى لسواه وهو مولاه

ولاشك ان هذا الرأي الصادر عن مكارم الاخلاق والهمة العالية التي قل من
اتصف بها من الرجال والمعضد بالبراهين المقبولة يكون له ثمرة عظيمة ولذلك
صار له موقع عظيم في قلوب المنتخبين فلما رأى رسل كركوس ان فريديريك
قد صنع مع سيدهم صنيعا جبارا سلوا اليه مبلغا جسيما من الاموال واخبروه
بان ملكهم سيكافئه باكثر من ذلك ولكن لا يخفى ان هذا الامير الذي اعرض
عن التاج الایمپراطوري لكرم نفسه لا يقدم على ما يوجب الدناءة وتدليس
العرض بقبول مثل هذه الهدايا ومواقفتهم على اغراضهم وذلك لانه ان قبلها
كان كانه باع رأيه بتلك الهدايا وهذا ما اوجب ما يرزى بالمرؤة والشرف فلم يقبل
شيئا منها فاخذ رسل اسبانيا يترجونه في ان يأذن لهم بتوزيع بعضها على
ارباب ديوانه فاجابهم بانه لا يمكنه منعهم عن قبول ما يعطى لهم لكنه يطرد
فوراً من ديوانه كل من ثبت عليه انه اخذ منها ولو درهما واحدا

وحيث ابى فريديريك قبول المنصب الایمپراطوري وبين وجه عدم
صلاحيته له هو وسائر امراء المانيا يدس كل امير الماني من هذا
المنصب وانحصر في الملكين المتقدمين فوجب ان ينتخب واحد منهم ليتقلده
هذا وكان ثم اسباب تدعو لترجيح كركوس كنسبه وقربته ووضع دوله التي
ورثها عن آباءه وزيادة على ذلك كان رسله الذين بعثهم الى بلاد المانيا صادقين

مطلب

رد فريديريك للهدايا التي
ارسلها اليه رسل الملك
كركوس

مطلب

انعقاد مذكرة جديدة بين
المنتخبين

سنة ١٥١٩

في خدمته باذلين غاية جهدهم في تنفيذ اغراضه واثبات حقه كيف لا وكان قد بعث الى المانيا الكردينال دوغوركو والشهير ايرارد ولاهرل اسقف ليجه فوفيا برسالتهم على وجه اكسبهما الشرف والفخار وابديا من الحزم وحسن التدبير ما عجز عنه رسل الملك فرنسيس ولا غرو في ذلك فان دوغوركو مكث زمنا طويلا وهو وزير وندم للايمبراطور مكسيمليان فوقف على حقيقة اخلاق اهل المانيا وعرف كيفية المداولة معهم واما اسقف ليجه فكان الملك فرنسيس قد حرمه من المنصب الكردينال فلما لاح له تلك الفرصة صار يبذل جهده في تعطيل آماله واستعمل في ذلك جميع ماسوئلته له نفسه الطماعة وحقهده على هذا الملك فن ثم كان ارباب ديوان الانتخاب يميلون الى حزب كرلوس شيئا فشيئا حتى ان وكيل البابا بعد ان مكث مدة طويلة وهو يعارض ولا يسلم في توليته رأى ان معارضته لا جدوى لها ولا طائل تحتها وان تولية كرلوس لا بد منها فبادر به فعل ما بيعت كرلوس على رعايته وشموله بنظرة حيث اذن له على سبيل النيابة عن البابا ليون ان يجمع بين التاج الايمبراطوري وتاج نابلي مع ان ذلك لم يسبق لغيره وكان البابا يعلل به في منع كرلوس من الاستيلاء على الايمبراطورية ويبدى انه ملك على نابلي فلا يجوز له الجمع بين تاجها والتاج الايمبراطوري حيث لم يثبت ذلك لاحد قبله كما هو مقتضى نص القوانين ولم يتم امر هذه المنازعة التي اوقعت حينئذ بلاد اوربا في الحيرة الا في ثمانية وعشرين من شهر حزيران (سنة ١٥١٩) من الميلاد بعد موت مكسيمليان بخمسة اشهر وعشرة ايام وكيفية انتهائها ان ستة انفاس من السبعة المنتخبين انخط رأيم على كرلوس ملك اسبانيا واما السابع وهو مطران تريويس فلم يرل يدافع عن ملك فرانسوا ويبرهن على انه هو الجد ير بالمنصب الايمبراطوري فلما لم يجد لتوليته سبيلا تحول عما كان عليه اقولا ووافق الستة الباقين فعند ذلك ثبت التاج الايمبراطوري للملك كرلوس بموجب اقرار هؤلاء السبعة ارباب ديوان الانتخاب

مطلب

انتخاب كرلوس
للايمبراطورية

سنة ١٥١٩

ومع ان المنتخبين رضوا لعدة اسباب باعطاء التاج الامبراطورى لكرلوس
 ظهر عليهم الغم والحزن لانهم كانوا يمشون صولته وقوة شوكته فاخذوا
 يستعدون بجميع ما يحفظهم منه ويقوم بمعاونه ان يقع من تعديبه على
 حقوق الجمعية الجرمانية ومزاياها الثابتة لها من قديم الزمان وذلك ان هؤلاء
 الامراء المنتخبين منذ احقاب ماضية وقرون متوالية كانوا يلزمون
 كل امبراطور عند توليته ان يقر تلك المزايا ويأخذون عليه الموائيق والعهود
 ان لا يتعدى على شئ منها باى وجه كان ولما كان التاج الامبراطورى لا يعطى
 الا للمولود ضعاف ليس لهم ما يخشى منه السطوة والبأس كاتساع الاراضى
 ورجحان العقول كان هؤلاء الامراء يرون ان التزام الملوك المذكورين
 بمجرد المشافهة انهم لا يتعدون على مزايا الجمعية الجرمانية يكتفى في صدقهم
 واجتنابهم لكل ما يضرب بحقوق تلك الجمعية ولكن لما كان كرلوس بمكانة
 من الشوكة والصلوة رأوا ان الوعد منه مشافهة لا يكتفى في امنهم على مزاياهم
 فسلكوا معه مسلكا احرى كانوا آمنين من بأسه وبطشه وحرروا قانونا
 ينوقيه مزايا المنتخبين وخصوصياتهم ومزايا امراء الامبراطورية ومزايا
 المدائن وسائر اعضاء الجمعية الجرمانية وذكروا ان المواد المذكورة في هذا
 القانون لا يجوز للامبراطور ان يتعدى على شئ منها ووضع رسل كرلوس
 امضاءهم فيه على سبيل النسيابة عن ملكهم يعنى وضعوا عليه علامة الصحة
 واقره هو ايضا بنفسه حين لبس التاج الامبراطورى ومن ذلك الوقت صار
 المنتخبون يلزمون كل من تولى امبراطورا باقرار تلك الشروط وبالجملة فم هذا
 القانون الذى هو كناية عن مشاركة بين الامبراطور والجمعية بعد الآن يولد
 المانيا كانه حاجز حصين يقي الاهالى من تعدى الامبراطرة او كانه يعتبر
 اعظم شرطة قانونية يأمنون بهاعلى حقوقهم ومزاياهم
 وبينما كان كرلوس بمدينة برسولونه مشتغلا بما كان حاصله وقتئذ
 من المعارضة حيث كانت مشورة وكلاء مملكة قسطنطينيا لاتسلمه فى شئ
 من المواد التى عرضها على اربابها ليتذاكروا فيها اذ جاءه الخبر من مدينة

مطلبه
 اعلام كرلوس بانتخابه
 امبراطورا

فرتكفورت بان المنصب الايمبراطورى قد تم له وانه ولى ايمبراطورا بموجب
اراء المتخفين فعند وصول هذا الخبر اليه حصل له من الفرح والسرور ما يقوم
عادة بنفس كل شاب طماع اذا طفر بما يترتب عليه تقوية شوكمته وحظى
بمنصب عظيم يجعله فوق سائر ملوك عصره من ابناء جنسه ونعلقت آماله
من وقتئذ بما آرب الفخار والمعالى التى شغلت فكره مدة حكمه * وبمعرفة
احواله فى ذلك الوقت يقف الانسان على ازدياد اطماعه التى جعلت تاريخه
مما تشوق اليه النفوس وترغب فى الاطلاع عليه

فقد حصلت بعد ذلك بقليل حادثة وان كانت غير مهمة الا انها دلت على ما قام
بنفسه من الانفة والشتم بسبب رقيه الى اوج المنصب الايمبراطورى وتلك
الحادثة هى انه فى جميع الوثائق والاوامر الصادرة عنه بوصف كونه ملكا على
اسبانيا كان يلقب نفسه بلفظ ما جسته اى صاحب العظمة والزم رعاياه ان
يلقبوه بهذا اللقب الجليل حيث جعله علامة جديدة للتشريف والاحترام
وكان ملوك أوروبا الى ذلك الوقت يلقبون بلفظ ألتيس اى علو الشأن ولفظ
غراس فقط اى ولى النعم ولكن حيث ان الطبيعة البشرية تميل دائما الى ما فيه
شرفها وعلو مقامها اقتدى دواوين أوروبا بديوان اسبانيا ولقبوا
ملوكهم بلفظ ما جسته وصار هذا اللفظ من ذلك الوقت دال على علو الشأن
ورفعة القدر حتى ان اضعف ملوك الافرنج فى عصرنا هذا صاروا يلقبون انفسهم
به واقواهم لم يمكنه الى الان ان يقترح لقباً آخر اعظم منه واعلى شرفاً ليلقب به
نفسه حتى يمتاز عن غيره

وكان من اللازم ان اهل اسبانيا يفرحون بارتقاء الملك كارلوس الى
الكرسى الايمبراطورى ويسرّون بذلك كسر ورهبة الانهم كانوا يعلمون ان هذا
المنصب لا بد ان يحرمهم من حضور ملكهم عندهم واقامته ببلادهم ويجعلهم
تحت حكم نائب من نوابه ومثل هذا الحكم فى الغالب لا يخلو عن الجور والظلم
فلحقهم غم شديد لذلك حيث كانوا يعلمون ان هذه الحادثة لا بد ان تفضى بهم
الى سفك دماء ابناء وطنهم فى حروب لا مصلحة لهم فيها وان كنوزهم وخزائنها

مطلب

غم الاسبانيين من هذه
الحادثة

سنة ١٥١٩

من فقد في مصالح غيرهم وان عقولهم ستغرق في لجج سياسات ايطاليا
و ألمانيا فجميع هذه الاسباب رأوا ان تولية ملكهم كرلوس على
الايمراطورية من الحوادث السيئة التي تضر ببلاد اسبانيا وتذكروا
ما كان عليه اسلافهم من الشجاعة وحب الوطن حيث منعوا في مشورة
قسطنطينة الملك ألفونس الحكيم عن الخروج من مملكته لذهب الى
المانيا ويتوجه بتاج الايمراطورية وظهر لهم ان ذلك احمق ما يتدى به
في مثل هذه الحادثة

ومع ذلك فلم يلتفت كرلوس الى ما لحق رعاياه لاسبانيولين من الغم والحزن
في هذا المعنى بل قبل التاج الايمراطوري الذي اذ به لبدء القوتنة بالاطيني
المسمى لويز في مثل عقل عظيم من امرأء ألمانيا وقدمه اليه باسم الامراء
المنتخبين وظهر كرلوس انه يريد الارتحال الى بلاد ألمانيا ليأخذ منصبه
الجديد لان ذلك كان من الضروري اللازم حيث انه بموجب رسوم الجمعية
الرومانية وقوانينهم لا يجوز ان تجرى احكامه وامره في الايمراطورية قبل
ان يكمل بتاجها على رؤس الاشهاد في مثل عام

فلما اشتهر بين الناس ان كرلوس عزم على الارتحال الى بلاد ألمانيا
ازداد غم الاسبانيولين واما المظن الحزن على قلوب اهل المملكة على
اختلاف طوائفهم حتى ان البابا ليون كان قد اعطى كرلوس عشر
الاياردات القسبية التي تحصل من مملكة قسطنطينة ليستعين به
في حربه مع جيوش العثمانية فاجتمع قسوس قسطنطينة للمذاكرة في هذا
الشان وابوا ان يعطوه ما اذن به البابا زاعمين ان هذا المبلغ لا يصح ان يطلب
منهم الا ان كان يخشى حقيقة على دين النصرانية من جيوش الاسلام فلما بلغ
ذلك البابا ليون وكان لا يطيق مخالفة امره حكم على المملكة بالمنع وهو
عزل القسوس عن وظائفهم ولكن لم يعبا احد بهذا الحكم ولم يترتب عليه كبير
فائدة وجعله كانه اناس من قبيل الظلم حتى ان كرلوس نفسه طلب من
البابا ان يبطله ويرجع عنه وبهذه الحادثة حصل لطائفة القسوس الفخر

صف

مطلبه
ازدياد غم الاسبانيولين

سنة ١٥١٩

مطلب

الفننة لتي حصلت بمملكة
بلنسية في ذلك الوقت

حيث خافوا البابا في ظلمه ولم يخشوا بأس كركوس وعاد ذلك عليهم
بالمنفعة حيث انقذوا انفسهم من الغرامة التي اراد البابا ان يفرضها عليهم
وقد حصل في اثناء ذلك بمملكة بلنسية التابعة لمملكة اراغون فننة
اشدهو لا من الفننة السابقة حيث نشأ عنها نتائج اعظم منها خطرا وطالت
مدتها اكثر من الاولى وكان منشأؤها ان راهبا من اصحاب الفن صار يعظ
سكان مدينة بلنسية التي هي تحت مملكة بلنسية ويحثهم على حمل السلاح
لينتقموا من بعض الناس جاوزوا الحدود واتبعوا سبيل التعسف والبهتان
فلما حمل اهل تلك المدينة السلاح وتجهجوا في هذا الامر قام بانفسهم ان لهم
شوكة عظيمة وبأساقوا فاصمموا على انقاذ انفسهم من كل من قصدهم بسوء
وتعدى عليهم فبعد ان قعوا من اراد الراهب السابق قعهم أبوا ان يتركوا
السلاح ويعودوا الى الصلح كما كانوا بل تعاهدوا معا ورتبوا فيما بينهم فرقا
على نسق الفرق العسكرية واخذوا يمارسون التعليمات الحربية ويواطبون
عليها حتى كأنهم جيوش منتظمة وكان الغرض الاصلى لهم من تلك المعاهدة
واقوى الاسباب الباعثة عليها هو انقاذ انفسهم من ظلم الاشراف والا كابر
لان المزايا الارستوقراطية اى مزايا الاشراف كانت بمملكة بلنسية اكثر
واعظم مما كانت بغيرها من ممالك اسبانيا حتى ان الاشراف فيها كانوا
لا يعتبرون ان يمدافوا فوق ايديهم تسألهم عما يصدر منهم وتحاسبهم عليه
فكانوا لا يعاملون من عدا طائفتهم من الاهالى معاملة الاتباع فقط بل كانوا
يعاملونهم معاملة الارقاء والاسرى فلما دهمتهم هذه الفننة التي لم تكن تخطر
ببالهم حصل لهم منها رعب شديد وقرع عظيم وخافوا ان تقوى شوكة الاهالى
ويستمرروا على خروجهم وعصيانهم حتى يتقدوا انفسهم من حكومة الاشراف
ويستقلوا بانفسهم فبدلوا جهدهم في اطفاء نارها بسلوك طريق السياسة
والتدبير فلما راوا انه لا يمكنهم ذلك لا بواسطة السلاح استعانوا بالايبراطور
كرلوس وطلبوا منه ان يأذن لهم بالهجوم على العصاين وكذلك الاهالى
بعثوا الى الايبراطور المذكور وكلاء يعلمونه بالظلم التي كانت حاصلة لهم

مطلب

ازداد نيران الفننة
سنة ١٥٢٠

سنة ١٥٢٠

من الاشراف ويتضرعون اليه ان يدخلهم تحت كنفه وحمايته فن سعد الالهالى
وصل رسلاهم الى الديوان في وقت كان به كرلوس في حنق شديد على
الاشراف غير انه لما كان يلزمه الارتحال الى بلاد المانيا وكان في قلق
بسبب تأخيره عن هذا السفر وكان لخاصة الفلنكيين رغبة عظيمة في رحلته
لينقلوا الى وطنهم الاموال التي جمعوها من مملكة قسطنطية لم يمكنه ان يذهب
بنفسه الى مملكة بلنسية ليعقد مشورة وكلاء المملكة فعين الكردي نال
ادريان لينوب عنه في تلك المشورة وامره ان يأخذه الى الالهالى مبايعة
على الطاعة والالتقياد وان يثبت لهم مزاياهم وحقوقهم في محفل عام حسب
العادة الجارية وان يطلب منهم مبلغا من النقود على سبيل التبرع كما طلب
من مملكتي قسطنطية وارانغون ولكن رأى اشراف بلنسية ان ذلك من قبيل
العار بلادهم ومملكتهم حيث ان لها الحق كغيرها من ممالك اسبانيا
في ان تتشرف بحضور الملك اليها وابدوا انه بحسب قوانين مملكتهم ورسومها
لا يجوز ان يبايعوا بالموكية اميرا لم يحضر عندهم ولان يعطوه امدادا
يستعين به واستروا مصممين على ذلك حتى لم يمكن تحويلهم عنه باى وجه كان
فغضب كرلوس من قبح سلوكهم واخذ بناصر الالهالى وامرهم ان يبقوا
على ما هم عليه من حمل السلاح على الاشراف فرجع رسل الالهالى فرحين
مسرورين وتلقاهم ابناء بلادهم باحتفال عظيم حيث كانت نجاة الوطن
على ايديهم وتكبر الالهالى حينئذ وعتوا عتوا كبيرا وطغوا وبغوا حتى طردوا
الاشراف من المدن وانتخبوا جملة من القضاة اقاموهم حكاما في بلادهم وعقدوا
فيما بينهم معاهدة شهرية سموها معاهدة الجرمانادا او معاهدة الاخاء
فصارت تلك المعاهدة فيما بعد اصلا لجميع القنن التي وقعت بمملكة بلنسية
بل وجميع المصائب الكبيرة التي حلت بها
وكانت مملكة قسطنطية حينئذ في اضطراب وانقلاب فلما شاع الخبر
ان كرلوس قد عزم على الرحيل من اسبانيا اخذت عدة مدن كبيرة
تتمسكي من سفره وكتبت له ان يرجع عن ذلك وجددت شكواها التي كانت

سنة ١٥٢٠

عرضته لساقي في شأن ظلم اتباعه الفلنكيين وجورهم فحاول كركوس
الرسول الذين اتوا اليه من طرف تلك المدائن ولم يأذن لهم بالدخول لانه
ليبلغوه ما هم مرسلون بصدده لكنه رأى انه يصعب بهذه الطريقة اطلاقه
فمن هذه المدائن الكبيرة فدعا ارباب مشورة وكلاء قسطنطينية بمدينة غاليسية
في اقليم قومبوسطية وكان غرضه من انعقاد تلك المشورة ان يطلب من
اربابها مبلغا آخر ليتعين به على مصاريفه لان وزراء الفلنكيين كانوا
باختلاسهم قداضرا وبخزائمه فلم يبق عنده ما يكفيه حتى يظفر في المانيا
بالمظمر اللائق بالمنصب الامبراطوري الذي هو مدعو اليه ولكن كان اقليم
قومبوسطية بعيدا عن مملكة قسطنطينية وكان الاجل المضروب لدفع
المبلغ الذي طلبه اولاً لم يتقضى فكان هذان الامران وهما عقد المشورة بهذا
الاقليم البعيد وطلب الاعانة قبل انقضاء الاجل من اسوء الحوادث عاقبة
واشدها هولاً وخطراً حتى انه عماديل نشأ عنها خلق الامة الاسبانيولية
وغضبها حيث كانت ذات حربة رائدة وكانت عادت ان تقتصر على ملوكها
فيما يطلبونه لانفسهم فكتب القضاة لكركوس يتشكون من هذين الامرين
هذا وكان سكان مدينة ولادوليرة يأملون ان انعقاد المشورة سيكون
بمدينة فلاراً وان كركوس يريد انعقادها بمدينة غاليسية غضبوا
واشهرروا السلاح على الملك وحفده وبلغ منهم الغضب مبلغاً حتى صاروا كالبجاذين
بحيث لو لم تحصل ربح عاصفة ساعدت كركوس وجاعته على الفرار لقتل كل
من كان معه من الفلنكيين واعسر عليه هو الرحيل الى اقليم قومبوسطية
فكان كركوس كلما مر بمدينة ينشكي اليه اعلمها من كونه
امراً بعقد المشورة في مدينة غاليسية الا انه كان قد صمم كل التصميم على عقد
المشورة بهذه المدينة فلم يلتفت لقول احد من تشكى اليه في ذلك وقد بذل وزراء
كركوس ما في وسعهم من الشوك والحيلة ليكون انتخاب ارباب المشورة من
اناس يساعدونهم على اغراضهم حتى لا يتوقفوا في قبول مقاصدهم ومع
ذلك كان غضب جمهور الملة شديداً بحيث انه عند افتتاح المذاكرة في المشورة

ملطب

افتتاح المذاكرة بالمشورة
في اول يوم من شهر نيسان

سنة ١٥٢٠

ظهرت علامات الحزن والغم على وجوه كثير من رسل العمالات ووكلاء الملة حتى كان يخشى ان يناقضوا الملك كل المناقضة ويفسدوا عليه وعلى وزرائه جميع مقاصدهم فاما مدينة طليطلة ففعلت ما تقتضيه العادة الجارية عندهم من قديم الزمان وهي ان الوكلاء يتخبون بطريق القرعة فوقعت القرعة في تلك المرة على رجلين ثبت عليهما انهما اخذا رشوة من الوزراء الفلنزيين فلما ثبت عليهما هذه الخيانة لم يرض اهل طليطلة ان يعنوهما في تلك المشورة ويأتمنوهما على مصالحهم وارسلوا بدلهم اثنين او صوما بان لا يقر صحة انعقاد المشورة في مدينة غالييه واما رسل مدينة سلنكه فابذوا انهم لا يأخذون على انفسهم ميثاقا بالصدق والامانة الا اذا رضى كرلوس بالتخاب محل آخر لعقد المشورة غير اقليم قومبوسطيله واما رسل مدينة تورو ومدينة مدريد وقرطبة وعدة مدائن اخرى فابوا كل الاباء ان يسلموا للملك في الامداد الجديد الذي طلبه قائلين انه لم يسبق لهم مثل ذلك من ملوكهم بل هو امر مخالف لقوانين المملكة مع عدم الحاجة اليه الا ان كرلوس ووزرائه لم يدعوا شيئا مما يؤثر في الجمعيات الاهلية ويستعطف قلوب اربابها لافعلوه فاخذوا يستعطفون بعض الناس بالاموال وبعضهم بالمناصب والمواعيد وبعضهم بالتخويف والتهديد وكان الامير شيموره وغيره من الامراء الفلنكيين لا يتفك عن مواساة طائفة الاشراف بالتملق والمداينة وكان الاشراف في غيظ وغيرة شديدة من استغلال الجمعيات البلدية الاهلية وحرقتها الحاملة لها على العصيان والخروج فانضم بعضهم الى حزب كرلوس وساعدوه فيما كان يطلبه وبعضهم كف عن معارضته ومناقضته في نيل ما ربه وتنفيذ اغراضه وبالجملة فمع تشكى الملة من هتك حرمة الرسوم القديمة المبينة عليها الحكومة انحط رأى الجمهور في المشورة على اعطاء كرلوس ما يطلبه من الاموال على سبيل التبرع فاخذوا ان ارباب المشورة عرضوا عليه ان ينصفهم في المظالم التي تشكى منها الملة سابقا ولكن لما نال ما كان يأمله ضرب صفعان هذا الامر

مطلبه
ازدياد غم اهل قسطنطية

سنة ١٥٢٠

مطلب

جعل كرلوس اناسا ينوبون عنه ويقومون بمصالح ممالك اسبانيا مدة غيبته

لعله انه لا يصيبه ضرر اذ اردته عليهم ولم يقل لهم شكوى في شأنه
وحيث لم يبق ثم ما يمنع الا يمراطور كرلوس عن السفر اظهر مقاصده التي
كان اضمرها الى هذا الوقت وهي انتخاب اناس بمجملهم نائبين عنه في اسبانيا
ليقوموا بتدبير مصالحها مدة غيبته فجعل الكردينال ادريان نائباً على
مملكة قسطنطية والامير جواي دو نوز على مملكة اراغون
وولى الامير ديغ مائدة قوننة ميليپو على بنفسه ففرح
القسطنطيون بتولية الاخيرين واما ادريان فمع انهم كانوا يحترمونه
وبعظمونه دون غيره من سائر الامراء القمناكين لم ينشأ عن توليته الا ازدياد
كرهتهم لاهل القمناك وغيرتهم منهم حتى ان الاشراف وان كانوا قد تحمّلوا
من المظالم ما هو اعظم من ذلك غضبوا كل الغضب ورأوا ان تولية هذا الرجل
مما يرزى بهم ويكسبهم العار وانخرى فادعوا ان هذا الانتخاب فاسد لمخالفته
لاصول المملكة وقوانينها وبذلوا جهدهم في ابطاله ولكن كان كرلوس على
غاية من التشوق الى الارتحال الى بلاد المانيا وكان ندماؤه القمناكيون
في قلق عظيم من المكث في اسبانيا فلم يعن بتشكي القسطنطيين ولم يبحث
عن ادنى وسيلة يحترس بها من اضرارهم نيران فتنة كانت وقتئذ اخذت في الظهور
بمدينة طليطلة وترتب عليها فيما بعد عواقب سيئة مشؤمة فركب البحر
من مدينة كورونيا في ٢٢ من شهر ايار وبجل بالرحلة الى المانيا
ليأخذ تاجه الجديد مع انه بهذه الرحلة عرض نفسه لاضاعة تاجه القديم الذي
هو اعظم فائدة من الحديد واشد تمككاً منه

مطلب

ارتحال كرلوس الى البلاد الواطية

(المقالة الثانية)

من اتحاف ملوك الزمان بتاريخ الايمراطور شرليكان
قد كان ثم عدة مقتضيات تدعو كرلوس الى الحضور لبلاد المانيا حتى
جعلت حضوره بها من اشد الاشياء لزوماً وذلك ان الامراء المنتخبين كانوا
في قلق عظيم من طول غيبته لان الكرسي الايمراطوري كان خالياً عن يقوم
بإدارة الايمراطورية وزيادة على ذلك كانت دول كرلوس الوراثية في هرج

مطلب

لزم حضور كرلوس لبلاد المانيا

سنة ١٥٢٠

واضطراب بسبب الفتن الداخلية التي كانت وقتئذ تنمو في جهاتها وترداد
بارجائها وكانت المذاهب الدينية الجديدة تتقدم كل يوم تقدما عجيبا حتى كان
اطفاء نيران الفتن الناشئة عنها يستدعي زيادة الحزم والعزم ومع ذلك كله
كان ملتفتا لامر آخر جسيم وهو حالة سلولنملك فرانسوا فان كرلوس رأى
نفسه عرضة لخطر العظيمة ان لم يحتسب بجميع ما في وسعه للدفاع عن
نفسه من هذا الملك الشديد البأس والشوكة

ولما اخذ كرلوس وفرنسيس الاول يتنازعان في شأن التاج الإمبراطوري
تعاهدا ان يقيما مع بعضهما على المراعاة والاحترام بحيث لا يظهر من احدهما
لصاحبه ادنى نقيض عرضهما ويرى بشأنهما فقد قال فرنسيس الاول
مع خلوص طويته كما هو عادته في معاهداته ما معناه نحن نسعى في تحصيل
غرض واحد فيلزم ان يبذل كل منا جميع وسعه في تحصيل هذا الغرض فاذا
ساعد احدانا لحظ ودعى الى هذا الامر وجب على الآخر ان يرضى بالمقدور
ويحفظ عهود الصلح وعلاقات المحبة انتهى ولاشك ان مثل هذين الملكين المشايين
ذوى الشمم وشرف النفس المتولعين على حد سواء بنيل العلا والتفاح
لا يستغرب منهما البقاء على هذا الميثاق لكنهما ادركا فيما بعد انهما قد تعاهدا
على امر لا يمكنهما مراعاته وحفظه حيث انه فوق طبيعة البشر لان النفوس
البشرية تضعفها لا تستطيع ان تمكث على حفظ ميثاق الصلح اذا رأت ان عدوها
قد تغلب على غرض هو اقصى منها فانها تمارجح جانب كرلوس عندها الى
اوروبا ودعى الى الكرسي الإمبراطوري غضب فرنسيس غضبا شديدا
وداخله من الحقد ما يقوم عادة بكل نفس طماعه خابت آمالها فن تم نشأت
العداوة التي لم تحمد نيرانها من قلوب هذين الملكين مدة حكمهما لاسيا وكانت
اغراضهما تتعارض وكانت اسباب الاختلال والفشل متراكمة حينئذ
فكادت نيران الحروب لا تنطفئ ابدا من بينهما فاما الاغراض التي كانت
تتعارض فهي ان كرلوس لم يعمل بما في البند الاصلى المسطر في منارطة
وايون السابق ذكرها (وحاصل هذا البند هو أن خناد البرطه متى طلب

مطلب

منشأ العداوة بين كرلوس
وفرنسيس الاول
وارزادها بالتدريج

ملكته من كرلوس ولم ينصفه جاز للملك فرنسيس ان ينضم الى حزبه
ويدافع عنه على اى وجه كان فلم يعن كرلوس بهذا الشرط والى ان ينصف
خناد البرطه الذى كان ملك نواره وطرد منها بدون حق لاسيما وكانت
مصالح فرنسيس وشعائره شرفه تدعوه الى اعادة خناد البرطه الى
كرسى نواره حيث سلب منه بطريق الافتيات والتعدى واما فرنسيس
فكان يتطلب تاج نابلي لانه كان للملكة الفرنسية فتغلب عليه الملك
فردينند ظلما وعدوانا بمن كان ملكا على فرانسوا قبل فرنسيس وضمه
الى مملكة اسبانيا وكان الايمپراطور كرلوس يتطلب دوقية ميلان
لانها من اراضى الايمپراطورية فتغلب عليها فرنسيس وبقيت في حكمه بدون
ان يقره عليها من يلزم اقراره وكان كرلوس ايضا يعد دوقية بورغونيا
من محلفات ابائه واسلافه فتغلب لويز الحادى عشر ملك فرانسوا عليها
بمحض الغتصاب هذا وكان فرنسيس قد جد حينئذ عهود محبة اكيدة
بينه وبين دوق غويلدروس وكان الدوق المذكور عدوا لكرلوس ولعشيرته
فاودع ذلك في قلبه غيرة شديدة

ولاشك ان مثل تلك الاسباب السابقة توجب الشقاق والحرب ولولين ملكين
آخرين خالين عن المعاداة والطمع وحيث كان هذان الملكان يعلمان ان الحرب
بينهما يكون خطرا وعواقبه شنيعة وانه بعد نصب ميدانه لا يرجي لهما عود
الى الصلح ظهر على كل منهما انه في حيرة كبيرة خوفا من العواقب الخطره التى
تنشأ ضرورة عن هذا الحرب فكث كل منهما مدة وهو يتبصر في عاقبة امره
ويختبر قواه العسكرية ويقابل بينها وبين قوى خصمه ويسعى في استمالة ملوك
اوروبا الاخرين ليعينوه في مشروعه

وكان البابا ليون يخشى كلام هذين الخصمين لانه كان يعلم ان من يغلب
منهما يستولى على بلاد ايطاليا ويتصرف فيها كيف شاء وكان احب
شئ اليه ان يسعى في اضرار الحرب بينهما لانه رأى ان بلاد اللنبردية البنادقة
تصير ميدان الحرب والازدحام ولولا ذلك لبذل جهده في ايقاع الفشل والتفاقم

بينهما

مطلب
المذاكرات التى حصلت
قبل حصول الحرب بين
فرنسيس وكرلوس

مطلب
مداولتهم مع البابا

سنة ١٥٢٠

بينهما حتى تنعدم قواهما في الحروب لكنه كان يرى ان ذلك يعود عليه بالضرر
وانه بمجرد حصول الحرب بينهما سيرجئوش فرانساً وجيوش أسبانيا
حتى تتلاقى بدوقية ميلان فتصير تلك الدوقية ميدان القتال بين الحزبين
وحيث انها قريبة من تخته وله مصلحة كبيرة في هذا الحرب ولا يمكنه ان يمكث
خلياً لاي لا يجعل لنفسه مد خلافيه وينضم الى احد الحزبين اضطرهم هذه
الاسباب الى ان يسلك على حسب مقتضيات الاحوال اذذاك واخذت اول
مع كل من الإمبراطور كرلوس وملك فرانساً وسلك طريق المداهنة والتلق
ليستوجب محبتهم بما خذاعته فترجاء كل منهما الرجاء الكلي ان يكون ظميره
ونصيره فاطهرانه خلى الاغراض مع انه كان يضر حقيقة نيته ولا يسدى ما في
طى طويته واستعمل طرق الخداع والمكر التي امتاز بها في عصره ارباب
السياسة من اهل ايطاليا

وكانت مصالح اهل البنادقة في هذا الحرب كصالح البابا فكانوا ينجحون
ايضاً عن ان لا تكون ايطاليا ميدان الحرب بين الفريقين وأن لا يكون
لجمهوريتهم مدخلية فيه ولكن مع تخادعة البابا ليون وما اظهره من
التخلي عن الاغراض كان ثم علامات جليلة وامارات واضحة تدل على انه يميل
لحزب الإمبراطور وذلك اما لانه كان يخشاه اكثر من فرنسيس اولاً لانه كان يعلم
انه اقبح له منه واما اهل البنادقة فكان يظهر منهم انهم ان الجأتهم الضرورة الى
الدخول في احد هذين الحزبين لا يدخلون الا في حزب ملك فرانساً لاسباب
عندهم مضاهية للاسباب التي بعثت البابا على الدخول في حزب
الإمبراطور كرلوس ولكن كان لا ينبغي ان ينتظر كبير اعانة من ملوك ايطاليا
لانهم كانوا يغارون غيرة شديدة مما عداهم من ممالك الافرنج ولا يحبون
ان تزيد شوكة مملكة منها عن الاخرى بل كان اهم مقاصدهم السياسية
المحافظة على ابقاء المساواة والمعادلة بين شوكة هذه الممالك حتى كان لا يمكن
لاحد ان يحولهم عن هذا الرأي ويدخلهم في حزبه لاعانتهم الا ان اظهروا لهم
المنافع الجسيمة والفوائد العظيمة

مطلبه
مداد ولاتهما مع اهل
البنادقة

وقد بذل كل من الاميراطور كرلوس وملك فرنسا غاية جهده في استمالة ملك الانكليز اليه وادخاله في حزبه لانهما كانا يعلمان ان هذا الملك يعين من يتعاهد معه اعانة قوية لا تؤمل من غيره وانه ليس كملوك ايطاليا يجعل ذلك موقفا على احتراسات سياسية وكان ملك الانكليز وقتئذ هو هنري الثامن وقد تولى على هذه المملكة سنة ١٥٠٩ وكان طالعه سعيدا حتى كان يؤمل ان حكومته ستكون اسعد الحكومات واعظمها بهجة ورونقا وكان جامعا بين حقوق عشيرة يورقه الملوكية وعشيرة لنكسترة وهذه الحقوق كان يعارض بعضهم بعضها فلما سعى في معاهدته كل من كرلوس وملك فرنسا واذعناله بالطاعة ازداد بهجة في اعين رعاياه وغيرهم حتى امكنه ان يتصرف في ادارة مملكته كيف يشاء وصار يحكمهم مع شوكة قوية وكلمة مطلقة لم يتجاسر احد من سلف قبله من الملوك على مثلها الا ويكون عرضة لاذهوال والاختطاب ولما امكنه ايضا ان يجعل لنفسه مدخلية في مصالح الممالك الافريقية البرية القارة مع ان انكلترة مكثت قبله زمنا طويلا تبذل جهدها في هذا الغرض ولم تتمكن منه لما كان فيها من الفتن والتقلبات الداخلية وزيادة على ذلك كان هنري المذكور قد ورث عن اسلافه خزائن واموالا لا تحصى فصار بها من اغنى ملوك الافرنج واعظمهم ثروة وذلك ان الملك الذي كان على انكلترة قبله عرف بحسن ادارته وحزمه ان ينشر الوية الامن في المملكة حيث اصح الخلل والفساد الذي نشأ فيها عن الحروب المدنية الداخلية غير ان هذا الامن لم يمكث مدة مستطيلة حتى تعود للمملكة الانكليزية شوكتها ويقوى عزمها فلما سئمت نفوس الانكليز من الفشل والشقاق الذي كان بينهم ولحقهم الخزي والعار من كونهم مكثوا زمنا طويلا وهم يجعلون وطنهم ميدانا للسفك دماء ابناء ملتهم جزعوا كل الجزع رغبة في اظهار شهامتهم وشجاعتهم في حرب اجنبية اى مع مله اجنبية لكي يحيو اذكر فخار آباءهم وما اثر اسلافهم وكانت طبيعة هنري تلامي حال مملكته وميل رعاياه فكان طماعا نشطا ذامها مهارة وجسارة وكان متمازا بنجاشته وخفته في سائر

سنة ١٥٢٠

انواع التعليمات العسكرية التي كانت في ذلك العصر الحزء الاهم في تربية
الاشراف وبذلك صار من صغره له ولوع عجيب بالحرب والقتال وكان متولعا
كل التولع بالتصدي الى حرب اجنبي كي يشهرا وائل حكومته بمحادثة عظيمة
فبينما كان كذلك اذ لاح له تلك الفرصة العظيمة وكان قد انتصر في واقعة
غبنغات وفي محاصرة مدينة نروانه ومدينة تورين فصار بتلك
المنصبات يرفل في حلال الفخر والسودد وان لم يترتب عليها كبير جدوى لبلاد
انكثرة وثبت عند ملوك الافرنج انه ذو شوكة عظيمة وتيقن كل من كرلوس
وملك فرانسَا انه ينفع من بعهاده معه كل النفع وزيادة على تلك الاسباب
كان هنري آسمان كل اغارة اجنبية بسبب وضع دوله خصوصا وكانت
مدينة كالس من جملة بلاده فكان يسهل عليه بواسطتها ان يدخل في مملكة
فرانسا ومملكة البلاد الواطية فهذه الاسباب القوية كان ملاذ البلاد
اوروبا وراعيالحمي حريتها وكان لا يصلح غيره لان يكون حكامين ملك فرانسا
والامبراطور كرلوس وكان يعلم انه بهذه الاسباب السابقة يرجع على غيره
ويعرف انه لاجل ابقاء المعادلة والمساواة بين ملوك الافرنج حتى لا يتعدى
ملك على آخر يلزمه ان يحافظ على ابقاء تلك المعادلة بين كرلوس وملك
فرانسا بحيث لا يظهر احدهما على الآخر لان من قويت شوكته منهما
اضرب بالآخر وخشى منه على بقية ممالك اوروبا غير انه لم يكن خليا عن
الاغراض ولا مستكمل للسياسة والحزم اللازمين لتنجيز هذا المشروع الجسيم
بل كان صاحب اغراض سهل الانقياد الى شهوات نفسه سريع الاجابة
لاداعي اطماعه وكان يميل الى المباهاة والتفاخر ومن كانت هذه صفته لا يمكنه
ان يدبر مثل هذا الامر السياسي الجسيم ولا ان يتنبه به بدون فتور حتى يتم
ويقتضى امره في كل وسيلة احتسب به امداد الحرب بين كرلوس وفرنسيس
قول أن يراعى المصلحة العامة او مصلحة نفسه بل كانت جميع تلك الوسائل تبعثه
عليها شهواته النفسانية التي طمست على بصيرته فعمى عن ادراك مصالحه
الحقيقية وهذا هو الذي منعه عن ان يكون له صولة عظيمة ومدخلية كبيرة

سنة ١٥٢٠

في مصالح اوربا فلم يجن ثمرة تلك الفرصة الجلييلة التي كان يسهل عليه اجتنائها وما يجب مقتضيات الاحوال اذ الدال ولو لاحت هذه الفرصة لملك آخر اكثر منه سياسة وتحيلا ولو كان ادنى منه قسريحة وعقلا لا غنم منها فواند جلييلة ومنافع جزيلة

ومع ذلك فلا ينبغي ان نقول ان مشالب هنري وعيوبه الذاتية هي التي اوقعته في سبل الغنى التي سلكتها في ادارته وتديره بل نقول ان الذي اوقعه في اغلبها هو خيانه وزيره ونديمه الكردينال ولسي لانه كان شرها طماعا كثيرا لا غرض قبيح السلوك خبيث الطوية وكان من ارادل الناس فرقى من حضيض الرعاع الى اوج الامراء وصارت له صولة وشوكة لم يصل اليها قبله احد من الرعايا فكان له موقع عظيم في قلب هنري وان كان اشده الملوك عنوا وتكبروا ولما كان هذا الوزير له معارف غزيرة في كل مادة امكنه ان يجمع بين امرين متناقضين وهما الوزارة والمناذمة وكان ذا عقل ثاقب وفهم صائب لا يكل من المداومة والمواظبة على الشغل وكان يعرف ظاهرا الدولة وباطنها حق المعرفة ويعرف اغراض الممالك الاجنبية ومقاصدها فامكنه ان يوفى على ما ينبغي بما يخص تصرفه المطلق وكان ذا ادب في احواله واطوار نظريف المنطق بديع العقل تميل النفوس الى مسامحته وحكاياته وتيسار الى سماع عباراته يحب التزين والتجمل له براعة عظيمة في العلوم الادبية التي كان هنري مشغوقا بها وبهذا كله استولى على قلب هنري المذكور حتى صار يأنثه ويثق به كل الوثوق ويعتمد عليه في كل امر قل "اوجل" وصارت شوكته تقرب من الشوكة الملوكية الا انه كان لا يستعمل تلك الشوكة في نفع الملة الانكليزية او فيما يكسب ملكه العظم والجاه وكان طماعا مبيذرا لما قنعت نفسه قط من الاموال والغنى ولم يكتف بما حصله منها بل كانت آماله متعلقة بتحصيل امور جديدة يزداد بها عظمه وعلو شأنه ولم ارأى انه صار ذا شوكة كبيرة وموقع عظيم في قلب الملك هنري وان كان لا يستطيع ان يصنعى الى مشورة غيره في شئ اخذ يسلك الكبر والعنوا الذي

مطلبه

بيان طباع وزيره الاول
وهو الكردينال ولسي

سنة ١٥٢٠

تفر منه النفوس ولم يلتفت الى غير اغراضه وشهواته النفسانية حتى اضطر كل من اراد استمالته واستمالته ملكه هنرى ان يتلق له ويداهنه وبوقه بما يرضى نفسه الخبيثة الطماعة

وفي ذلك الوقت كان جميع ملوك الافرنج يبحثون عن استماله هنرى اليهم فسلكوا جميعا مع وزيره ولسى سبيل التلق والمداهنة وارتكبوا من الذناء ما يرمى بتمام الملوك فلم يبق احد منهم الا واتحفه بهدايا نفيسة او وعده بامور جسيمة ليستعطفه ويستميل نفسه الطماعة الكثيرة الشره وفي سنة ١٥١٨ اختار الملك فرنسيس الامير بونيويطه وجعله قبطان باشا وكان من احدثق ارباب ديوانه وامر زدمائه واكثرهم نشاطا وامره بان يبذل غاية جهده في استعطاف ولسى واستمالته الى حرب فرانسوا واطهر فرنسيس بنفسه الى ولسى المذكور ساثر ما يدل على التجيل والاحترام وصار يثق به ويعتمد عليه في كل شئ فكان يشاوره في اهم المصالح ويمثل ما يأمره به ويقبل نفعه بدون توقف وجعل له مرتبا عظيما فاحبه ولسى ونظر منه ما يدل على ذلك حيث اياه الخ على الملك هنرى بردمدينه تورى الى ملك فرانسوا وحسن له ان يزوجه بنته مارية لابن فرنسيس وان يجيب هذا الملك فيما كان يطلبه منه وهو ملاقاته والاجتماع عليه ومن ذلك الوقت تجددت روابط اكية بين ديوانى مملكة انكلترة ومملكة فرانسوا وكان فرنسيس يعتقد ان استماله الوزير ولسى اليه واستعطافه اياه من اهم الاشياء واكثرها نفعا فلم يرل يحافظ على ابقائها المحبة بينهم ما ينظر له غاية ما يمكن من الاحترام والاكرام فكان لا يخاطبه في مراسلاته الا بقوله الى والدنا ووصينا او ولينا وامرنا واما كرلوس فقام بنفسه غير عظمة من تجديد ميثاق هذه المحبة لكنه كان له قرابة قريبة بهنرى ملك انكلترة فرأى انه احق بحبته من الغير فبعد ان اخذ تاج مملكة قسطنطية بقليل سعى في استعطاف ولسى واستمالته اليه ورتب له سنوية ثلاثة آلاف من الفرنكات (الفرنك اربعة قروش) وارل ما اهتم به كرلوس هو

مطلبه

مداولة الملك فرنسيس مع

الوزير ولسى

مطلبه

مودة الامبراطور كرلوس

للوزير ولسى

البحث عما يمنع به مقابلة ملك انكلترة مع ملك فرانسسا لانه كان يخشى عاقبتها حيث ان ملك انكلترة وملك فرانسسا كانا شابين فخر الجائز انهما عندما تلانهما تقع بينهما المحبة الا كيدة والمودة المتينة لاسيما وكانت طباعهما تقتضى ذلك فياخذ كل منهما بعقل صاحبه ولكن لم يكن لكرلوس ان يمنع هذه المقابلة وبعد ان اعتدت جميع الاشياء ومواد الاحتفال اللازمة لمقابلة هنرى وفرنسيس واحترس كل من ديوان فرانسسا الملوكى وديوان انكلترة كل الاحتراس حتى لا يخشى على هذين المملكين من تلك المقابلة وعين زمانها ومكانها ولم يكن ذلك الا بعد مدة مستطيلة بسبب تجهيز لوازم الاحتفال واتخاذ وسائل الاحتراس المتقدم ذكرها ارسلت البرد والسعاة الى سائر الدواوين الملوكية ليدعوا منها الامراء للحضور بميدان السباق والعباب التورنواس والمرماح التى ستحصل بين هنرى وفرنسيس وامراتهما الشوارية اى الفرسان وكان لكل من هنرى وفرنسيس محبة كبيرة فى مثل هذه المحافل فكان يصعب منعهم ما عن البرازيهذا المحفل العجيب المتبجح وعن الحظ والفخار الذى يحصل لهما منه لاسيما وكانا يعلمان انهما سيظهران فيه بمظهر الابهة والرونى فيصير لهما موقع عظيم فى قلوب الناس وكان للكردينال ولسى كذلك رغبة تامة فى اظهار بهجته بحضرة ارباب ديوانى هنرى وفرنسيس ليرى الملة الانكليزية والملة الفرنسية صولته العظيمة عند هنرى وفرنسيس فلما رأى كرلوس انه لا يمكنه منع مقابلة هذين المملكين اهتم بان يجعلهما غير مجدبة بحيث لا يخشى عاقبتها ولا يتم لفرنسيس غرض منها ولا مأرب فبادر الى ملاقة هنرى قبل ذهابه الى فرانسسا للملاقة الملك فرنسيس ولاجل ان يستميل الملك هنرى ووزيره ولسى اظهر من الادب وشعائر التعلق والمداهنة اكثر مما فعله ملك فرانسسا وذلك انه لما سافر من ميناء قورون كما تقدم قصد انكلترة ورسا على مدينة دورس ولم يخش على نفسه من شئ اعتمد على كرم الملك هنرى الثامن ومروءته فتمجبت الملة الانكليزية من مجيء كرلوس الى انكلترة

• علب •
ذهاب كرلوس الى انكلترة

سنة ١٥٢٠

على حين غفلة ولكن كان الوزير ولسي يعلم سبب محبته وجميع مقاصده وذلك
انه حصلت من قبل مذاكرة في هذا الشأن بين هذا الوزير وارباب ديوان
اسبانيا الملوك فانخط الرأي على ان كرلوس يتوجه الى انكلترا ليزور
ملكها هنري وكان كرلوس اذا كاتب ولسي او خاطبه يقول المحب
الاعز و اضاف الى المبلغ الذي كان رتبته اولا سبعة آلاف من الدوقات
(نوع من النقود) وحين رسا كرلوس على دورس المتقدمة كان الملك
هنري بمدينة كنتو يري قاصدا الذهاب الى مملكة فرانس فلما بلغه
مجيء كرلوس اسرع بارسال وزيره ولسي اليه في مدينة دورس
وسر بهذا الخبر سرورا عطيا وتلقى كرلوس مع غاية الترحيب والاكرام
والتجليل والاسترام وكان الزمن عزيزا عند كرلوس فلم يملك انكلترا
الا اربعة ايام لكنه في هذه المدة القليلة عرف بنبأهته وحزمه كيف يستميل
اليه ملك انكلترا ويرغب الوزير ولسي حتى اخذ بعقله ونقله من حزب
فرانسا وجعله في حزبه وذلك ان هذا الوزير لم يكن مكنتيا بالمقام والثروة
والصولة والكلمة النافذة التي كانت له بل كان دأما يبحث عن منصب
الپاپا الذي هو اعظم المناصب الدينية وحيث كان فرنسيس يعلم رغبته
في ذلك رأى ان وعده اياه باعانتة على تحصيل هذا المنصب هو اقوى واسطة
في استمالته اليه فوعده بانه عند خلو كرسي البابا يبذل غاية جهده في اجلاسه
عليه وكان الامبراطور كرلوس اعظم من فرنسيس صولة وانفذ كلمة
في هذا الشأن فحين وعد ولسي بانه يعينه بجميع جهده على تحصيل منصب
الپاپا فرح ولسي كل الفرح وعدل عن العصبية لفرنسيس واخذ
يبذل غاية جهده في تخير مقاصد كرلوس مع ان ما وعده به الامبراطور
كرلوس كان بعيدا الحصول جدا لان البابا ليون العاشر كان حينئذ
في عنفوان شبابه ولكن لم تنعقد مشاركة في ذلك الوقت بين هنري و كرلوس
وانما وعده هنري بانه بعد مقابلاته للملك فرانسا يذهب اليه في البلاد
الواطية ويرزوره في نظير زيارته له

مطلبه

استماله كرلوس للملك هنري

وزيره ولسي

مطلب

مقابلة هنري لفرنسيس
الاول في ٧ من شهر
سيزران سنة ١٥٢٠

ثم ان مقابلة هنري مع ملك فرنسا كانت في سهل متسع بين مدينة
غينه ومدينة ادروس وبهذا السهل اظهر كل من الملكين واتباعهم ما
ابته وروثا عظيما حتى سمي هذا السهل معسكر الجوخ المذهب لما كان به يومئذ
من الخلع المرصعة والحلل المزركشة ومكث الملكان مع بعضهما ثمانية عشر
يوما وفي تلك المدة كان الامر آتيا باب ديوان فرنسا وديوان انكلترة
بدون ما يدهش العقل من العباب الفرسان والمحافل الظريفة وغيرها
من الملاعب البهية التي كان يمتاز بها ذلك الزمن وسلك فرنسيس مع هنري
في تلك المدة مسلك الادب وعامله المعاملة التي تستعطف القلوب فأثر ذلك
في هنري ومال الى فرنسيس الا ان الوزير ولسي اذهب بخداعه
ما كان قد رشح في قلبه من الهبة لفرنسيس ومحتة ايضا مقابلة مع
الايمبراطور كرلوس بمدينة غزاولينوس نعم ان كرلوس لم يقابل مع
الروث والبهجة التي تلقاها بها فرنسيس قريبا من مدينة غينه لكنه
اعتنى بمصالحه السياسية اكثر من فرنسيس وفاقه في النجاح
ولما رأى هنري ان كلاما من كرلوس و فرنسيس كان يبحث عن استمالته
والتودد اليه وهما اعظم ملوك الافرنج ظن ان ذلك منهما اعتراف له بانه سيزان
التعادل بين الممالك الافرنجية ولم يزل هذا الظن يقوى في نفسه حتى كان
دائما يلهمج بقوله من ساعدته ايقن بالنجاح وظفر بالمقصود وتمكن من نفسه
هذا الظن حين عرض عليه كرلوس ان يكون حكاينه وبين فرنسيس
في جميع الامور وادى شيئا على صفاء باطن كرلوس وخلوص طويته اكثر من
كونه يتخذ من هو محب له ولخصمه على حد سواء حكما بينهما ولكن كان قد اخذ
بعقل الوزير ولسي فاتخاذ هنري حكاينه وبين خصمه كان في الواقع اعظم
الاشياء مخادعة واسوءها عاقبة لملك فرنسا كما علم ذلك مما حصل فيما بعد
ومع ان كرلوس كان يحب البلاد الواطية لانها اصل غرسه ومسقط رأسه
لم يكتف بها في تلك المدة مدة طويلة بل بعد ان هناه ابناء وطنه وفعلوا معه
ما يليق بمقامه من الاكرام والتجليل والا احترام سافر سريرا الى مدينة

في ١٩ من شهر تاموز

مطلب

ما قام بنفس هنري من
عظم شوكتة

مطلب

تمويج كرلوس بالتاج
الايمبراطوري

سنة ١٥٢٠

في ٢٣ من شهر تشرين
الاول

مطلب
تولية السلطان سليمان
الفاخر على كرسى الدولة
العثمانية

٢ من بابا
٣ من يوسف
٤ من فرانس
٥ من الملك

حظله

انعقاد مشورة الديت
في مدينة وورمس

اكسيلا شيبلا ليلبس فيها تاج الإمبراطورية لانه بموجب فرمان الذهب
كانت هذه المدينة محل تنويع الإمبراطرة فالبس كرلوس بتلك المدينة تاج
الإمبراطور شرماتيا بحضرة جمعية كبيرة لم يسبق مثلها وسمى من ذلك
الوقت شرلكان اى كرلوس الخامس وكان تنويجه مع الرونى
والهجة التى يعتنى بها اهل المانيا فى محافلهم العمومية لاسيما محافل
الإمبراطرة

وبعد تولية الإمبراطور شرلكان بقليل تولى على الدولة العثمانية خصم
صعب وخطر عليه وهو السلطان سليمان الفاخر الذى فاق سلاطين الدولة
العثمانية فى الخصال الحميدة الحليمة والمشروعات العظيمة وفاقهم ايضا فى النجاح
والظفر بأعدائه وكفى ذلك العصر فخرا ان وجده اعظم المولى الذين ظهروا
الى ذلك الوقت ييلاد اوروبا فلو كان السلطان سليمان والبابا ليون
العاشر والإمبراطور شرلكان والمك فرئيس الاول والمك هنرى
الثامن قد ظهروا فى عصر مختلفه لكانت معارف كل واحد منهم تكنى
فى نهار العصر الذى ظهر فيه فبالك وقد ظهروا كلهم كالكوكب الساطعة
فى القرن السادس عشر فكان لهذا القرن من الرونى والهجة ما لم يسبق
لغيره من القرون فلم يحصل حرب بين فريقين منهم الاوبادرا الى ميدانه بقوى
عظيمة ومعارف جسيمة فكانت اذا تعارضت قواهم وقرأ تحهم تراها على
حدسواء فلا تفوق قريحة احدثهم ولا قواه العسكرية قريحة الاخر ولا قواه
ونشأ عن ذلك حوادث جسيمة ووقائع عظيمة تثير الرغبة ونشوق النفوس
الى الاطلاع على تاريخ ذلك العصر ونشأ عنه ايضا منع ازدياد قوة احدى هؤلاء
المولى على غيره وذلك من اهم الاشياء لانه لو زادت شوكة احدثهم على
الاخر بما اضرت ذلك بحرية اوروبا وترتب عليه شقاء البشر وسوء
حظ العالم

واول شئ افتتح به الإمبراطور شرلكان تدبيره فى إمبراطورية المانيا
هو انه امر بفتح مشورة الديت اى مجلس العموم بمدينة وورمس

في ٦ من شهر كانون الثاني سنة ١٥٢١ وكتب في مراسلاته الى امراء المانيا
ان الغرض من عقد تلك المشورة المذكرة في معرفة الوسائل التي بها يكون منع
تقدم الاراء الدينية الجديدة حيث انها خطيرة يخشى منها تعكير بلاد المانيا
واضرار نيران الفتن فيها ويخشى منها نسخ دين آباؤهم واسلافهم
وكان شركان يعني بذلك المذاهب الدينية التي نشرها المشرع لوتير
واصحابه منذ (سنة ١٥١٧) فان هذه المذاهب كانت سببا فيما لحق دين
النصرانية من النسخ وانتقدت بعض أوروبا من اسر البابا وحكمه
واضعفت هذا الحكم في البعض الآخر حتى صار لاثبات له وترتب على ذلك
انقلابات وتغيرات كانت اكثرفعا للنوع البشري واكبر من سائر التغيرات
التي حدثت منذ ظهر دين النصرانية فاذن ينبغي مزيد الالتفات الى معرفة
الحوادث التي كانت سببا في ظهور هذه المذاهب الدينية الجديدة ومعرفة
الاسباب التي نشأت عنها سرعة التقدم وقبولها فتقول

مطلب
منشأ ما وقع في دين
النصرانية من النسخ

قد اتفق محققو المؤرخين ممن تجل قريحته عن ارتكاب انحرافات واتباع
سبل البدع والثرهات على ان نجاح لوتير في مشروعاته انما هو محض
مقدرات الهية واحكام ربانية كيف لا وقد نسخ ديننا قديما متمسكا من قلوب
الناس منذ قرون خالية واعصر ماضية ومؤيدا باهل الشوكة والسطوة
وله من يدافع عنه ويذب عن شعائره مع الفطنة والحزم بدين جديد يغايره ثمة
ونغاية وفج ز هذا المشروع الجسيم الصعب من غير ان يكون له شوكة قوية حتى
يحمل الناس ويكرههم على قبوله فان الله عز وجل اذا تعلقت ارادته بشئ
ولوعده اذ كيا الناس من المستحيلات دبر امره بامهل الطرق وقضى بتنجيزه
وقد استدلل الناس على نصر الله عز وجل لدين النصرانية في عهد عيسى عليه
السلام بآيات باهرة ومعجزات ظاهرة اثبتت ان هذا الدين حق صحيح لا ريب
فيه وبناء على ذلك لو فرض ان من نسخ دين النصرانية بما استظمه من المذاهب
الدينية ليس ملهما او منعما عليه بفيض رحماني او اودع سرا الهيا اخرجه
عن طور البشر من بعض الوجوه نقول ان من العجيب الذي يعتد من خوارق

سنة ١٥٢٠

العادات كون الدهر بمقتضياته قد ساعد هؤلاء المستظهرين المشرعين حيث مهد العقول الى قبول مذاهبهم فظفروا بمسارهم مع ضعف شوكتهم وسياستهم وانتصروا على اعدائهم مع انهم كانوا اصحاب شوكة وسطوة ونشروا اعلام مذاهبهم ونماعتهم انفسا خصاصهم فهذا يدل على ان القدير جل جلاله كما انه هو الذي شرع دين النصرانية اقتضت حكمته ايضا ان يخرج عنه دين جديد ويقل من حالة الضعف والخلول التي كان عليها في مبدء امره الى اقصى درجات القوة والظهور

مطلبه
ضعف اسباب الدين
الجديد في مبدء امره

واسباب هذه الحادثة العظيمة (اي تغيير الدين) كانت في مبدء امرها واهية ضعيفة ولم تكن بحسب الظاهر الامس قبيل الصدفة والاتفاق وذلك لان البابا ايون العاشر حين جلس على كرسى الكنيسة الرومانية لم يجد شيئا من اراداتها لانها كانت قد نفدت في المشروعات الكبيرة التي تعلقت بها آمال البابا اسكندر السادس والبابا جاليوس الثاني اللذين كانا قبله على كرسى الكنيسة وكان هو تخيا كريما بالطبع فلا يمكنه ان يسلك مسلك التوفير والتقدير مع انه كان لا بد منه في اعادة خزائن الكنيسة الى ما كانت عليه فكانت مصاريفه كل يوم في ازدياد لانه كان يريد ارتقاء عائلته ويحب المباحاة والتفاخر في امور معيشته ويعطى لارباب العلم والمعارف والقرايح والعوارف العطايا الجزيلة ويصلحهم بالصلات الجميلة فلما رأى ان اراد الكنيسة لا يكون في ذلك اخذ يبحث عما يكون به ازدياد تلك الايرادات من الوسائط والوسائل واستعمل في ذلك ما يمكن اختراعه لقرايح القسوس التي لاتضاهى في هذا المعنى فكان من جملة تلك الوسائط أن اخترع هذا البابا طريقة بيع الغفران وتكميل السيات (بمعنى ان من اقترف ذنبا يعترف به للبابا ويدفع له مبلغا معلوما فيتجاوز عنه ويغفر ذنبه) وذلك انه على حسب الدين الروماني يقال ان ماعله القديسون البررة من الاعمال الصالحة يؤخذ منه ما يزيد على ما لا بد منه في نجاتهم وسلامتهم ويضم الى حسنات سيدنا عيسى عليه السلام ودعواته الصالحة للبشرى ويودع في كنز لا يعثر به فراغ ولا نفاد ولو استعار منه

مطلبه
بيع الغفران الذي جددته
البابا ايون العاشر

جميع العباد واعطيت مقاليد هذا الكثر لماري بطرس خليفة المسيح عليه السلام ثم واثرا عنه البابا فيفتقونه متى شأوا فاذا اعطى احد النصارى للبابا الذي هو خليفة عيسى عليه السلام مقدارا من الاموال وسمح له البابا في نظير ذلك بشئ من هذه البرصكات غفرت خطاياهم وذنوبهم وكذلك اذا احب انقاذ روح ميت من العذاب ودفع المبلغ في نظير ذلك فان روح الميت تظهر من ذنوبها وتخلص من العذاب واول ما ظهر هذا الغفران في القرون الحماذي عشر وكان على يد البابا اوربان الثاني حيث كان يجعله جزاء لمن يحمل السلاح ويسير الى فتح ارض القدس واخذها من ايدي الاسلام ثم صار هذا الغفران يعطى لمن يحضر رجلا يقاتل في تلك الغزوات ثم توسع فيه حتى صار يعطى لمن يدفع مبلغا من الدراهم يستعان به على تخير بعض امور دينية امرهم البابا فلما حكم البابا جاليوس الثاني عم هذا الغفران وجعله لكل من بذل شئاً من الدراهم لاجل بناء كنيسة ماري بطرس في مدينة رومة ولما بذل ليون العاشر رحمه بعد جاليوس في تقيم هذه الكنيسة الفاخرة الكثيرة المصاريف علل بما علل سلعه في بيع الغفران ثم ان البرطه منتخب ميانسه ومطران مكديبورغ هو الذي انيط باذاعة هذا الغفران وجعل له في نظير ذلك نصيب من ثمن تلك البضاعة فوكل البرطه المذكور راهبا من رهبان عيد الاحديقال له تنزيل باذاعة هذا الغفران في بلاد سكس وكان هذا الراهب شرس الاخلاق الا انه كان جيدا القريحة ممتازا بالفصاحة التي تميل اليها قلوب العامة يراعي مقتضيات الاحوال وزيادة على ذلك اعانه رهبان طائفته فوفى به هذه الوظيفة على ما ينبغي وفتح فيها غاية النجاح لكنه سلك سبيل السفاهة والوقاحة فكان هو ورهبان طائفته يبالغون في مدح الاسرار والبركات التي اودعها الله في غفران الكنيسة وكانوا يبيعونها بنحو خمس حتى رجعت تجارتهم بين الاخلاط الذين يعتقدون ما يلقنون ويتقنون بكل ما يسمعون وتجاوز هؤلاء الرهبان حدود الحياء والادب في مخاطباتهم وسلوكهم واما لك تنفر منها القلوب وتشتت منها

سنة ١٥٢٠

النفوس حتى اغضبوا الناس ودنسوا خرقة القسوس واشتد غضب الملوك
والامراء والاشراف حيث رأوا ذهب اتباعهم ذاهبا الى كثر البابا ليون
العاشر ليصرفه مع الاسراف والتبذير وكان القديسون من النصارى يتأسفون
على ضلال العامة ويرثون لحالهم حيث كانت تقول على هذا الغفران وتمهل
في شعائر الدين وعلم العبادة وتعديل عن الفضائل التي يحث عليها دين النصارية
حتى انتهى الحال أن صار اجمل الناس واعماهم بصيرة يتأذى من قبح سلوك
تنزيل واصحابه حيث انهم كانوا يتفنون في اللعب واللهو والسكر والمعاصي
الموجبة للعار والفضيحة جميع الاموال التي كانت ترد لهم من التجارة
في الغفران مع العامة التي باعتهاداتها الباطلة واوهامها العاطلة لا تبخل
بذل ما تكون به في السعادة الابدية والخيرات السرمدية وبالجملة فصار جميع
الناس فيما بعد يمتنون باطال هذه التجارة المضرة بالجمعية والدين

مطلب
في الكلام على لوتير
ومناقبه

ثم ان المشرع مارطين لوتير رأى انه لا يجد فرصة اعظم من هذه لتنجيز ما ربه
وانه لا يمكن ان تصير عقول ابناء وطنه مستعدة لسماع مقالاته اكثر مما كانت
عليه وقتئذ فاخذ يخدمهم في شأن فساد هذا الغفران ويبرهن لهم على انه باطل
لا اصل له ويبين قبح سلوك من كانوا يسمعون به وفساد عقائدهم وزيفهم
وفسقم وكان لوتير المذكور قد ولد في مدينة اسلايان بمملكة سكس
وكان اهله من ذوى الفاقة والفقر ومع ذلك تربى تربية جيدة وتمكن من العلوم
وفي اثناء تعلمه اظهر امورا عديدة مما يدل على انه من ذوى النهى والقرائح
النادرة وكانت نفسه تميل بالطبع الى كل امر صعب تقصر دونه همم الرجال
وترغب في التقشف الدينى الذى يزهده المرء الدنيا وزخارفها ويحب العزلة
والجنول والتورع فاعتكف في دير من اديار الطائفة الاورغسطينية
(هى رتبة من القسوس متمسكة بمذهب عابدين يبرى ان ارواح القديسين
لا تصعد الى السماء الا بعد يوم الحساب حتى يعلم مالها وما علمها) وبذل اقراره غاية
جهدهم في تحويله عن هذا المقصد فلم يمكنهم منعه عنه حيث كان يميل اليه
بالطبع فدخل الدير المذكور ولبس خله اقسته فلم تمض مدة قليلة الا واكسب

فيه شهرة عظيمة بالتقوى وبالتحصيل والاجتهاد العجيب حيث كانت همته
لا تقرب ابدأ واخذ عن مدرسين عظام الفلاسفة السكولاستيكية وعلم اللاهوت
السكولاستيكي (راجع سكولاستيكي في الاتحاف) وكان كل من هذين العالين
اذنالك كجوزاخر يغرق في لججه واسع القريحة وغزير العقل فبذهنه الثاقب
وفهمه الصائب امكنه ان يدرك اسرار دقائقهما ويقف على مكنون حقائقهما
ولكن لما كان ذوقه سليما وذهنه حاداً مستقيماً تمكن من هذه المعارف ورأى
انها عديمة الحدودى وعرف انها من الامور الهزئية التى لا طائل تحتها
فعدل عنها بالكلية وسمت منها نفسه واخذ يبحث في الكتاب المقدس عما هو
اقوى وأكدم منها في الاصول الدينية والعلمية فوجد نسخة من كتاب العهد
القديم والجديد كانت مهملة في كتبخانة الدير الذى كان به فاخذها وبذل جهده
في مطالعتها وتفرغ لها بالكلية واستمر على ذلك مع الرغبة الزائدة حتى انه بعد
مدة قليلة تنجب منه سائر اقاربه حيث كانوا لم يتعودوا على اقتباس شئ في علم
اللاهوت من الكتاب المقدس وحصل له تقدم عظيم في هذا الامر الجديد
وازداد صيته وشهرته في المعارف والعبادة حتى ان الامير فريدريك منتخب
سكس لما انشأ مدرسة في مدينة ويتانبرغ التى كانت دار اقامته
اختاره من بين اقاربه وادخله بتلك المدرسة ليعلّم بها اولاً الفلسفة ثم علم
اللاهوت فوفى لوتير بما دعى اليه على وجه عجيب حتى كان يعتبرانه زينة
المدرسة ومجتها

وكان لوتير ذا كلمة نافذة وشهرة عظيمة حين اخذ الراهب تنزيل في اذاعة
الغفران بالبلاد التى حول مدينة ويتانبرغ وهو يعزى اليه خصوصيات
وفضائل بدعية خيالية قد اثرت تأثيراً قويا في عقول الناس بغير تلك البلاد
ومصارلها في قلوبهم موقع عظيم ولما كان اهل اقليم سكس ليسوا اكثر
معارف من غيرهم من اهل الاقاليم الالمانية حصل لهذا الراهب
عندهم في مبداء الامر نجاح عظيم حيث وجد فيه اناسا امنة كما وجد في غيره
وكان لوتير يتأذى ويتألم غاية الالم من زور من كانوا يبيعون الغفران

مطلبه
تصدى لوتير لبيع
الغفران

سنة ١٥٢٠

وبهتانهم وحقق من كانوا يشترونه وسخافة عقولهم وكان بيع الغفران مبيعاً على
مذهب الشهير توماس داكين وغيره من العلماء السكولاستيكية وكان
لوتير لا يثق بأراء هؤلاء العلماء ولا يقول على مذاههم لكونه قرأ الكتاب
المقدس واتخذ دليلاً في حقائق علم اللاهوت فلم يجد فيه شاهداً يعضد بيع
الغفران الذي هو من البدع المضرة الخلقة بالمرءة والديانة وكان شديد الحمية
فلم يمكنه ان يخفي رأيه ويحكم ما في ضميره وقد رأى اهل بلاده متوغلين في اودية
الغفلة ضالين في عرصات الزيف والتي فصعد على منبر الكنيسة الكبرى بمدينة
ويتنبرغ وصار يقدح ويبالغ في فساد من كانوا يبيعون الغفران ويؤذيهم
بلسان حاد وبأني سبراهين قاطعة جليلة تقضي بان هذه الحادثة من البدع
الفاسدة والاهوام الكاسدة وافهم الاهالي انه يخشى عليهم الاعتماد في نجاتهم
على غير ما ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه المقدس * وحيث ان النفس تشوق
لكل امر جديد وترغب فيه غاية الرغبة صارت اراء لوتير مطمح انظار
الناس كافة لاسيما وكان له شهرة عظيمة من قبل وحين صعد للخطابة كان كانه
قس عكاظ اوسحبان وتلث فاخذ يشنع على ضلال من كانوا يذيعون الغفران
ويبيعونه ويفسد هذا المذهب وينذر الناس بانهم لانسلم لهم عاقبة ان اعتمادوا
في نجاتهم على غير ما هو منصوص في كتاب رب العالمين فحصر الالباب
بفصاحته واستولى على القلوب ببلاغته فلما رأى ان العامة قد جنحت الى مذهبه
واخذت تدرك اسرار مأربه ثبتت قدمه وقوى عزمه فكتب في هذا الشأن
الى منتخب ما ينسبه (وهي جزء من اقليم سكس كان تحت حكم هذا
المنتخب كما تقدم) وبالغ في قبح سلوك الرهبان والاقسة الذين اناطهم باذاعة
الغفران ونشره بين الناس وفي تنفيذ آرائهم وعقائدهم ولكن كان هذا السكاهن
يحب فبحاح هؤلاء الرهبان فلم يفكر في قبحهم عن سلوكهم القبيح الذي تجاوزوا
فيه الحدود واول شيء اهتم به لوتير هو انه اعتنى باستمالة عقول العلماء اليه
ليوافقوه على آرائه واقترح لهذا الغرض خمسة وتسعين مسألة تتضمن
آراءه في شأن الغفران ونشر هذه المسائل بين الناس لكن لم ينشرها في صورة

مطلب

نشر لوتير مسائل لاجل
ابطال بيع الغفران

سنة ١٥٢٠

مسائل يقينية مجزومها بل في صورة مواد ظنية قصده بنشرها المناظرة فيها حتى يعلم صحيحها من فاسدها ودعا العلماء الى نقض ما لا يستحسنونه منها اما بالمكاتبة او بالمشافهة وعين الايام التي جعلها لاجتماع العلماء عليه لاجل المذاكرة فيم ساوم مع ذلك كله اظهر انه منقاد غاية الانقياد لكنيسة رومة وانه مطيع لكل ما يحكم به البابا فخصت الايام التي اعدتها لاجتماعهم من غير ان ينظر له معارض ولا مناقض فعما قليل انتشرت تلك المسائل في جميع بلاد المانيا وقرنت في سائر ارجائها مع رغبة غريبة وهمة عجيبة وتعجب كل الناس من فرط حسارة لوتير التي اذنته الى الشك في صحة ما قرره البابا الذين هم عماد دين النصرانية والى القدح في عرض الرهبان الدومينيقيانية اى رهبان عيد الاحد مع انهم كانوا رؤساء محكمة التفتيش والاتصاص في امور الدين فسكانو امهايين يخشى بأسهم كافة الناس

ثم ان قسوس الطائفة الاوغسطينية الذين كان لوتير من زميرتهم كانوا مطيعين كل الطاعة لكنيسة رومة كغيرهم من قسوس الطوائف الدينية الاخرى ومع ذلك فلم يعارضوا لوتير ولم يتصدوا لمناقضه اراثة او منعه عن اذاعتها واسما رهايين الناس لانه كان له عندهم هيبة كبيرة وموقع عظيم بسبب معارفه واخلاقه الا انه كان الى ذلك الوقت يحترم احكام البابا احترام اصادقا ولا يخفى ان المنافسة والبغضة الباطنية لا تنقطع ابدا من بين طوائف قسوس الكنيسة الرومانية لعدم انقطاع طمع الرهبان وغيرتهم من بعضهم وبسبب ذلك حصل لقسوس الطائفة الاوغسطينية غاية السرور والفرح من قدح لوتير وذهمه في قسوس الطائفة الدومينيقيانية وتشجيعه عليهم لانهم كانوا اعداءهم وفرحوا حين رأوا ان ذلك يجتر الى احتقار قسوس تلك الطائفة وبعضها عند سائر الالهائي واما منتخب سكس الذي كان وقتئذ اعقل امرآء المانيا وكان لوتير من رعاياه فلم يلحقه غم ولا غيظ من تصدى لوتير لنقض بيع الغفران بل كان يعضد رأيه سرا ويود ان تكون المنازعة التي حصلت اذذاك بين القسوس في هذا المعنى سببا في تحقيق مظالم كنيسة رومة التي بذل

مطلب

تعصيد قسوس الطائفة
الاوغسطينية التي كان
لوتير من جلة اربابها رأيه
وتأييدهم لمذهبه

مطلبه
فما كتبه عدة من علماء
اللاهوت في مناقضة لوتير

الامر آء جهدهم زمانا طويلا في ابطال ما ولم ينجحوا
وقد تصدى عدة من العلماء لمناقضة لوتير وبذلوا غاية جهدهم في تأييد
الاراء والمذاهب التي كانت اساسا لشوك الكنيسة الرومانية ومنشأ ثروتها
وغناها فكتب الراهب تنزيل رده على مسائل لوتير ونشره بمدينة
فرنكفورت التي على نهر اودير وكذلك العالم التيولوجي (اي اللاهوتي)
المسمى اكسيوس بذل وسعه في مناقضة آراء لوتير واما الراهب
بريورياس وهو احد رهبان الطائفة الدومينيكانية وكان رئيس المحكمة
ومفتش عموم ا قضية محكمة القصاص والتفتيش الدينية فقد كتب على
مسائل لوتير وشنع عليه كل التشنيع الا ان لوتير كان قد حسه في بيع
العفرا من مبني على براهين قاطعة جليلة مستنبطة من العقل او مقتبسة من
الكتاب المقدس واما اخصامه فكانوا لا يمتحنون عليه في ردهم الا بآراء العلماء
السكولاستيكية واما الرهبان والاصول القسيسية التي كانت موجودة
اذن فكانت ادلتهم غير كافية واحتجاجاتهم غير شافية حتى ظهر للناس انهم
عاجزون عن الرد وان مجادلتهم مبنية على مجرد الاعراض النفسانية وصاروا
لا يثقون باقوالهم حيث رأوها مخالفة لما يقتضيه العقل والنقل وما أتت به
الشريعة النصرانية

مطلبه
عدم اعتناء ديوان رومة
بمذهب لوتير في مبداء امره

واما ديوان رومة فلم يخش من ظهور مذهب لوتير وان كانت به بلاد
المانيا في اضطراب واتقلاب بل لم يعابها به اصلا وذلك ان البابا ايمون العاشر
كان ذا تولع عظيم بالمسرات والفنون وكان دائماً مشغول الفكرة بمقاصد
سياسية جسمية وكان لا يميل الى المجادلات التيولوجيكية اي اللاهوتية
وان لم يكن يمتنقها لفورعة له فحين وصلت اليه الاخبار بما صدر عن لوتير
في بلاد المانيا من التشنيع والقذح في الاصول الدينية لم يحمله ذلك على
الغضب بل عذبه من جملة المجادلات والمشاكلات السكولاستيكية حيث
رأى ان لوتير ليس الراهب من آحاد الرهبان المهمين الذين لا يعابهم رأى
رايا في مسائل سكولاستيكية اخذ يعضده في جزء صغير من المانيا وانما سلك

سنة ١٥٢٠

في عبارته مسلما غير مألوف حيث افرغها في قالب خشني غير مقبول هذا
ما ظنه البابا المذكور وكان لا يخطر بباله بل ولا يبال لوتير نفسه ان عاقبة
هذا الامر تضر بالكنيسة الرومانية لانه كان بعد المجادلة الحاصلة في هذا المعنى
بين الطائفة الاغورطينية والطائفة الدومينيكانية من جملة المجادلات التي تقع
عادة بين القسوس بسبب بغضهم وغيره بعضهم من بعض حتى ظهر منه انه
قد عزم على عدم التصدي لهذه المجادلة وصمم على ان يترك امرها السكل من
الطائفة الاوغسطينية والطائفة الدومينيكانية لتتذاكر فيما مع
ما في قلوبهم من العداوة لبعضهم

ولكن لما اغضب لوتير اخصامه بقده فيما حرروه رداعليه وخطأ اقوالهم
وما القوه في كل عبارة صاروا يلحون على البابا ويحثون ديوان رومة على
عقاب لوتير في نظير جرأته وجسارته الزائدة عن الحد لاسيما كانت آراء
لوتير قد اثرت تأثيرا قويا في جميع الاقطار الالمانية فاستيقظ حينئذ ديوان
رومة من غفلته واخذ يبحث عن كل وسيلة يسلم بها من عاقبة تلك الآراء
واضطر ليون العاشر نفسه الى البحث عما يدفع عن الكنيسة الرومانية سوء
عاقبة الآراء المذكورة حيث صارت من الامور الخطرة التي لا ينبغي اهمالها
والسكوت عنها فامر لوتير ان يحضر بعد ستين يوما الى مدينة رومة
في الديوان بين يدي العالم پريورياس وكان من جملة من ردوا عليه وتصدوا
لتفنيده ونقض آرائه كما تقدم ولذلك وكله البابا بالنظر في آراء لوتير والحكم
عليه بما يراه مناسبا وكتب هذا البابا ايضا الى الامير منتخب سكس يترجاه
ان لا يتعرض لحماية رجل دنس ابناء النصرانية بيدعه وضلاله وكتب لرئيس
الطائفة الاوغسطينية ان يزجر هذا الراهب السفیه الذي دنس الطائفة
الاوغسطينية باجمعها وعكر على الملة المسيحية في سائر الاقطار النصرانية
فلما رأى لوتير مراسلات البابا وعلم ان العالم الذي اطاعه البابا بالنظر في رأيه
والحكم عليه هو عدوه پريورياس ادرك حقيقة الحال وعرف ما يقضى
به في شأنه اذاه وتوجه الى رومة

مطلبه
تقدم آراء لوتير وانتشارها

مطلبه
امر البابا الصادر الى
لوتير بالحضور الى رومة

سنة ١٥٢٠

مطلبه

امر البابا وكيلاه بان يحكم
على لوتير في ألمانيا

فلذلك بذل غاية جهده في عدم الذهاب الى رومة وطلب ان يحكم عليه
في بلاد ألمانيا بحضور جمعية خلية عن الاغراض وليست محللا للهمة وكان
علماء مدرسة ويتانبرغ يحبون لوتير ولا يستطيعون ان يلحقه ادنى
ضرر واؤدى لما ان الطائفة الاوغسطينية كانت به في شرف ومهابة فكتبوا
للبابا يترجون ان يعافى لوتير من الحضور الى مدينة رومة والتسوا
منه ان يوكل في النظر في قضيته والحكم عليه بعض اناس من بلاد ألمانيا
يكونون من الثقة المشهورين بالمعارف وقد طلب ذلك ايضا الامير منتخب
سكس من وكيل البابا ومن مشورة العموم الألمانية التي كانت بمدينة
او كسبورغ وكان لوتير وقتئذ لا يقصد مناقضة احكام البابا ولا الخروج
عن شوكمته بل كان يحزم بان اصل هذه الشوكة سر الهى اودعه الله في البابات
فكتب الى ليون العاشر كتابا في قالب التضرع والابتهال والانقياد والامتنال
ووعده انه يقبل او امره من غير توقف فلبى دعوته وعافاه من الحضور الى مدينة
رومة وامر نائبه في ألمانيا ان يبحث عن حقيقة الحال ويحكم بما يستحسنه
وهذا النائب هو الكردينال كاتيجان احدى باب الطائفة الدومينيكانية
وكان له شهرة عظيمة بين العلماء السكولاستيكية وكان قائما بخدمة الكنيسة
الرومانية على ما ينبغي ويحب نفعها ويسعى بجميع جهده في تحصيل ما تكون
به فائدتها ومصلحتها

مطلبه

حضور لوتير بين يدي
نائب البابا

وكان يمكن لوتير لاسباب مقبولة ان يأبى فصل دعواه بين يدي كاتيجان
لانه كان من جملة اعدائه الخطيرين عليه الا انه لم يتوقف ابدا في الحضور بين
يدي كاتيجان المذكور حيث توجه فورا الى مدينة او كسبورغ ليقابل
هذا النائب بعد ان اخذ من الامبراطور تذكرة الطريق فتلقاه كاتيجان
بالترحيب والاكرام والتبجيل والاحترام واخذوا يسلك معه سبيل الدين
والرفق ليرده عن آرائه لكنه لما رأى انه لا يليق بمثله ان يتجاوز معه كانه قريب له
الزمن بموجب امر البابا ان يرجع عن آرائه الفاسدة التي اذاعها بين الناس
في شأن الغفران والقدح في الدين وان لا يتفوه بعد ذلك بمثله ولكن كان لوتير يعلم

سنة ١٥٢٠

ان آراءه على منهج الحق لا خطأ فيها لاسيما وكانت مستحسنة مقبولة عند اعظم علماء ذلك العصر واكثرهم معرفة وديانة فتعجب من قول كاتيجان حيث دعاه الى الرجوع عن آرائه قبل ان يبين له وجه فسادها وعدم صحتها مع انه كان يأمل قبل ذلك انه في محاورته مع هذا النائب العالم الغزير المعارف يسهل عليه ان يبرى نفسه مما اتهمه به اخصامه الذين هم ما بين جاهل لا يدرك خفى آرائه ومتحامل يريد اطفاء اضوائه فينكر الحق ولو حرص وظهر ويؤيد الباطل وان خفي واستتر فلما رأى ان كاتيجان يسلك معه مسلك الامارة والعنفوان خاب اماله فيه وينس كل اليأس ولكن لم يرعو من تهديده فقالت للنائب مع ثبات جنانه وطلاقة لسانه ان نعمتي لا تأذن لي بالرجوع عن آراءى الحق ولا بحالة حيث لم يظهر فيها شيء يحملنى على جحد ها بعد اقرارها ونشرها لاسيما وجحد مثل هذا الامر يعد من الجبن وما يسخط الله جل وعلا ويغضبه ثم افادانه لا يزال في طاعة الكنيسة والامتثال لاوامرها وانه لم يقصد بذلك الا آراء اضرارها بل غرضه ان يعرض مسائله التي حذر ها على بعض العلماء الماهرين فيقضون فيها بما يرونه مناسبا ووعد بعد ذلك انه لا يكتب فيما بعد شيئا فيما يتعلق بالغفران لكن بشرط ان يسكت اخصامه ولا يتفوهوا بشيء في هذا الشأن فلم يعين نائب البابا بقوله بل استمر على تهديده والزامه بالرجوع عن اعتقاده من غير ان يشترط شيئا قل او جل وهدده بانه يصير مطرودا الكنيسة رجيمها محروما من نعمها ونعيمها ان لم يبادر بالاذعان ويمثل ما يأمربه وامرأ أن لا يدخل عنده مادام مصمما على عقيدته وظمه زيادة على ذلك مقتضيات اخرى يخشى منها على لو تير تخاف عليه احبابه ووطنوا ان تذكره الطريق التي اخذها من الابرار طور لا تكفي في حمايته من نائب البابا بالسدة حقه وغضبه منه فحملوه على الخروج سرا من مدينة او كسبورغ ليعود الى وطنه فقبل لو تير نصيحتهم الا انه قبل خروجه من تلك المدينة استعان بامر قد سبق بمثله وهو انه قرر حيث ان البابا لم ينف على حقيقة آرائه يريد فصل دعواه بين ايدي جمعية قسيسية عامة تفهم سرها فيظهر الحق من الباطل

مطلب
جسارته في سلوكه

مطلب
دفع دعواه الى غير كاتيجان

سنة ١٥٢٠

مطلب

اعانة منتخب سكتس

للمراهب لوتير

فغضب كاتيجان من هروب لوتير وكتب الى فريديريك منتخب
سكتس يقسم عليه بمحبته لراحة الكنيسة وابقاء شوكة سيدها ان يقبض على
لوتير ويرسله اسيرا الى مدينة رومة او يطرده من بلاده وكان فريديريك
الى ذلك الوقت يدافع عن لوتير ويمانع عنه ولم تكن الاسباب الحاصلة له على
ذلك اسبابا تيمولوجية اى ناشئة عن ممارسته لعلم اللاهوت لان هذا الامر كان
لا يعرض ابد اللججالات التبولوجية والمحاورات اللاهوتية ولم يكن له
فيها رغبة اصلا وانما كان الباعث له على محاماة لوتير مجرد اسباب سياسية
كما تقدم وكان لا يتظاهر بهابل ولا يقدم عليها الا بعد الاحتراس التام وكان
لم يسمع قط وعظ لوتير ولم يقرأ شيئا من مؤلفاته وعلى ما كان له من الشهرة
العظيمة ييلاد المانيا لم يحضره فريديريك اصلا ولم يقبله في منادسته لكن
لما طلب منه كاتيجان ان يقيم او يرسله اسيرا الى رومة رأى انه لا بد له
ان يسلك غير ما كان يسلكه اولا من المحافظة على عدم التظاهر في اعانة لوتير
وذلك لانه كان قد صرف مصاريف كثيرة في انشاء مدرسته واعتنى بها غاية
الاعتناء حتى صارت مهمة جدا عند جميع امرآء المانيا وكان يعلم
ان بعد لوتير عنها يضرب شهرتها فتعلل بامور عديدة وأبى ان يقبل مادعاها
اليه الكردينال كاتيجان في حق لوتير واطهرانه لا يسلم ابدافيا يكون به
اضرار لوتير وانه يدافع عنه كل المدافعة هذا وكتب انه مع ذلك ملازم
اعتبار الكردينال كاتيجان وتعظيم البابا واحترامه

ثم ان تشديد الكردينال كاتيجان في الزام لوتير بالرجوع عن مذهبه
اغضب من وقتئذ من تمسك بمذهب لوتير المذكور حتى لاه على هذا التشديد
عدة من المؤمنين القائلين بانه لا يمكن للكردينال كاتيجان
ان يسلك مع لوتير خلاف ذلك وذلك ان قضاة رومة الذين طلب لوتير
اولا للحضور بين ايديهم لفصل دعواه كانوا على غاية من التشوق والرغبة
في تخطئة آرائه وافسادها حتى انهم قبل فراغ الستين يوما التي جعلها البابا
مهلة للوتير حكموا عليه بانه خارجي مبتدع بل وصفه البابا ايون نفسه

مطلب

الاسباب التي حلت

كاتيجان على ان يسلك مع

لوتير ما سلكه اولا

سنة ١٥٢٠

في عدة من اوامره ومكاتباته بانه ليس الامن عداد الشبان الذين هم مطية
للمآثم والقوا حشوا والارجلاض الا لا يعتد به وبناء على ذلك لم يكن ثم ما تسلم به
الكنيسة الرومانية من عاقبة مذهب لوتير وتبقى على شرفها واحترامها سوى
جبر هذا الرجل على العدول عن مذهبه واقاراره بانه صادر عن خطأ لاسيا
وكان من قواعده هذه الكنيسة ان لا تنسأهل في حكم من احكامها وانى لها
ذلك وقد حزمته على نفسها بادائها العصجة عن الخطأ والزلل

ومع ذلك فكان لوتير في حالة خطيرة جدا بحيث لو كانت لغيره لحزمت عليه
الامن والراحة وكان لا يظن ان فريدريخ يخاطر بنفسه في حمايته والممانعة عنه
لما انه كان صاحب رأى وتديرو وحزم واحتراس شهيرة فلا يعرض نفسه لعضب
الكنيسة وبطش البابا الذى يحق بأسه وصولته بعض افراد من عظماء
امبراطرة المانيا واقواهم شوكة وكان ايضا ان ذلك اسباب اخرى تمنع لوتير
من انتظار الاعانة من فريدريخ وذلك انه كان يعلم ان الناس في ذلك الوقت
يحترمون اوامر الكنيسة وينقادون لاحكامها ويخشون غضبها ويعلم ايضا
انه لا شئ اسهل من تهديد فريدريخ وتخويفه وحمله على ان يسلم فيه وحل
عنه لما ان اصل محاماته له كانت لعلل سياسية لا لكونه من مسلم بفساد وقرا
مؤلفاته على صحتها واقرها حتى يدافع عنه ولا يسالى وكتان يعلم ايضا انه
ان طرد من بلاد سكس لا يجده ملجأ آخر ولا مأوى بأوى اليه ويصير
عرضة لاذى كل حقود واجترأ كل حسود ومع انه كان يعلم انه في حالة خطيرة
تجملد كل التجلد ولم يظفر عليه رعب ولا فزع بل ما زال يبرهن على صحة آرائه
وحسن سلوكه واستقامته ويخطئ اخصامه ويفسد آرائهم ودفع ح فيهم آرائه
مما كان يفعل اولاً

ولما رأى لوتير ان ديوان رومة لا يسلك معه سبيل الحق والاستقامة حدث حكم
عليه بدون تحقيق بنده من الفرق المبتدعة علم ان البابا لبون لا بدوان يعدربه
ويبحث عن انصراره ويلقيه الى التهلكة فبحث عما يقى به نفسه من غضب البابا
ولم يكن له في ذلك الا وسيلة واحدة وهى أن طلب فصل دعواه بحضور جمعية

مطلب

لما لة الخطورة التى كان
عليها لوتير

مطلب

جمعية عمومية من
القسوس

سنة ١٥٢٠

عمومية منعقدة من القسوس على سبيل النيابة عن الكنيسة القاوليقية وما يخطط عليه الرأي فيها يكون العمل بمقتضاه لان حكمها حجة يوثق بها اكثر من حكم البابا الذي هو فرد من جملة افراد الانسان وكل انسان قابل للخطاء فان ماري بطرس مع كونه اعظم البابات واكملهم وقع في الخطاء غير مرة

مطلب
فرمان جديد لتأييد عادة
الغفران وتضيدها

وبعد ذلك بقليل ظهر ان لوتير لم يخطئ فيما ظنه بديوان رومة وذلك انه صدر من البابا فرمان تاريخه قبل تاريخ عرض لوتير يتضمن طلب عقد مجلس قيسى عام لفصل دعواه ومدح الغفران بعبارة لم تسبق لاسلافه بل ولا في اعصر الخهالة والخشونة وامر فيه جميع النصارى ان يعتقدوا صحة الغفران ويعتبرونه شطرا من دين الكنيسة القاوليقية وذكر فيه ايضا انه يصحى بسهام غضبه كل من عضد او اتبع مذهب من يقول بعدم صحة الغفران مع ان مقتضيات الاحوال كانت وقتئذ تمنع التفوه بمثل ذلك وتستدعى حسن التدبير والمواساة ولم يؤثر هذا فرمان في قلوب اصحاب لوتير بل اعتبروه من الامور التي لا يمكن ان ياتس لها وجه يؤيد شارعلما ان البابا لم يأمر به الا لاجل بقاء المحصولات = ثمرة الواردة عليه من بيع الغفران ومع ذلك فلولا موت الامبراطور مكسيمليان لنفذ حكمه البابا على لوتير وضاع حقه عند معظم اهل المانيا لان هذا الامبراطور كان دائم الميل الى تنفيذ مقاصد الكنيسة وتأييد احكامها لاسيما وكان البابا وقتئذ صاحب شوكة وصولية عظيمة واوعدها بنيران من يتبع مذهب لوتير او يؤيده فبعد موت هذا الامبراطور انتقل الى الامير فريدريك منتخب سكس ما كان من بلاد المانيا شكروا بالقوانين السكسونية فصار لوتير بذلك في حق هذا الامير الذي كان يافع عنه وبقية من حقد اعدائه واضرارهم وصار على غاية من الاسن والاطمئنان ومكث مذهبهم جاريا بين الناس بدون حرج في خلال المدة التي كانت بين موت مكسيمليان وانتخاب شيرل كان امبراطورا بدلا عنه حتى صار نيابا بعد مستقرا في عدة محال وتمسك قلوب كثير من الناس وزيادة عن ذلك

مطلب
كون موت الامبراطور
مكسيمليان من الامور التي
اعانت لوتير

سنة ١٥٢٠

كان البابا ليون العاشر وقتئذ مشغولاً بشأن انتخاب الإمبراطور لكون ذلك أهم عنده من المجادلة التيموليحية حيث كان لا يدرى فيها شيئاً ولا يمكنه أن يتبصر في عواقبها لما رأى أن فريدريك يميل إلى حزب لوتير لم يدقق ودعواه خوفاً من أن يغضبه وهو ذو شوكة عظيمة وصولاً كبيرة في ديوان المنتخبين ولم يعجل بالحكم على لوتير بالكفر والخروج عن دين الكنيسة الصحيح مع أن لوتير كان له أعداء كثيرون لا يغفلون طرفه عين عن حث هذا البابا وتحريره على إيذاء لوتير واضراراه

مطلب
تأخير الحكم على لوتير

ولما كانت تلك الأسباب والمآرب السياسية قائمة بنفس البابا ليون العاشر حاول في أمر لوتير حتى مضت ثمانية عشر شهراً ولم يحكم عليه بشيء لاسيما وكان البابا يكره بطبعه كل مجادلة ومحاوره تسابق في ميدانها الخصام ولكن في تلك المدة لم تنقطع مذاكرات رومة في شأن إنهاء هذا الأمر بالتى هى أحسن وبهذه المذاكرات عرف لوتير فساد ديوان رومة واختلاله وعلم أنه لا وجه إلى تحويل أربابه عن بدعهم وأوهاسهم الفاسدة وضلالهم في اعتقاداتهم الكاسدة وأنهم لا يتبعون الحق ولو ظهر بالبراهين الرادعة والأدلة القامعة حتى ظهر عليه أنه داخله الشك في كون شوكة البابا من استمرار الأهمية وحصل بمدينة ليسييك على رؤس الأشهاد مناظرة في هذه المسئلة بينه وبين العالم أكسيوس وكان لسعة علمه ودقة فهمه من علم الخصام لوتير واشتد هم خطر اعليه ولكن انتهت هذه المناظرة كغيرها من المناظرات السكولاستيكية بدون أن يترتب عليها ثمرة ولم يلزم أحدهما إلا خريجة بل بقي كل منهما على رأيه ولم ينهض شيئاً في شأن المسئلة المذكورة

مطلب
الشيخ ييلاد السويصة

وكان بلاد سكس نفرت من دين الكنيسة الرومانية لكثرة جورها وظلمها كذلك بلاد السويدية حصل فيها مثل ذلك فان الأسباب بعينها أثارت في ذلك الزمن تقريباً العتول وجرائم على هك حصة دين تلك الكنيسة وذلك أن رهبان طائفة فرنسيس لما أمر وأبازاعة بيع الغفران في بلاد السويدية سلكوا سبيل الاختلاس والظلم الذي أوجب بغض الرهبان الدومينيقيانية

سنة ١٥٢٠

الى الاحدية في بلاد المانيا ومع ذلك فلم ير الواعلي نشر بيع الغفران بدون عائق حتى وصلوا الى مدينة زوريكة فلما ارادوا ان يذيعوا بها بيع الغفران برزاهم العالم زيونفل ولم يكن دون لوتير في الجسارة والرغبة في سعادة النوع البشري فعارضهم وابى ان يقر هذا الامر الرديء الذي يسخط المولى ويضر بالعباد وكانت حكومة السويسة وقتئذ حكومة جمهورية فلم يكن زيونفل كالوتير مكبولا بقيود الحكم بل كان حرا مطلقا التصرف في حركاته وسكناته فمن ثم تتبع مقاصده مع ثبات القلب والجسارة على رؤس الاشهاد ولم يخش بأس احدوصم على هدم قواعدين الكنيسة ومحو اثره بالكلية فسر لوتير لذلك حيث وجد له ظهيرا يؤيد مذهبه وبعض آراءه وفرح فرحا شديدا من قبول هذا الراهب وانتشار آرائه الا ان اعداءه اثتصروا عليه من وجه آخر في مدرسة كولونيا ومدرسة لوان حيث فند علماء هاتين المدرستين آراءه وحكموا عليها بانها خطأ محض

ولكن كان لوتير جسورا لا يخشى بأسا فلم يرده نعصب اعدائه وتدقيقهم الاغصاوية فاخذ يقدح في دين الكنيسة ويفحص مع التدقيق عن اصوله ويفسدها واحدا بعد واحد حتى زلزل القواعد المتينة التي تأسست عليها شوكة ديوان رزمة وثروتها فاقبض البابا ليون العاشر انه لا يمكن ارجاع لوتير بالتي هي احسن هذا واخذ جماعة من الاحبار المتبحرين في المعارف يوافقون اعداء لوتير ويلومون البابا على حلمه واغضائه عن سقمه وجسارته مع قدحه في الكنيسة بكل منقصة ويتعجبون من كونه لم يغضب عليه ولم يحكم بكفره حتى يحرم من نعم الكنيسة الرومانية التي قدح فيها وهتك حرمتها مدة ثلاث سنوات وكانوا يقولون ان عظم شأن الكنيسة يقضى بعقاب هذا الرجل العقاب الشديد في نظيره وقاحته ومسبته لها وان الامبراطور الجديد يعضد البابا ويكون نصيره وظميره ومن البعيد ان الامير فريدريك منتخب سكس يترك سبيل السياسة والحزم وما هو دأبه من الاحتراس والتبصر ويتصدى لحماية هذا الرجل ويعادى البابا والامبراطور وان عقدت في ذلك مشورة الكردينالات عدة

مطلبه
جسارة لوتير وتقدم
مذهبه وازدياد قبول
آرائه

صفحة ١٥٢٠

مطلب

فرمان حرمان لوتير
والحكم بكفره وطرده عن
باب الكنيسة

مطلب

تأثير هذا الفرمان في بلاد
ألمانيا

مطلب

تأثير هذا الفرمان في لوتير
في ١٧ من شهر تشرين
الثاني

مرات لتختبر هذه القضية وتقف على حقيقتها فصدر حكمها في شأنه على وجه
مقبول لا يمتثل نقضاً ولا ردافراً جعوا القوانين ليجثوا فيماعن صيغة حكم
صحجة لا تقبل الخدش بوجه من الوجوه فلما كان اليوم الخامس عشر من شهر
حيزران (سنة ١٥٢٠) صدر في شأن لوتير فرمان الحرمان الذي كانت
عاقبته مشؤومة على كنيسة رومة واستخرجوا من مؤلفات لوتير إحدى
واربعين مسألة حكموا عليها بأنهم من عقائد الفرق الزائفة التي تزرى بالمرودة
والانسانية وتنايد مكارم الاخلاق وكان هذا الفرمان يتضمن ايضاً تحريم
قراءة مؤلفات لوتير وان من تجاسر وقرأها حكم عليه ايضاً بالحرمان
والطرد وفيه ايضاً امر بان من عنده بعض نسخ من تأليفه يجب عليه ان يذفها
في النار وبعد سنتين يومان لم يرجع لوتير عن مذهبه ويعترف على رؤوس
الاشهاد بان ذلك من الخطاء المحض ويجوز ما تركه بعد من الفرق المبتدعة
ويحكم عليه بالحرمان حتى يصير مخذولاً مدحوراً ويصير كون من استهوته
الشياطين فعدل عن الحق وحاد وضل عن سبيل الرشاد وكان في هذا الفرمان
ايضاً امر لسائر الامراء ان يقبضوا عليه ويذوقوه من العذاب ما استوجبه
لنفسه بسبب ما ارتكبه من الموبقات والكبائر ولما انتشر هذا الفرمان ببلاد
ألمانيا اضطربت الآراء وتعددت المذاهب فكانت آراء الناس تختلف
بحسب اختلاف البلاد والمحال فاما اعداء لوتير واخصامه ففرحوا
كل الفرح ظناً بان هذا الفرمان يكون به ابطال مذهبه ومحو اصحابه واما
احزاب لوتير فكان احترامهم للبابا كل يوم في التناقص فلما قرأوا الفرمان
ازداد غضبهم وسخطوا على البابا بل في بعض المدن تصدى الاهالي لمنع اشاعة
هذا الفرمان وفي بعض آخراسى من تصدى لاشاعته ومنق الفرمان كل عزمق
وطنته الاقدام

ولم تقترهمة لوتير بهذا الحكم حيث كان يعلم من قبل انه لا يسلم منه وانه لابد
من وقوعه فبعد ان رفع فصل دعواه الى مجلس قسيسى عام كتب بعض
ملحوظات ناقش بها فرمان الحرمان وكان يعلم ان البابا ليون قد سلك

سنة ١٥٢٠

في الحكم عليه من الجور والتعدي فقال على رؤوس الاشهاد ان هذا البابا هو
المسيح الدجال الذي نص على ظموره كتاب العهد الجديد وصار يصفه بالظلم
والتعدي ويبالغ في ذمه والقدح فيه اكثر مما كان عليه اولاً وحرص جميع ملوك
الافرنج وامراءهم على القيام عليه والخروج عن طاعته حيث ان احكامه
لا تنكسهم الا العار والمذلة وصار يتدح ويغتر على رؤوس الاشهاد بانه استوجب
غضب البابا في نظير جسامته على حماية حرية البشر ورغبته في حفظ السعادة
البشرية ولم يكن في اظهار احتقاره للبابا يجبره على الخطابة والكلام بل لما رأى
في الفرمان الامر بحرق كتبه في رومة اراد ان يفعل في حق البابا مثل ما حكم
عليه به بجمع المدرسين والطلبة الذين كانوا وقتئذ بمدرسة ويسايرغ حتى
صار تجميعية كبيرة ورمى في النار كتاب القانون الروماني واصحبه بفرمان
الحرمان وتأسى به في ذلك عدة من مدائن المانيا ثم ان الطريقة التي سلكها
في تركية نفسه وتحليل هذا الفعل وانه من قبيل الصواب كان فيها اساءة ادب
اكثر من الفعل نفسه وذلك لانه استخرج من القانون الروماني بعض مسائل
يسبغها العقل تتضمن ان شوكة البابا فوق شوكة كل ملك وامير وحقير وخطير
ووضع على هذه المسائل شرابين فيه فسادها وبرهن على انه مع تداول الايام
يترتب عليها محق الحكومات الملكية ودمارها

هكذا كانت حالة مذهب لوتير حين دخول شرلكان في المانيا فلم يكن
احد من الامراء والملوك الى ذلك الوقت اتبع المذاهب الجديدة وعمل بها
ولم يكن حصل ادنى تغيير في صورة الدين ولا ادنى تعد على حقوق القسوس
واحكامهم وبالجملة فلم يكن انحط الرأي على ترجيح احد المذهبين على الآخر
فانه وان كانت نيران الجدال قد اضطربت بين الحزبين الا انه لم يحصل بت
ولا انتهاء في هذا المعنى بل كان كل من الفريقين يسأل ويجيب ويصايب ويصيب
وتتعارض الادلة فيسقط المعلول بسقوط العلة ومع ذلك فقد اثرت هذه المجادلة
في عقول الناس تأثيراً قوياً وقل احترامهم لدين الكنيسة ورسومها وادركوا
ضعف الاوهام المكسدة والبذع الفاسدة وبالجملة فلم ترل العقول من ذلك

مطلحة

الحالة التي كان عليها الد

حين دخول شرلكان

في بلاد المانيا

سنة ١٥٢٠

الوقت تزداد تفتنا واستيقاظا حتى توفرت من يومئذ اسباب الفتى التي انتشرت
نيرانها فيما بعد يلاذ المانيا تزلزلت ارجاؤها واضطربت كل الاضطراب
فكان الطلبة يأتون افواجا من سائر اقاليم الايمراطورية الى مدينة وتير ويتابعون
لاخذ عن وتير قدسعى الى تلك المدينة الشهيرة ميلانختون والحبر
كرستاد وغيرهما من المدرسين العظام واخذوا عن وتير المذاهب الجديدة
وقلواها الى ابناء وطنهم فتلقوها عنهم مع الرغبة التامة التي تكون عادة للنفس
في كل امر جديد مرغوب فيه يعتقد ان صحته قطعية لا تذكر وكان ديوان
رومة في اثناء تلك الحوادث يحكمه رجل يعد من امهر الباطن الذين حكموا
في الكنيسة الرومانية ومع ذلك فلم يبد هذا الديوان في تلك الواقعة ما اشتهر به
غير مرة يلاذ اوروبا من الحزم في تدبير مقاصده والعزم في تحيزها حيث
كان يتخذ الافرنج قدوة في حسن السياسة والتدبير وذلك ان وتير حين
قدحه في بيع الغفران كان هناك طريقان لوسلك البابا احدهما لافسد على
وتير مشروعه ولوسلك الاخرى لسكن هيجانه واخذ له ميه وكان يلزم بمجرد
عدوله عن الدين ان يبادر بالتبض عليه ويعامله بالتعزير والتعنيف حتى يرجع
او يحكم عليه بما يرجح الكنيسة منه ولتبين هاتين الطريقتين فقول لوقبض
على وتير من مبدء الامر قبل تمكنه وهدد بغضب الكنيسة عليه وصدر في
حقه فرمان بالحرمان لئلا يجر هذا الثرمان الامير فريدريك منتخب سكس
ومنع عنه عن التصدي لحماية وتير ومنع الاهالي ايضا عن اتباع مذهبه
بل وكان وتير نفسه يلحقه الرعب والفرع ولا يتجاسر على فعل شيء مما فعله
وكان اسمه لا يعرف الا بين الانام الابطونة قد بذل جهده في امر مدوح وهو
شروعه في محو مظالم ديوان رومة الا انه استعجل بهذا الشيء قبل اوانه
فعوقب بحرمانه والطريقة الاخرى التي كان ينبغي للبابا سلوكها هي انه كان
ينبغي له ان يظهر من مبدء الامر الغضب من قبح سلوكه من كانوا مومنين
باشاعة بيع الغفران وانهم جاوزوا الحدود وفعلوا اكثر مما يجب عليهم وكان ينبغي
له ايضا ان يمنع المجادلة على رؤوس الاشهاد في اى مسئلة كانت من المسائل

مطلب
ملحوظات في شأن سلوك
ديوان رومة

الخلافية المشكلة لانه يخشى على الكنيسة من الجدال في تلك المسائل العويصة
اذا كان الى ذلك العصر لم يظهر من يقوم حقيقة بمحل مشكلاتها وذلك
معضلاتها و بما كان ذلك يمنع لوتير عن تقوية مذهبه وتوسيع دائرته ولولا
ان ديوان رومة شدد عليه والزمه بالبحث عما يدافع به عن نفسه لمحدث
نيران مجادلاته وتلاشت شيئاً اوبعدت عن اجماع الناس وانحصرت
في المدارس وضاعت بين المحاورات السكولاستيكية ولا يمكن لديوان رومة
ان يحاجه في هذه المسئلة من غير ان يضر بالكنيسة الرومانية في شيء
كما يحصل لها ضرر بسبب غيرها فتكون كسئلة حمل مريم عليها السلام من
حيث عدم الاضرار بالكنيسة حيث لم يترتب على ما وقع فيها من الاختلاف
بين قسوس طائفة فرنسيس وقسوس الطائفة الدومينيكانية ضرر
ولا اختلال وكذلك مسئلة عفو الله التي حصل الخلف فيها بين الطائفة
الجنسية ناستية والطائفة اليسوعية ولكن كان البابا ليون يتردد بين هاتين
الطريقتين فضاغت منه ثم رتبها حيث شدد على لوتير اكثر مما يلزم فعوضا
عن كونه يقمعه بهذا التشديد ويرده عن حقيقته لم يرزده الا تعصميا وعنادا
وكان حلم البابا و صبره عليه واسمه له في غير محله حيث استعان به لوتير على
نشر مذهبه من غير ان يخشى بأس الكنيسة وكان صدور فرمان الحرمان اخيرا
فلم يؤثر في عقول الناس ولم يكن له موقع في قلوبهم ولو صدر قبل الوقت الذي
صدر فيه لاثرتا تأثيرا قويا وتم الغرض منه

ومن الغريب ان ديوان رومة لم يحكم سياسته ولم يتقن ادارته في هذا الامر
مع انه قل ان استوجب لنفسه لوما في سياساته او قيل في حقه انه لا يعرف
مصلحة نفسه ولا من اين يوكل الكتف واغرب من ذلك ما ابتداء لوتير من الحزم
والتدبير في هذا الغرض فانه وان كان لادراية له بمواقع عواقب الامور بسبب
حكمة طبعه وشدة خلقه احكم السياسة والادارة في اظهر ازمه ونشره حتى
فجعت مناسعيه كل النجاح بحيث لو كانت بيد احد من ارباب السياسة المتكئين لما
فجعت اكثر من ذلك وحين تصدى لمناقضة الراهب تتريل في مبدء الامر كان

مطلب
سلوك لوتير

لا يظن ان عاقبة آرائه تصل الى هذه الدرجة في الاصرار بالكنيسة ونسخ دينها
ولو خطر حينئذيه هذا النسخ العام الذي صار فيا بعد فيخبر به لا تعدت
فرائضه واضطربت من الفزع والخوف علماءه لا طاقة له على تخييره لكونه
من المشروعات الصعبة التي تجل عن امثاله هذا وعلم الحقيقة لم ينطبع في قلبه
دفعة واحدة اى لم يكن له من الامور الدينية والا لاهم سامية بل كان ثمرة
مطالعة وممارسته للعلوم بحيث لم يصل اليه الا بالتدريج وكان مذهب
الكنيسة الرومانية مرتبطة اجزاؤه ببعضها ارتباطا كليا حتى كان ظهور
الخطا في قاعدة واحدة يجترأ الى الخطا في الباقي فكانه بناء هدم بعضه يؤدي
الى ارتجاج اساس بقية اجزائه بل ربما ترتب عليه هدمها بالكلية فلاجل
ان يريل لوتير من عقول الناس ما كان قائما بهم من استحسان
بيع الغفران واقراره اضطرا الى البحث عن السبب الحقيقي الذي يكون به
براءة الانسان من خطايا وذنوبه والعنونه فيما جنى فلما علم هذا السبب
بنى عليه عدم لزوم الحج والاحتفالات والتضرع الى القديسين في الشفاعة
والتوسل بهم وعدم لزوم المواسم التي تعمل لاجلهم وبطلان الاعتراف
بالذنوب للقسوس مشافهة واستنبط منه ايضا انه ليس هنالك محل تطهر فيه
ارواح المذنبين لتستوفي ما استوجبته بذنوبها ومعاصيها وقد وصله بجمعه عن
تخطئة هذه الامور وافسادها الى معرفة حقيقة القسوس الذين كانوا
متكئين بتخييزها ورأى ان منشأ فسادهم انما هو غناهم المفرط وتخريمهم
الزواج على انفسهم وتشديدهم كل التشديد في شأن المناسك الدينية والرسوم
الرياسية وبناء على ذلك كان قريبا من ان يشك في كون شوكة البابا من
الاسرار الالهية حيث ان هذا البابا يبيع مثل تلك الامور الفاسدة الباطلة ويبذل
جهدا في تأييد تلك الاوهام العاطلة وبعد ان اثبت ذلك بنى عليه امر اجديدا
وهو انكار عصمة البابا عن الوقوع في الخطا وصحة ما تحكم به الكنيسة
والقسوس وغيرهم من امناء الدين قائلا لا يتملك الانسان الابنص كتاب الله
الذي لا تغير ولا تبدل لكلماته فهذا هو الاقرب للصواب وعين الحقيقة وهو

سنة ١٥٢٠

قاعدة صحيحة تعرف بها الحقائق التبولوجيكية فلما كان لوتير يسلك على هذا المنوال البديع ويعضد امرابا مرويني شيأ على شئ نجح في مساعيه كل النجاح وحل بذلك في ذرى الفلاح حيث كان لا يعرض على الناس من اول وهلة ما تمجده اسماعهم بان يكون مخافا بالكلية لاهوامهم القديمة او بعيدا عن اعتقاداتهم الراسخة في اذهانهم بل صار يلعب عقولهم وينقلهم من عقيدة الى اخرى من غير ان يشعروا بشئ تنفر منه نفوسهم فكان كلما استكشف شيأ جديدا تنشر منه صدورهم وتقبله عقولهم بحيث تمتزج بهم كامتزاج الروح بالجسد ونشأ ايضا عن سلوكه على هذا المنوال ان البابا ليون امله في اول الامر ولم يعين بصنعه فامكنه ان ينشر مذهبه بين الناس وصار له موقع في قلوبهم قبل ان يتفطن احد الى ادراك عواقبه ولوتغالى لوتير من اول وهلة في القدح في الكنيسة الرومانية لبادرت الى الانتقام منه بغاية وسعها الا انه كان في مبدء امره غير مصمم على هذا المشروع حتى مكث زمنا طويلا وهو يظهر للبابا كل الانقياد والطاعة ويحترم احكامه كل الاحترام بحيث كان لا يترأى عليه انه سيعصاه ذات يوم او يقدح فيه وينتقد احكامه ويرى فيها بكل ما يمكنه ولذلك اهل البابا في مشروعه واغنى عنه فصار يسعى كل يوم فيما فيه ازدياد مذهبه واضاعة حجة الكنيسة الرومانية ولم يشعر البابا وديوان رومة بان عاقبة مشروعه تضر بهم كل الضرر ولم يبحثوا عما يسلون به من تلك العاقبة السيئة الا بعد ان صار الداء عضالا لا ينفعه دواء

نعم ان لوتير قد ساعده في تأييد مذهبه وتعضيده حسن سلوكه وتدبيره وقلة تبصر اخصامه وقبح ادارتهم لكن لا ينبغي ان نحصر اسباب تقدم مذهبه في هذين السببين بل كان ثم اسباب اخرى اعانتته اتم اعانته حيث ان عدة من الاحبار الماهرين كانوا قد كتبوا قبل وجوده بزمن طويل في التشنيع على الكنيسة وسلوكها وسلوكها في القدح في احكامها وتشديد آرائها ورسومها وبرهنوا على ذلك بمثل البراهين التي غسك بها فقد ظهر في القرن الثاني عشر الحبر ولدوس وفي القرن الرابع عشر الشهير وكليف وفي القرن

مطلب
الاسباب التي اعانت:
تقدم النسخ

الخامس عشر الماهر الحاذق حنايوس وكلهم ينشوا ضلال
الكنيسة الرومانية وزيفها مع الجسارة التامة واقاموا على بطلانها
وتخطتها براهين جلية تجلب عمايتوهم في اهل اعصر الجبال التي كان
هؤلاء الاحبار موجودين بها الا ان جميع مشروعاتهم في شأن النسخ لم تنجح
وخاب سعيهم فيها لانها كانت في غير اماكنها وقبل اوانها فلم تكن في تلك الاعصر
الخشنة الا كاشعة ضعيفة من وراء حجاب فلم يمكنها ان تغرق الغيوم الكثيفة
التي كانت مخيمة على الكنيسة الرومانية فعمدا قليل ذهب ضوءها وانكشف
نورها وعلى فرض ان مذهب هؤلاء الاحبار القديسين كان له موقع في قلوب
الناس وكان له تأثير في البلاد التي انتشر بها فكان تأثيره ضعيفا وادارته ضيقة
بمعنى انه لم يتمكن ولم ينسب به كثير من الناس لان معظم الاسباب التي اعانت
لوتير على تأييد مذهبه وانتشاره كان مفقودا في عصر هؤلاء الاحبار او كان
قليل التأثير والجدوى في مثل ذلك العصر بخلاف مذهب لوتير فظهر في ابانه
حيث كان الوقت وقت شدة واضطراب فوجدت ثم مقتضيات احوال كثيرة
اعانتها على تميم مقاصده وتنجيز اغراضه ومشروعاته

هذا وقد حصل في الدين نزاع كبير وشقاق كثير مكث زمنا طويلا حيث
استغرق القرن الرابع عشر وبعض الخامس عشر فاورث الكنيسة العار
والامتهان وقل احترام الناس للبابا وذلك ان اثنين او ثلاثة من البابايات كانوا
يطوفون في آن واحد بلاد اوروبا ويتلقون لمن يريدون استمالته من الملوك
ويظلمون البلاد التي كانت تحت حكمهم ويحكمون بالكفر على من خرج عن
طاعتهم فكل ذلك جز الى غريق عرض البابايات والى احتقارهم واحتقار
مناصبهم حتى تفرقت منهم القلوب وانكر الناس عصمتهم عن الخطاء والزوال
ولما كان كل فريق من المتشاكخين يرفع دعواه الى محكمة اللاييك (اي
الامرآء) اخذ اللاييك يعدون ان حكمهم لاحكم فوقه وبالغوا في ذلك
حتى صاروا ينتخبون من شاؤوا من القسوس ويجعلونه بابا وازداد احتقارهم
لكنيسة رومة بسبب الاوامر التي صدرت في شأنهم من المشاور القسيسية

مطلب
الشقاق الطويل الذي
حصل مدة القرن الرابع
عشر

سنة ١٥٢٠

التي انعقدت بمدينة قونستنس ومدينة باله وكبرت جسارة هؤلاء
اللايين وعظمت شوكتهم حتى كانوا يعزلون من شأوا ويولون من شأوا من
البابات فلم الناس من ذلك انه يوجد في رتب الكنيسة رتبة اعلا من رتبة البابا
التي كانت قبل ذلك معتبرة انها اعلا مراتب الكنيسة واعظمها شوكة
وصولة

وقبل ان يبرأ الجرح الذي اصبحت به شوكة البابا بسبب افتيات اللايين
تولى البابا سي اسكندر السادس ثم جاليوس الثاني وكانا لا يوفيان
بحقوق العصا القيسية وان كانا ماهرين بالنسبة الى حسن تادية
الاحكام الملكية فظهر منهما ما اكسب الكنيسة الرومانية عارا على عارها
في جميع الاقطار النصرانية اما اسكندر السادس فكان فاسدا لالاخلاق غير
مستقيم الحال في معيشته وادارة نفسه وكان ذا خداع ومكر ظلوما غشوما
جبارا في ادارة المملكة فعداه هذه الاسباب من الطوائف الجبارين الذين
دنسوا نوع البشر واما الثاني فكان خاليا عن النهموات القبيحة المشؤومة التي
اوقعت سلفه اسكندر السادس في الخطايا العظيمة والذنوب الجسيمة التي تنفر
منها النفوس الكريمة لكن كان طمعه فوق كل نهاية وحرصه لا يقف عند حد
وغاية فكان لا يحترم حقوق من له الفضل عليه وينتهك حرمان الادب
والحشمة اذا كانت مراعاتها تؤدي الى تعطيل مقاصده وافساد ما ربه فكان
يعسر على الانسان ان يعتقد ان اسرار دين النصرانية الذي يحترس
على الاحسان والمروءة قد اودعت في قلب الجاحد اسكندر والسفيه
جاليوس ومن ثم كانت آراء من ارادوا جعل احكام الجمعية القيسية
العمومية فوق احكام البابا في ايامها حاله محل اقول هذا وكان امبراطور
المانيا وملوك فرانس في جدال وقتال مع ديوان رومة فاغضوا
عماصد من رعاياهم في حق هذين الظالمين من الذم والقذح والمسبة فدار على
اللسن من وقتئذ سب البابا وذمهم فلذا لم يغضب احد من لوتير واتباعه
حين قدفوا كنيسة رومة وبالغوا في ذمها والاستهزاء بها

مطلب

في الكلام على البابا
اسكندر السادس والباب
جاليوس الثاني

ثم ان هذا الظلم الشديد المفروض لم يكن خاصا بالبابا الذى هو رئيس الكنيسة
لان اغلب كبار القسوس على الاطلاق كانوا من عائلات الاشراف والاعيان
ولم يؤثروا الدخول فى خرقه القسوس الاطمعهم فى الوصول الى ذرى
المناصب العالية والتمتع بارزاقها الواسعة فكانوا يملون بالكلية ما تقتضيه
وظائفهم القسيسية من الواجبات ويتبعون اهواءهم ويركنون الى ارتكاب
الرزائل التى هى من عادة ارباب الثروة والدعة واما صغارهم فكانت فاقهم
تنعمهم من التأسى بكبارهم فى الرفاهية والزينة لكنهم لتوغلهم فى الجهالة
والمناسد وافرطهم فى الموبقات والاثام كان الناس يحتمقونهم كما كانوا
يغضون كبارهم وهناك امر صعب مخالف للطبع البشرى وهو ايجاب رهبانية
تلك الخسرة ومنع تزوجها فقد ترتب عليه من المفساد والفسق ما تقصر عنه
العبارة حتى انه فى عدة محال من الايمراطورية الالمانية لزم ان يؤذن للقسوس
بالاجتماع بالخطيات ومرافقة الاجنبيات لقيامهم مقام الزوجات بل وامروا
بذلك فعالجة داء الرهبانية بدواء مخالف لدين النصرانية يدل دلالة قوية
على كثرة مفساد القسوس وفسقهم وقتئذ وقبل القرن السادس عشر بمدة
طويلة ظهر عدة من ثقات المؤلفين المشاهير كتبوا فى هذا الشأن فيبينوا فساد
اخلاق تلك الخسرة ووصفوها باوصاف يستبعدها العقل فى عصرنا هذا
وبالجلد ففسادهم اغضب الناس كافة واورثهم من الخزي والعار ما لا مزيد
عليه واما هذا المجرد كونه مثل تلك الاخلاق الفاسدة لا تليق بوظائفهم
المحترمة بل لانهم كانوا فى الاصل من رعاع الناس وسفلتهم ثم ارتقوا من
حضيض الفاقة وعدم الاعتبار الى اوج العلا والفخار وصاروا بما كان من الغنى
والثروة سكان الللايك يتأثرون منهم كل التأثر ولا يغضون عن هفواتهم
كغيرهم من القسوس العريقين فى النسب المتاصلين فى الثروة ولما كان حسدهم
لهؤلاء اشد من حسدهم للآخرين كان قد حسدهم فيهم ايضا اشد واعظم فبناء على
ذلك كان لا احب على الناس من سماع دج لوتبر ودمه فى القسوس فكان كل
من اصغى اليه وجد فى ملحوظاته فى هذا المعنى براهين وضجة وادلة صحيحة ترى

ان ذمه لهذه الخرقه صاف محلا

سنة ١٥٢٠

مطلب

سهولة نيل الانسان العقو
فيما جناه على نفسه كقتل
او غيره

وقد ازدادت مفسد القسوس حتى جاوزت الحدود لما انه سكان بسهل عليهم
كالعامة نيل الغفران مما يجنونه من القبائح وبذلك صارت شوكة القضاة
والحكام المدنية واهية في جميع دول أوروبا حتى كادت تنعدم بالكلية لانه
لما كان الحكم حينئذ على الوجه السابق قبيح الترتيب ردى الادارة اضطرها لولا
القضاة الى ان يسلكوا في احكامهم طريقة التساهل وعدم التدقيق في اقامة
شعائر العدل والانصاف حتى كانوا يتجاوزون عن الفواحش والكبائر
بواسطة دفع مغارم عيقتها القوانين ولما كان ديوان رومة دائما يبحث
عما يكون به ازدياد ايراد الكنيسة الرومانية اتنع هذه العادة وادخل تلك
المغارم في المصالح الدينية حتى صار يعفو عن كل مذهب بدفع المغارم المذكورة
وحيث ان كفارة الكبائر بدفع هذا المقدار من المال كان موجودا من قبل وكان
الناس متعودين عليه لم يتفروا منه حين اتخذته ديوان رومة وسيلة
في ازدياد ايراداته ولذلك صارت تلك العادة عامة بين الافرنج كافة حتى انه
لاجل منع ما يمكن ان يتطرق اليها من الغش والتدليس صنف قضاة رومة
كتابا كتبه ريفنامة محتويا على تعيين المقدار اللازم في كفارة كل جنسية
بخصوصها فكانت كفارة القتل اذا وقع من الشمس دفع مغرم قدره عشرون
ريالا وكان يمكن لكل من الاساقفة ورؤساء الاديان ان يقتل النفس بشرط
ان يدفع للبابا ثمانية من الفرنكات وذلك الف ومائتان من القروش وكان
ايضا يجوز لكل قسيس ان يسلك سبيل الفساد وينهمك على المحارم والمآثم
بشرط ان يدفع ثلث المبلغ المذكور وطالماعني عن جنسي جنسية عظيمة
او ارتكب كبيرة نادرة الوقوع بل ولا تخطر الايصال القساق الجبارين الخالين
عن المروءة والانسانية في نظيره دفعه مغارم بسيرة هينة ولكن لما حسنت
الاحكام في دواوين الامراء والالايك وصارت تجرى على منهج الاصول
الدينية والادبية ظهر للناس ان هذه العادة التي كانت اديوان رومة في تكفير
الخطايا والذنوب محلة بالديانة والادب وانها منشأ ضلالات القسوس وعدم

مطلب

سعة ثروة الكنيسة
الرومانية وزيادة اموالها
عن الحد

مطلب

فرط غنى الكنيسة وظلمها
في المانيا

اتباعهم نهب العدل والاستقامة

وربما كان يمكن الاغضاء عن فساد اخلاق القسوس لو لم يغتروا بكثرة اموالهم
وسعة ثروتهم وشوكتهم حتى صاروا يظلمون بقية طوائف الالهالي ويعاملونهم
اسوء المعاملة ومن المعلوم ان دأب اولى البدع الفاسدة والاوهام الكاسدة
الميل الى الزينة والمباهاة وفرط السخاء على من يعتقدون حرمتهم بل يرون
ان ما يفلونه في حقهم قليل لا يفي بما يجب لهم عليهم حتى يرقوهم الى اوج الغنى
والثروة والشوكة فمذاهو منشأ ثروة كنيسة رومة ونفوذ كلمتها في سائر بلاد
اوروبا حتى شمت منها طائفة اللاتين مع ان كرمهم المفرط واسرافهم
كان هو السبب في ذلك

واعظم ظلم القسوس كان يلاذ المانيا ولذلك ترى ان الالمانيين مع
شدة ميلهم الى عوايدهم القديمة كانوا مستعدين اكثر من غيرهم من الملل
الافريقية لاتباع من يشير عليهم بطاب الحرية والخلوص من اسر الكنيسة
ففي اثناء المشاجرات والمنازعات التي مكثت مدة مستطيلة بين الالمانيين
والبابايات في شأن التقليد بالمناصب والوظائف هل هو حق البابا او حق
الالمانيين وفي مدة الحروب التي تسببت عن هذه المشاجرات انضم اغلب
كهنة المانيا الاقوياء الشوكة الى حزب البابا وكانوا في مدة عصيانهم على
الالمانيين يتغلبون على ايرادانه ويحوزونها لانفسهم بالقهر والغلبة وافتاتوا
ايضا على احكامه الخاصة به فيما يتعلق بابرشياتهم وبعد انعقاد الصلح استمروا على
حفظ ما كانوا غصبوه كأ ن طول مدة وضع اليد عليه بمحض التعدي جعله حقا
شرعيا لهم وكانت شوكة الالمانيين حينئذ ضعيفة بحيث لا يمكنهم
ان يسترجعوا ما غصبه منهم هؤلاء الكهنة فاضطروا الى ان ينزلوا لهم عن جميع
الاراضي الواسعة التي غصبوها منهم لتكون التزاما لهم فصار الكهنة من وقتئذ
يتمعون بجميع المزايا والخصوصيات التي كان يتمتع بها الاشراف
والبارونات بموجب المذهب الاتزامي ومن ثم صار معظم الاساقفة ورؤساء
الاديار ملوكا لقسوسا وصارت طبائعهم واخلاقهم كطبائع دواوين امراء

سنة ١٥٢٠

مطلب
تغلب القسوس على بعض
الاراضى

اللايك لا كطبايع القسيسين الذين من دأبهم العفة والديانة والزهد في زهرة الحياة الدنيا

وزيادة على ذلك كانت حكومة المانيا مضطربة لانستقر على حال وكانت الحروب لاتنقطع منها ابدا فاعان ذلك القسوس على تحصيل غناهم وازدياد شوكتهم وفي مدة الحروب التي كانت بها بلاد المانيا في اسوء الاحوال لم يسلم من ظلم الاكبر والاعيان واهوال الحرب الا اراضى الكنيسة والتزامات القسوس لان الناس وقتئذ كانوا يحترمون القسوس كل الاحترام ويخشون ان يحكموا بالحرمان والكفر على من يتعدى على اراضيهم لانهم كانوا دائما يعاقبون باللعن والطرده من تعدي على املاكهم ولذلك اضطرت عدة من المنزعين الى ان ينزلوا عن اراضيهم للقسوس ثم يسترجعوها فتكون تحت ايديهم على انها من التزامات الكنيسة وانما فعلوا ذلك لانهم كانوا بعد صيورتهم بذلك في حى الكنيسة واندر ارجهم في زمرة اتباعها يصيرون في أمن عظيم لا يمكنهم تحصيله بمحض قواهم وشوكتهم

ولما ترتب على ذلك كثرة اتباع الكنيسة تقوت شوكة القسوس وصار لهم صولة عظيمة لاسيما وكانت الاراضى التي يعطيها صاحبها لغيره على سبيل الالتزام ترجع اليه غالبا بموجب الرسوم الموجودة اذ ذلك في شأن الاقطاعات المؤجلة فعمال قليل كثرت اراضى القسوس واتسعت دائرة التزاماتهم

مطلب
من ايا القسوس الذاتية

وكان اعتناء القسوس بتحصيل الامن لانفسهم اكثر من اعتنائهم بتحصيله لاملاكهم واراضيهم فكان نجاحهم فيه اعظم وذلك ان الانسان عند دخوله في خرقة القسيس كان ينصب له موكب واحتفال عظيم ثم بعد دخوله فيها وعده من زمرة اصحابها يمتاز عن بقية طوائف الاهالى في الملابس والمعيشة وتثبت له من ايا وخصوصيات لا يشركه فيها غيره من النصارى فصار القسوس بذلك محترمين كل الاحترام وكان كلما ازدادت الاوهام والبدع ازداد اعتقاد الناس فيهم واعتبروهم كأنهم خلق آخر غير اللايك الذين هم مطية الخطايا والمعاصى فاذن لا ينبغي معاملتهم كمعاملة الناس ولا الحكم عليهم

بموجب القوانين المرتبة لكافة الناس ومن فعل ذلك معهم فقد أثم أثماً عظيماً
وبعد ان كانت معافاتهم من الاحكام المدنية او لا ليست الاعلى سبيل التفضل
والاكرام طلبوا ان تصير لهم من جملة حقوقهم الذاتية التي لا يمكن نزعها منهم
ولا انفصالها عنهم وايدهم في ذلك البابا والاوامر الصادرة من المشاور
القسيسية واقرهم عليه ايضا اعظم الامبراطرة فكان الانسان مادام موصوفاً
بوصف القسيسية محترم الذات لا يجرى عليه شيء من الاحكام المرتبة ولا يقضى
عليه بين يدي قاض من القضاة الا بعد عزله وانسلاخه من الطائفة القسيسية
وكان عزل القسيس من خصوصيات المشاور القسيسية فكان اذا ارتكب
قسيس ذنباً لا يعاقب غالباً بما جنى لان صاحب الحق كان اذا اراد خلاص
حقه من احد القسيسين يلزمه مصاريف واسعة حتى يتوصل الى عزل خصمه
وقل ان امكنه الفوز بعزله بعد المشقة والعناء ولذلك عمدان كثير من اشرار
الناس كان يدخل في خرقهم لمجرد التمتع بتلك المزية العظيمة ولينجو من العقاب
الذي استحقه بسبب الذنوب والمفاسد الكبيرة التي ارتكبتها وطاماتسكى
اشراف ألمانيا من كون هؤلاء القديسين الاشرار انما دخلوا في خرقه
القسوس ليتخلصوا من القتل الذي وجب عليهم بما جنوه حيث ان الواحد
منهم بعد دخوله في تلك الطائفة لا يلحقه اذى ضرر ولو كان قبل ذلك فعل
ما فعل ويفهم مما كتبته الاشراف في تشكيهم من هذا الامر انهم كانوا يضررون
كذلك من معافاة القسوس من الاحكام السياسية ويعتدونهم من
المزايا التي تضر بالناس وتعين على فساد اخلاق القسوس وتزيد في طغيانهم
وبغيمهم

وكما كان القسوس يذلون غاية جهدهم في انبات مزايهم كانوا يعتدون ايضا
على مزاي اللابيك حيث زعموا ان جميع الدعاوى المتعلقة بالنكاح والوصايا
والزباه واثبات كون الولد متولداً من حلال او حرام وكذلك ما يتعلق بالارادات
القسيسية كل ذلك من الامور الخاصة بالدين فلا يجوز فصلها في محاكم
اخرى غير المحاكم القسيسية ولم يكتفوا بتغلبهم على هذا الامر الذي يدخل تحته

مطلب
تغلب القسوس على
الاحكام المدنية

سنة ١٥٢٠

نصف الخاصات والدعاوى التي تقع بين الاهالى حتى تحيلوا وجعلوا سائر
الدعاوى انما تقام في محاكمهم ودواوينهم وحيث ان ذلك العصر كان عصر
جهالات ومعارفة اليسيرة مقصورة على طائفة القسوس كانت معارف
القضاة من القسيسين فوق معارف قضاة اللايك حتى ان الناس في مبداء
الامر ظنوا ان مصلحة حالهم تقتضى ان يساعدوا القسوس ويعينوهم على
توسيع دائرته فتاواهم واحكامهم لانهم كانوا يثقون بهم اكثر من الاخرين
من طائفة اللايك لما كانوا يرونه فيهم من كثرة المعارف بالنسبة لقضاة
اللايك وترتب على ميل الناس للقسيسين ان صارت احكام اللايك
تضجع لشيأ فشيأ حتى كادت تنعدم بالكلمة وكان ذلك ايضا من جملة الاسباب
التي اعانت على ازدياد شوكة القسيسين حيث اقسمت دائرة ايرادهم بما كان
يرد لهم من فصل الدعاوى

مطلب
خوف الناس من
القسيسين

وكان الناس حينئذ يخشون بأس الكنيسة ويخافون غضبها لان الحرمان لم يكن
الغرض منه بحسب الاصل الا ابتداء طهارة الكنيسة وازهاق الرجس عنها
فكان لا يقع الحكم به الا في صورة ما اذا اريد طهيرا الجمعية النصرانية من كل
فاسق عنيد له عقائد زائفة تجعل عيشته بين الناس موجبة لتمدنيس دين
النصرانية ولكن توسع فيه القسيسون فيما بعد حتى جعلوه آلة يستعينون بها
على ازدياد شوكتهم الديونية فكانوا يحكمون به على الانسان في نظير اشياء
هينة لا تترى بمروءة ولا انسانية فكان كل من احتقر شيأ من احكامهم
ولو في الامور المدنية المحضة يحكم عليه بالحرمان وتسلب منه جميع المزايا
النصرانية ويحرم من الحقوق الثابتة لانباء وطنه بل ومن حقوق كل انسان
من الجمعية من حيث كونه انسانا ونبأ على ذلك كان الناس يخشون عاقبة
الحرمان فكانت تراهم على اختلاف احوالهم يتقادون لاوامر القسوس
ويعتدلون احكامهم لافرق بين صغير وكبير وحقير وخفير

مطلب

تحيل القسوس في تحصيل
الوسايط التي يامنون بها
على ما ثبتوه لانفسهم من
الحقوق والمزايا

وكما ان القسوس سلكوا سبل التحيل والمهارة فيما يكون به ازدياد ثروتهم وغناهم
ونفوذ كلمتهم لم يهملوا كذلك في تحصيل الوساط التي بها يامنون على بقاء تلك

الثروة لهم حتى لا تنقل عن خرقهم على مدا الايام فاعلنوا ان اراضي الكنيسة
واملاكمها لا تباع ولا تشرى ولا ترهن ولا تنقل الى ملك غيرها باى وجه كان
لانهم موقوفه لوجه الله تعالى ومن المعلوم ان الاموال التى تكون دائما
في الزيادة من غير ان يضيع منها شئ تباع في الكثرة اقصى الدرجات ولا يكون لها
حد تقف عنده فموجب الحسابات التى حررت في المانيا وجدين ايدى
القسوس ما يزيد على نصف اموال الملة وكانت هذه النسبة تختلف باختلاف
الممالك ولكن كانت اموال القسوس في كل محل قد بلغت مبلغا لا يزيد عليه
وايضا كانت اراضيهم الواسعة معافاة مما كان مفروضا على املاك اللاييك
من الخراج والجبايات ففي بلاد المانيا كان القسيسون معافين من سائر
انواع الجرائم وكان اذا طرأت عوارض جسيمة غير المعتادة واعطى القسيسون
شياء للدولة لتستعين به يكون ذلك بمحض فضلهم واحسانهم ولا حق للحاكم المدني
في الزامهم بذلك بل ولا في مجرد التماسه منهم وبسبب هذه الاشياء التى لا يرضاها
عاقل كان على اللاييك في المانيا جميع ائفال الجرائم والمغارم وكان
القسوس معافين من ذلك كله ولا يجب عليهم شئ مما لا بد منه في اعانة الدولة
والمدافعة عنهم انهم كانوا اغنى الناس واكثرهم عقارا واملاكا
ومع ان اهالى الجمعية الجرمانية كانوا يتضررون من مزاي القسوس وسعة
ثروتهم تقول انه لو كانت تلك المزايا بيد قسوس فاطنين ببلاد المانيا
لما تضرروا منها بهذه المثابة وذلك لانهم لو كانوا فاطنين بها لما طغوا وتردوا
لكثرة اموالهم ولما بغوا وجاوزوا الحدود بسبب الحقوق التى كانت ثابتة لهم
الا ان اساقفة رومة كان لهم من مبدء الامر دعوى عريضة لم يصدر مثلها
عن النفوس الطماعه وهى انهم كبار رؤساء دين النصرانية وانهم معصومون
عن الخطاء والزال وكانوا يسلكون سبل المخادعة والسياسة من غير ان تفتر
لهم همة او تمتدحهم العوائق الجمية ويغتمون كل فرصة لاحت لهم من جهل
الاهالى وقتئذ ومن بدع بعض الملوك واضطرا بالبعض الاخر فلم يزالوا كذلك
حتى توصلوا الى النجاح في تلك الدعوى وان كانت مخالفة للعقل والمصلحة

مطلب
القسوس الذين كانوا
بألمانيا كان أغلبهم اجنبيا
منها

سنة ٥٢٠ هـ

العامه فكان القسوس في بلاد المانيا مطلق التصرف اكثر من غيرها حيث كانوا يتقون اعظم ايمراطرتها اوبعزلونهم متى شاؤا وكانوا يقعون الفتنه بينهم وبين وزرائهم ورعاياهم بل واولادهم حتى يقوموا عليهم ويخرجوا عن طاعتهم وفي اثناء هذه الفتن والمنازعات كان البابا لا يغفلون عن توسيع دائره مزاياهم وكانوا يسلبون من طائفة اللايك والامر آاعظم خصوصياتهم وحقوقهم وبالجملة فبلاد المانيا حصل لها غاية المشقة والتعب من شدة ظلم هؤلاء القسوس الاجانب وفرط طمعهم الذي جاوز الحد

مطلب
كان قسوس المانيا
ينصبهم البابا

وفي اثناء الفتن والتقلبات التي حصلت بتلك البلاد تغلب بابا رومة على حق اقطاع الاراضى فكان ذلك سببا اخر في تقوية شوكتهم الدنيوية وازديادها وكان ايمراطرة المانيا وامراؤها قبل ذلك بزمن طويل يتمتعون بهذا الحق فكانت به سطوتهم ساطعة وايراداتهم واسعة فلما اغتصبه منهم البابا صارت السطوة لهم حتى كان يمكنهم ان يملأوا ايمراطورية من اتباعهم واشراقاتهم فكانت ترى في كل اقليم اناسا كثيرين قد تعودوا على عدم الطاعة للإمبراطورة وصاروا يتقادون للكنيسة الرومانية وفي جميع البلدان كانوا يعطون الاقطاعات الواسعة النفيسة للغرباء لالاها الى فكانت خزائن ممالك اوروبا تنفذ في ترزين ديوان رومة وزخرفته وازداد عتو القسوس وبعيهم حتى ان البدع الكثره والاهام التي كانت تحمل الناس في تلك الاعصر الجاهلية على احترام القسوس لم تمنع نفور الناس من ظلم القسيسين ومجاوزتهم الحد ودفعوا اكثر اهل المانيا الشكاوى وعيل صبرهم حتى خشي البابا ان تكون عاقبة ذلك مشؤومة عليهم فنهالوا ورضوا بالنزول عن بعض حقوقهم واكتفوا بحق اقطاع الاراضى التي تمكنهم بدون مال مدة ستة اشهر من السنة وتركوا ما عدا ذلك للامراء والسادات يتصرفون فيه كيف شاؤا

مطلب
الوسائط التي استعملت
لتضييق دائره شوكة
البابا ولم يكن لها ثمره

ولكن لم يمكن ديوان رومة مدة الا ووجد له وسائط يتخلص بها من هذا

الامر الذي ضاقت به دأثرة شوكتهم وذلك انه كان ثم عادة قديمة تشكى منها
الناس غير مرة وهي ان البابا كان له في كل بلدة بعض اراض مخصوصة
لا يقطعها الا هو فبعد ان ضاقت شوكتهم من الجبهة السابقة جعلوا تلك
العادة مطمح انظارهم وتوسعوا فيها حتى جاوزت حدودها القديمة فجعلوا
من جملة ما صدقاتها جميع الاقطاعات التي يملكها الكنديونات وارباب
الوطائف بديوان رومة الذين كان لا يحصى لهم عدد وجميع ما افحل من
اقطاعات القسوس الذين يموتون في مدينة رومة او يموتون بالبعد عنها
بمسافة اربعين ميلا سواء كان الميت ذاهبا اليها او آيأمانها وكان يدخل تحتها
ايضا جميع الاقطاعات التي تبقى خالية بعد انتقال مالكيها الى محل آخر وكذلك
اقطاعات اخرى لا حصر لانواعها وبالجمل فالبابا جاليس الثاني والبابا
ليون العاشر توسعا في ذلك بقدر ما امكنهما حتى ان اغلب الاراضي التي
اقطعها لم تكن من جملة ما هو مقرر في الشروط على وجه الصراحة وتعللا
بانهما بقيا لانفسهما في المذهب والنية حق الاختصاص بهذه الاقطاعات
مع ان حق ابقاء الاختصاص ذهنا ونية كان وقتئذ لا يعمل به الا في شأن
الاقطاعات التي تكون خالية عن الولي او المالك عند عقدية الاختصاص
فلاجل ان يتخلص البابا من ذلك ويصكونوا مطلق التصرف في شأن
الاقطاعات كما كانوا اولا جددوا الامر آخر سموه بالانعامات المترتبة أن تكون
محمولة وهوان يكون لهم الحق في تعيين من يكون له الاستيلاء على ارض عند
خلوها من المالك فهذه الواسطة صارت الايمراطورية الالمانية مشحونة
بقسوس لا يتقادون الا لديوان رومة ولا يميلون الى حزب غير حزبه بسبب تلك
الاقطاعات المترتبة التي لا يكون الحق فيها السواء وحرم الامر آ ثانيا من اغلب
مزايهم وصارت حقوق امرآ اللابيك عرضة للزوال ولا نفع لها

وبما سلكه القسوس في هذا الشأن من الطرق العجيبة ازداد بغضهم عند الناس
وسممت منهم النفوس وجاوزت اطماعهم ومظالمهم الحدود حتى صار يضرب
الثل بديوان رومة في ذلك اذ كان هذا الديوان يبيع الاقطاعات جهمرة على

مطلب
بيع ديوان رومة
للاقطاعات

سنة ١٥٢٠

رؤوس الاشهاد حتى صار التجار يشترون من مرتقة البابا اراضي الابريشيات
الالمانية بمجملته ويبيعونها مفرقة فيكسبون فيها مكسبا عظيما وكان الاختيار
يتضررون من هذه الفعالة التي هي بيع الدين بالدين ولا تليق بالاقسة حيث
انهم عماد دين النصرانية كما ان اهل الدول وارباب السياسات كانوا يتأسفون
كل الاسف على ما يعرض للدول من الخسارة بسبب تلك التجارة التي كانت
تذهب باموالها الى الدولة الرومانية

مطلب

كان ديوان رومة
يستغرق اموال سائر
الدول ويحوزها

وبالمجمل فالمبالغ التي كان يأخذها ديوان رومة من جميع البلدان التي تحت
حكمه كانت جسيمة جدا بحيث لا يستغرب قوراثناس من ضرب مغارم اخرى
عليهم زيادة على ذلك وان كانت قليلة جدا ما لم تكن ناشئة عن ضرورة ظاهرة
جلية وذلك لان كل قسيس اخذ ارضا كان يدفع للبابا ابرادتها في السنة
الاولى فكان يحصل من ذلك مبالغ جسيمة ومقادير عظيمة وزيادة على ذلك
كان البابا يطلب دأتما من القسوس مبالغ اخرى على سبيل التبرع وكان له
العشر في محصولاتهم متعللا بأنه يصرفها في الحرب مع المسلمين مع ان ذلك
لم يكن يخطر له ببال فاذا تأمل الانسان في تلك الابواب التي كان يأتي منها ايراد
ديوان مدينة رومة علم عظم المبالغ والكميات الجسيمة التي كانت تحوزها
تلك المدينة

مطلب

مجموع نتائج هذه الاسباب
السابقة

هذا ويمكن للانسان ان يستدل بذلك كله على فساد اخلاق القسوس وفراط
غناهم وثروتهم وعظم مزاياهم وشوكتهم قبل تظاھر لوتير بنقض دين
الكنيسة ويستدل ايضا على ظلم الباباوات واجحافهم بالنصارى وعلى اعتبار
الناس لهم في اوائل القرن السادس عشر ولا يخفى اني لم اقل هذه الاشياء
المقدمة عن مؤلفي ذلك العصر الذين كانوا يدحون في الكنيسة ويناقشون
امورها حتى يتوهم ان ذلك من قبيل المبالغة لما ان هؤلاء المؤلفين كانوا يريدون
دمار الكنيسة فبالغوا في ذمها وتعدا خطاياها ومفاسد احكامها واتما
استنبطتها من مواد صحيحة يعتمد عليها فاستخرجتها من دفاتر مشاور الديوت
الالمانية ومن تقارير رشكواها حيث يوجد في تلك الدفاتر جميع المظالم التي

سنة ١٥٢٠

كانت تشكى منها الايمراطورية وتطلب ازالها لاسيما وكانت تلك المظالم مذكورة بعبارات باردة تدل على انها خالية عن المبالغة والاطراء حيث ان عباراتها ليست عبارات المتحامل فاذا علم الانسان ان هذه المشاور مع صولاتها ونفوذ كلمتها اذ ذلك كانت تشكى من هذه المظالم وتطلب ازالها اعتقد ان الاهالى كانوا يتشكون اكثر من ذلك وكادت ترهق نفوسهم من ظلم

القسوس

ولما كانت العقول حينئذ بهذه المسابة وكان الناس يحبون التخلص من اسر ديوان رومة كان لوتير متيقنا النجاح في مشروعه فبعد ان اضر بهم ظلم هذا الديوان كل الاضرار ومكثوا زمنا طويلا وهم في كرب شديد من ظلم القسوس وبغيهم فرحوا كل الفرح بتلك الفرصة التي تنقذهم من هذا الظلم فن تم استحضار الاراء والمذاهب الجديدة وقبلت مع غاية الفرح والسرور وعملا قليل انتشرت في سائر اقاليم المانيا نعم ان حمية لوتير وماسلكه من الطرق في نشر مذهبه وذهم من لم يتابعه عليه اوجبت له اللوم في العصر التي تهذبت فيها الاخلاق وعدت من المثالب التي ترزى بعرضه ولكن لم تنفر منها النفوس في عصره بل انتشرت منها الصدور لان الناس وقتئذ كانوا في كرب عظيم من ظلم البابا وفساد الاخلاق القسيسية التي كان لوتير يريد اصلاحها

مطلب

استعداد الناس
وصلاحياتهم لاتباع
مذهب لوتير

فلم تنفر نفوسهم مما ذكره في مؤلفاته من اساءاتهم والقبح فيهم ولا من سخريته واستهزائه بهم حتى كان في بعض الاحيان يمزج الجسد بالهزل لانه في تلك الاعصر الخشنة كان الناس في مجادلاتهم مع بعضهم لا يتجنبون المسبة والفحش بل كانوا يأتون بالهزل في كل مقام جليل وكان ذلك من الاسباب الاكيدة التي اعانتها على افهام الناس ضلالات البابا ومظالم القسيسين التي نفرت منها القلوب وحملت الناس على التخلي عن حزب الكنييسة

وقد انضم الى هذه الاسباب المستندة من نفس هذا المشروع ومن مقتضيات الاحوال اذ ذلك اسباب اخرى اجنبية استفاد منها لوتير فواند جملية

مطلب

اختراع فن الطبع واعاقته
على تقدم النسخ

لم يتيسر لمن سبقه في التصدي لتخطئة الكنيسة الرومانية فن اقوى هذه
الاسباب الاجنبية واعظمها نفعها اختراع فن الطبع الذي كان موجودا من
قبله بنصف قرن وذلك ان هذا الفن النفيس كان نفعه عيما حيث سهل به
اكتساب العلوم وانتشارها على وجه عجيب فانتشرت به في اقرب وقت
مؤلفات لوتير ببلاد الافرنج باسرها ولولا هذا الفن لما وصلت هذه
المؤلفات الى البلاد البعيدة الامع غاية البطي وربما كان لا يترتب عليها ثمرة
اذا كانت المؤلفات لا يقرؤها الا العلماء والاغنياء لانه قبل اختراع فن الطبع
كان لا يتيسر لغير الاغنياء تحصيل الكتب لغلوها وندرتها واما مؤلفات
لوتير فكثرت بايدى الناس وقرأها الغنى والفقير والجليل والحقير وكان لوتير
يعرض عليهم مذهبه بصورة الاستقهام عن آرائهم هل يوافقون عليه ام لا
فاغترابوا بكونه جعلهم حكماء بينه وبين اخصامه وبحوثوا في اصول الدين واحكام
الكنيسة ورفضوا ما لم تستحسنه عقولهم وانما كانوا مكرهين على اتباعه
واعتقاده من غير ان يعرفوا اصله ولا كيفية استمداده من الدين

وقد حصل في ذلك الزمن ايضا احياء علم الادب فكان من الاسباب الطارئة
الى اعانت لوتير كل الاعانة على تقدم مذهبه وذلك ان الناس اشتغلوا
بمطالعة كتب قدماء مصنفى اليونانيين واللاطينيين فغرفوا منها اللطائف
التي تؤدب الانسان وتهدب ذوقه وطبعه واستيقظت بذلك العقول وخرجت
من غياهب الغفلة بعد ان مكثت فيها عدة قرون فترى للناس حينئذ على حين
غفلة ما سلكوا التفكير والتعقل التي كانت فقدت منهم ولما فتحت لهم تلك الابواب
وانضحت لهم السبل اخذت عقولهم تجول في كل مادة من غير ان تخشى
الجولان فيها حيث ظهرت لهم معالمها وانضحت لهم مسالكها فصاروا
لا يخشون التمسك بالمذهب الجديد حيث كانت الافكار ترز كل مادة وتعرف
غناها من سميتها وتبين هجائها من هيجنها وصار الناس يرغبون كل الرغبة في كل امر
جديد ويعتبرون فضل مجده فما بالك اذا كان في مادة شريرة كمادة الدين
فلذا لم يفزعوا من لوتير حين تجامر على كشف الغطاء عن ضلالات الكنيسة

مطلب
اعانة علم الادب على تقدم
النسخ

الباطلة وترها تم العاطلة بل حصل لهم غاية السرور من جسارته واعانوه على
تتيم مقصدهم لم يكن قلم لوتير في التأليف سيالا ولا عماراته عذبة منسجمة
الا انه بذل جهده في احياء الادب القديمة وتوسيع دائرته فانه لما كان
يعرف ان الانسان لا يمكنه كشف امرار الكتاب المقدس ولا الوقوف على
دقائقه الا بعد التمكن من العلوم الادبية تفرغ بكليته لمعرفة اللغة اليونانية
والعبرانية حتى صار له في هاتين اللغتين الحظ الاوفر وقد نفع عدة من تلامذته
في تلك العلوم فبحا عظيما منهم الشهير ميكنختون ثم ان جملة الرهبان
الذين توقفوا في مذهب لوتير وتصددوا لابطاله وتخطته بذلوا جهدهم
في منع دخول العلوم الادبية ببلاد المانيا حيث قالوا ان ما هو واقع من
قبول الناس لمذهب لوتير انما هو من جملة ما ترتب على تقدم تلك العلوم
فن ثم كانت هي ومذهب لوتير معتبرين كأنهما امران متلازمان لا ينفك
احدهما عن الآخر وكان لهما في كل بلدة مساعد ومعايد وبالجمل فمعروفة
الادب فاق الناسخون اخصاصهم حتى كانوا يفهمونهم ويلزمونهم الحجة في كل
مادة جادلوه فيها وذلك ان الناسخين كان لهم سعة اطلاع ومن يدبثات وتمكن
وذهن ثاقب له اقتدار على الجولان في المواد العويصة وكانت عبارات تأليفهم
تأخذ بجامع القلوب لرقتها وعذوبتها واشتغالها على الملح الادبية والنسكات
المستحسنة فكان يسهل عليهم الخمام الرهبان حيث كانوا وقتئذ جاهلين
لا معرفة لهم بعلم الميزان فلا يحسنون اقامة برهان ولا تركيب قياس بل كانوا
يأتون بعبارات ركيكة مستعجنة تمجها الاسماع فلم يكن لهم اقتدار على تعضيد
ضلالات الكنيسة التي لم يمكن لمن تصدى من فحباء المتأخرين لتأييدها ان يستروا
عيوبها مع انهم اعظم منهم علما وحرما

فما انتشرت العلوم الادبية في بلاد اورپا وانسلت العقول من احوال الغفلة
صار الناس يفحصون عن كل شيء ويرغبون في معرفة اصوله وفروعه فاعان
ذلك كثير على تقدم النسخ ونجاحه وتوسيع دائرته حتى ان عدة اناس كانوا
قبل ذلك لا يرغبون في نجاح لوتير اعانوه على مشروعه اتم الاعانة وحسنوا

للناس قبول مذهبه واتباعه بل ظهر لاغلب ذوى العقول الذين اجتهدوا
في العلوم الادبية القديمة في اواخر القرن الخامس عشر واول ثل القرن السادس
عشر فساد عدة من اصول الكنيسة وقواعدها فعرفوا ان ما قامه الرهبان
والقسوس على تأييد تلك القواعد لا يقوم دليلا على ذلك مع انه لم يكن لهم
غرض في نسخ دين الكنيسة
فصار هؤلاء العلماء يقدحون في عدة من احكام الكنيسة ويخطئون كثيرا
من اصولها ويحتقرون جملة القسوس الذين كانوا يعضدونها وآل امرهم
أن صاروا يسخرون من تلك الاصول التي هي مبنية على الخطاء والضلال
ويشنعون بها على الكنيسة فحسن تشنيعهم هذا لعقول الناس ذم لوتير
وقدحه في الكنيسة واضاع من قلوبهم احترامهم لاختصاص لوتير وقد علم
ذلك سائر الاقطار لاسيما اقطار بلاد المانيا فانه لما شرع اهلها في احياء علوم
الآداب القديمة وكان قسوسها اجهل من قسوس البلاد الاخرى تصدوا لمنع
هذا المقصد وبذلوا في تعطيله غاية جهدهم غير ان المتولعين باحياء تلك العلوم
جندوا في ابداء هؤلاء القسوس وذمهم والوقوع في اعراضهم بكل كريمة
فطما لاشنع الشهير روشلين والماهر هوتان وغيرهما ممن احبوا
الآداب في بلاد المانيا على الكنيسة الرومانية وتجاوزها الحد في المقاسد
وبالغوا في ذلك حتى ان مؤلفاتهم لم تكن في هذا المعنى دون مؤلفات لوتير
ومما ترتب على علوم الآداب ايضا ان الشهير ايراسم كان يقذف الكنيسة
احياءا ويبين ضلالاتها ويطري في ذم جملة القسوس ورذائلهم وكان
له في اول ثل القرن السادس عشر شهرة عظيمة وكلمة نافذة ببلاد اوربا
فلذا كان الناس كافة يرغبون في مؤلفاته ونشره صدرهم بمطالعتها
حتى ان ما ترتب عليهم من الثمرات حري بالذكروها حيث انه من اعظم الاسباب
الاكيدة التي تنجح بها لوتير فنقول ان ايراسم اعتمد من مبدء امره
للدخول في الكنيسة فمارس من صغره علوم القسوس حتى فاق احبار
عصره في التفحص عن اسرار العلوم الثيولوجيكية اى علوم اللاهوت

واستكشف بذهنه الثاقب وفهمه الصائب واتساع دائرة علمه مقداراً جماً من ضلالات الكنيسة الرومانية وبدعها في المعاملات والعبادات وانكر بعض هذه الضلالات بادلة قاطعة البسها لحل فصاحته الساطعة وشنع على البعض الآخر ورماه بنبال الاستهزاء والذم وكان يحسن الرمي في هذا المعنى حتى اثر قوله في قلوب الناس تأثيراً قوياً وبالجملة فقد عثر هذا الخبر الشريف على العقائد الفاسدة والعوايد السكاسدة التي كانت في كنيسة رومة وشرع لوتير في محوها ونسخها وشنع عليها ذلك الماهر كل التشنيع قبل لوتير ولم يشته منها الا القليل النادر فلما اخذ لوتير في القدح في تلك الكنيسة وافساد قواعدها اجابه ايراسم بالتهليل وسعى في تجديد المحبة بينه وبين عدة من اصحاب لوتير واخراجه وبذل كل جهده في ذم اخصامه ووقع اعدائه واستحسن آراءه على رؤوس الاشهاد واعانه على قهر الاحبار الذين كانوا يدرسون بالمدارس العلوم التيمولوجيكية وشنع على القسوس الذين كانوا يعظون الناس ويحثونهم على اتباع مذهب الكنيسة الذي يوجب المضرة والمعرفة واعانه ايضا اتم الاعانة على استمالة عقول الناس الى مطالعة الانجيل واتخاذة قدوة يرشدهم الى حقيقة دين النصرانية وتحريضهم ان لا يعملوا الا بما نص عليه من العقائد والاحكام

ولكن كان ثم عدة اسباب منعت ايراسم عن اقتفاء اثر لوتير في النسخ وتلك الاسباب هي انه لم يكن عنده جسارة حتى يخاطر بنفسه مثل لوتير بل كان شديد الخوف والفرع مجردا عن ثبات الجنان الذي به يتأني للانس ان يقتحم اخطار مثل هذا المشروع الجسيم وهو نسخ شيء من قواعد هذا الدين الذي كان متمكناً من قلوب الناس ومتسلطناً عليها حتى صار لامنائه اعنى القسوس سلطنة كبيرة على جميع البشر وصار اجلالهم من الامور الواجبة على كل انسان لاسيما وكان ايراسم المذكور يطيع الاكابر وارباب المناصب ولا يرد لهم امر او ذلك لاسباب منها انه كان يخشى ان يجردوه عما انعموا به عليه من المرتبات والمزايا ومنها انه كان يحب دوام الصلح والراحة ويبغض التفكير

والذين فكان لا يرضى ان تصدى لنقض دين الكنيسة الرومانية لعله بما يترتب عليه من الشقاق بل كان يأمل انه مع الرقى والملاطفة وطول الزمن يمكن إزالة مظالم الكنيسة وضلاتها ومحو مفاسدها شيئاً فشيئاً وبالجملة فكانت مقتضيات الاحوال اذذاك تحمله على العدول عما صدر منه في مبدء الامر من التشفيع على الكنيسة حتى صار اشبه بمصلح بين لوتير واخصامه لا يظهر له بأخذ بناصره فيما شرع فيه من النسخ لكن وان عدل ايراسم عن مذهبه الاول وصار من جملة من يلوم لوتير على جسارته وجهته حتى لزمه فيما بعد ان يؤلف كتاباً شنع فيه على لوتير الا انه كان في الواقع حليفه وظهره في نزاله في ميدان المنازعة مع كنيسة رومة كما انه كان اول من فتح له ابواب هذا الحرب ومهد له سبله فهو الذي غرس اول زرع و لوتير عاناه واعتنى به حتى طابت ثمرته فخالها فسخرية ايراسم من الكنيسة ونكاته اللطيفة في التشنيع عليها هي التي مهدت السبل للوتير في ذمها والتشنيع عليها على رؤوس الاشهاد كما يشهد بذلك احزاب الكنيسة الرومانية ممن كان معاصراً لايراسم وذلك لا يخفى على من قرأ تاريخ ذلك العصر وعرفه حق المعرفة ولا يخفى اني فيما ذكرته من الاحوال التي اعانت لوتير وحسنت مذهبه للعقول واعيت اخصامه واعدآه لم اعرض لذكر شيء من المناقشات في شأن قواعد الكنيسة الرومانية ولم ابرهن على ان هذه القواعد مخالفة لقوى دين النصرانية وانها لا اصل لها في العقل ولا في الكتاب المقدس بل ولا في رسوم الكنيسة بحسب الاصل بل تركت ذلك لمؤرخي القسيسين لانه من خصوصياتهم ولكن اذا نظر الانسان الى هذه الاشياء المكتسبة من الدين ونظر ايضا الى الاسباب السياسية التي كانت موجودة وقتئذ لا يذبح في ان يستغرب ما نشأ عن هذين الامرين على حين غفلة من التأثير في عقول الناس وذلك ان عصري لوتير كانوا على شدة القرب من محل الواقعة فلم يتحنوا اسبابهم التؤدة والتأني لما داخلهم من مزيد التعجب من امرها وسرعة نجاحها او كان لهم فيها مصلحة وغرض فلم يمكنهم ان يبقوا على حقيقة تلك الاسباب

سنة ١٥٢١

واشكى على بعضهم سرعة انتشار مذهب لوتير فعد ذلك من الاتفاقات العجيبة التي صارت بها عقول الناس مستعدة لقبول هذا المذهب والحق ان نجاح لوتير في ذلك انما نشأ عن عدة اسباب معلومة اعانته حق الاعانة على تميم مقصده هذا ونأمل ان ماذكرناه في بيان هذه الحادثة الغربية المهمة ومعرفة اسبابها لا يعدم باب الاقتضاب المجرد عن الفائدة ولنرجع الى موضوع تاريخنا الاصل فنقول

لما انعقدت مشورة اللديت بمدينة وورمس طال مدة المذاكرة كما هو العادة في المشاور العمومية من البطي والتدقيق ومكث اربابها مدة طويلة في وضع قوانين داخلية لضبط الاميراطورية وربطها وانتوا فيها للمجلس الاميراطوري ان تكون له الكلمة العليا في الحكم وان يكون المرجع اليه وجعلوا صورة مستحسنة لاقامة الدعاوى به حيث ابدلوا طريقها الاولى بطريقة اخرى احكم منها واتقن وجددوا مجلسا يقال له مجلس النيابة او المعاونة اعدوه لمساعدة الامير فردينند على تدبير امور الاميراطورية مدة غيبة اخيه الاميراطور شريكان لانه لكثرة محال كده ومصالحه كان لا يمكنه ان يستمر على الاقامة بالمانيا ثم تفاوضوا في شأن الدين وكان هناك اسباب تدعو الاميراطور شريكان الى حماية لوتير واعانته على تميم مقصده ولولباطنا لانه كان له في المانيا اراض واملاك كثيرة ولولم يكن له من الالتزامات سوى الجفالك الموجودة بها ولا من التيجان سوى تاج الاميراطورية لكان ذلك كافيا في حله على اعانة لوتير وحجابه حيث انه كان يدافع عن الخصوصيات التي مكثت ايمراطرة المانيا يدافعون عنها من بابات رومة زمنا طويلا غير انه لما كان الملك فرسيس ملك فرانس يسعى دائما في اضراره وتعطيل مصالحه الجأته الضرورة ان يسلك في مقاصده مسلكا اوسع مما يسلكه امير من امراء المانيا فلم يجسر على اعانة لوتير وحجابه لما رأى ان ذلك يضر بمصالحه في غير بلاد المانيا ورأى انه لا بد له من استماله قلب البابا والتودد اليه فاساء لوتير واعلمظ عليه طنان ذلك اعظم واسطة

مطلب
مذاكرة مشورة
اللديت بمدينة وورمس
سنة ١٥٢١

سنة ١٥٢١

في استمالة البابا الى حزبه فمن ثم كان لا يبعد ان يسلم لقسوس ألمانيا فيما طلبوه من ارباب مشورة الديت من الحكم بقتل لوتير على الفور حيث ان البابا طرده وحكم عليه بالحرمان وعده من الفرق المبتدعة المخذولين المطرودين عن باب الكنيسة المحرومين من نعمها الا انه لما ظهر لارباب مشورة الديت ان هذا من محض الظلم والتعدي انحط رأيهم على ان يدعوا لوتير اليهم ليسألوه هل هو باق الى الآن على آرائه واعتقاداته التي اوجبت له غضب الكنيسة او يرجع عنها ومحا ما جناه بالتوبة فاعطاه الإمبراطور شرلكان تذكرة الطريق وكذلك جميع الامراء الذين يلزمه ان يمر بلادهم عند ذهابه الى المشورة المذكورة وكتب له شرلكان ان يأتي الى مشورة الديت بدون ترأخ ولا يخشى اساءة احد ابدافبجرتد وصول الامراء الى لوتير تأهب للسفر ولم يتوقف اصلا وسافر معه رسول الإمبراطور وتذكرة الطريق حتى وصل الى مدينة وورمس التي كانت منعقدة بها الشورى وكان كل من قابله في الطريق من احبابه يتذكروا موقع للعالم حنا هوس وكان مثل لوتير في الذنب وكان معه ايضا تذكرة طريق من الإمبراطور فلم تنفعه فصاروا يحذرونه وينصحونه ان لا يذهب الى مشورة الديت ويلقى بنفسه الى التهلكة لكنه كان ثابت الجنان فاسكتهم بقوله اني مطلوب الى وورمس وها انا ذاهب اليها باسم الله فلا ابالي ولو تحزب علي من هؤلاء الشياطين ما يبلغ قدره عدد الحجر والحصى

مطلب

الزام لوتير بالحضور الى مشورة الديت

في ٦ من شهر اذار

مطلب

دخوله بمدينة وورمس

ولما دخل مدينة وورمس تلقاه اهلها بالاكرام والتبجيل بحيث لو كان غرضه من التشنيع على الكنيسة مجرد التفاخر بين الناس وحب المحمدة والشهرة لكان ما حصل له في هذه المدينة كافيا في جزائه على سعيه واجتهاده وذلك انه احسق به من الناس المتشوقين لرؤيته اكثر ممن اجتمع منهم حول الإمبراطور شرلكان حين دخوله تلك المدينة مع الموكب والاحتفال وكان يتردد اليه الناس كثيرا حتى كان المحل الذي نزل به يمتلئ كل يوم من الامراء والاعيان واحسنوا معاملته واحترموا احترام من له اقتدار على

سنة ١٥٢١

الخفاف الخصم والزاهم الحجة ولا شأن ان مثل هذا الاحترام من اولى الفضل
العظام اشرف واخبر للانسان مما يستوجب به علومه شرف ومنصبه
او بحسبه ونسبه لما انه يكون صادرا عن صدق نية وخلوص طوية ولما حضر
لوتير في مشورة الديت سلك مع اربابها مسلك الحشمة والادب واطهر فيها
ما يدل على ثبات جنانه وعلو شأنه حيث اعترف انه تجاوز في مؤلفاته الحد
واطرى في تشجيعه على الكنيسة لكنه قال لا التحول عن آرائى ولا ارجع عن
مذهبي الا اذا اقيمت لى ادلة قاطعة ورايين ساطعة على بطلانها وخطائها
وابى ان يقبل من البراهين الا ما كان مستنبطا من كلام الله ونصوص
الانجيل

فلما لم ينفع معه التهديد ولا التحذير وابى ان يرجع عن مقصده عرض بعض
القسوس على ارباب الديت ان يتأسوا بجمعية قونستنس القيسية
ويبادروا بقتل هذا المبتدع ويريجوا منه الكنيسة قبل ان يفسد من ايديهم
فلم يسمع ارباب المشورة قول هذا البعض لما رأوا ان ذلك يخل بمروءة اهل
المانيا ويكسبهم العار حيث كان معه منهم ورقة الامان وكان الامبراطور
شركا كان ايضا لا يحب ان يدنس مبادئ حكمه بمثل هذه الفعلة الذميمة
خلوا سبيله وانطلق آمن مطمئنا لانه بعد ارتحاله من مدينة وورمس
بعض ايام صدر امر باسم الامبراطور ومشورة الديت ان لوتير قد
استحق القتل وهو مذموم مخذول يجب تجريدته عن سائر المزايا التي يتمتع بها
بوصف كونه من رعايا الامبراطورية ولا يجوز لاحد من الامر آء ان يدخله
في حماه بل يجب عليهم ان يقبضوا عليه بعد فراغ الاجل المسمى في ورقة الامان
التي معه ولكن لم يجز العمل على مقتضى هذا الامر وذلك لسببين احدهما
ان الامبراطور عرضت له اشغال كثيرة لما حصل اذئال من التعكيرات والفتن
في اسبانيا والحروب التي وقعت في ايطاليا وملكة البلاد الواطية
وثانيهما هو ان الامير فريدرىق منتخب سكس كان يحب لوتير محبة
صادقة ويبدل جهده في محاماته والذب عنه فحيل في انقاده من ذلك

في ٢٦ من شهر نيسان

مطلب

الامر الصادر بالقبض

على لوتير

مطلب

القبض على لوتير واخفائه

عن اعدائه في وارتيبورغ

باحتراسات مبنية على الحزم وسداد الرأي وذلك ان لوتير عند رجوعه
من مدينة وورمس مرتقب مدينة ألتنستين في اقليم نورنجه
فخرج عليه من اجهة هنالك جماعة من الخيالة متفكرة فاحتاطت به وبجماعته
وكان فريدريش هو الذي اخفاهم بهذا المحل لذلك الغرض فبعد ان صرف
الخيالة من كان مع لوتير اخذوه وانابوا الى وارتنبورغ وهي قلعة قريبة
من الاجسة التي قبضوا عليه فيها فامر فريدريش حالا بان يعطى له
كل ما يحتاج اليه وان يجاب في كل ما يطلبه الا انهم ضيقوا عليه باخفائه
في محل مجهول من هذا القصر لئلا يطلع عليه احد ومكث على تلك الحالة حتى
تغيرت احوال اوربوا وخذت نار حقد أعدائه وكانت مدة مكثه في هذا المحل
تسعة اشهر وكان يسميه البتوس وفي هذه التسمية اشارة لطيفة لان البتوس
اسم للجزيرة التي نفي فيها الخواري ماري يوحنا ولم يرل في تلك المدة بعض
مذهبه ويؤيد آراءه ويبرهن على بطلان مذهب اخصامه مع الحية والشدّة
التي كان عليها قبل ذلك وكتب في هذا المعنى عدة تأليف ونشرها
بين الناس فاحيت ميت عزم اصحابه واعادت لهم همهم بعد فتورها الغيبة
عن اعيانهم

مطلب
تقدم مذهبه

ولم يرل مذهبه في عزلته اخذ في التقدم والانتشار حتى تمكن من عقول
الناس في اغلب مدائن سكس وفي ذلك الزمن تقوّت قلوب قسوس الطائفة
الاوغوسطينية الذين كانوا بمدينة ويتانبرغ بسبب قبول مذهب لوتير
في الاونورسيتة (جمع العلماء ومنبع الاخبار) ونصّد فريدريش لحمايته
لانه كان ظهيره ونصيره في الباطن وشرعوا في احداث امر جديد في كيفية
العبادة فأبطلوا اقامة صلوات القديس الصغير واشركوا طائفة اللايينك
في كل من نوعي القديس الكبير والصغير وكان لوتير يسلي في سجنه بما يبلغه
من الاخبار في شأن اجتهد اصحابه ونجاحهم وتقدم مذهبه في وطنه الا انه
حصل في اثناء ذلك حادثان نعتا عليه عيشه حيث رأى انهما مانعتان من
انتشار مذهبه في مملكة كتي فرانسوا و انكلترا اللتين هما اعظم ممالك

مطلب

الامر الصادر من

اونيورسيتة باريس

بطلان مذهب لوتير

مطلب

صنف الملك هنري الثامن

ملك الانكليز تأليفا يفسد

ويقتض به مذهب لوتير

اوروبا شوكة وصوله الاولى هي ان جمعية العلوم بباريس حكمت بطلان
مذهبه وصدر منها فرمان في هذا الشأن علمه الخداس والعام وكانت هذه
الجمعية المسماة الاونيورسيتة اقدم واعظم مجامع العلماء والاحبار
التي كانت زاهية زاهرة اذ ذاك لبلاد الافرنج والحادثة الثانية هي ان الملك
هنري الثامن ملك الانكليز صنف كتابا بصدد الرد على كتاب لوتير الذي
الغه في اسر بابل وكان والده هذا الملك الشاب كثير الظن والوسوسة فحشى
ان يقف ولده على مصالح الدولة فيغدر به فشغله عن ذلك بتعلم الآداب فلما تولى
على انكلترة لم يرل باقيا على الرغبة في المطالعة والاجتهاد اكثر مما كان يظن
فيه بالنظر لما فيه من الحدة الغريزية والميل الى الشهوات النفسانية وكان
يجب ان يكون له غفر في كل شئ ويحب الكنيسة الرومانية حباسجا لاسيا وكان
في غيظ شديد من لوتير على ما وقع منه من القصد والذم في حق المؤلف
توماس داكين وكان هنري يحبه كثيرا فرأى انه لا يكفيه ان يستعمل
شوكته الملوكية في ابطال مذهب لوتير وتفنيد آرائه واقواله بل عزم
على محاربتة بيواتر البراهين السكولة واستيكية وصوارم الحجج والادلة
التبولوجيكية فنشر في هذا المعنى مؤلفا سماه بالاسرار السبعة وقد صار
الآن نسيا منسيا كغيره من التأليف الجدلية التي تزول بزوال مقتضياتها
وهو مع ذلك لا تنكر دقته بل تشهد لمؤلفه بالفضل في المحاورات والمجادلات
وقد حمل التلق ندماؤه وخاصة على الاطراء والمبالغ في مدح هذا الكتاب
حتى وصفوه بأنه جمع من درر المعارف والعلوم ما يقضى بتجتر الملك هنري
الثامن وسعة اطلاعه وفضله على غيره من المؤلفين في العلوم الادبية كما فضلهم
في الرتبة والمقام وقدم الكتاب المذكور للبابا في احتفال عظيم حضره
الكردشالات وغيرهم فتكلم البابا في شأن هذا الكتاب مع الاحترام التام
حتى كانه يتكلم في شأن كتاب صادر عن الهام الهسي اوفيض رباني
واقب مؤلفه بحامي حامي الدين ليريه ان الكنيسة تنفي عليه وتشكره
على سعيه المبهر وهو مدافعتة عنها ولا يمكن لم يثبت هذا اللقب

سنة ١٥٢١

مطلب

رد لوتير

مطلب

حالة المصالح بين شرلكان
والملك فرنسيس الاول

لم نرى الثامن زمانا وبل في عقول من لقبوه به بل بقي خلفائه وان تخلفوا
وعدوا عن العقائد التي استحق هنري الثامن بتأييدها وتعصيدها ان يلقب
بهذا اللقب ولما كان لوتير لا يخشى باس جمعية اخبار باريس ولا بطش
ملك انكلترا بادربنذر ملحوظات تتضمن الرد على فرمان الصادر من الجمعية
المذكورة وعلى كتاب هنري وقد سلك في عباراتها مسلك الخشونة والقبح
حتى كأنه انما كان يرد على احقر اخصامه واصغرهم ولم تنفرف نفوس اهل ذلك
العصر من جرأته ووقاحته في هذا الشأن بل عدت ذلك برهانا جديدا على
ثبات جنانه ولما كان ابطال هذا الميدان كلهم مشهورين وممتازين كانت
مجادلاتهم مطمح نظر الخاص والعام وكانت عقول الافرنج اذذاك قد تعودت
على الابداع والاختراع وكانت براهين اصحاب المذاهب الجديدة اكيدة جليلة
لا تقبل ردا حتى لم يتمكن القسوس ولا الملوك من نقضها بل كان يظهر لها كل يوم
انصار واحزاب حتى في مملكتي فرنسا و انكلترا

وكان الإمبراطور شرلكان يود كثيرا ان يمنع تقدم مذهب لوتير الا انه
مدته اعتقاد مشورة الديت بمدينة وورمس كان مشغولا بامور اخرى
اهم من امر لوتير تستدعي مزيد الالتفات اليها فلم يأل جهدا في تدبيرها
وذلك ان الحرب كان قريب الوقوع بينه وبين فرنسيس في مملكة نوار
والبلاد الواطية وبلاد ايطاليا فكان يلزمه ان يسلك سبل النشاط
والسياسة لينع وقوع هذا الحرب بالكلية او يحترس بما يتفقه من اخطاره
ان لم يمكنه منعه لكن كانت مقتضيات الاحوال اذذاك تلزم الإمبراطور بترجيح
الامر الاول وهو منع وقوع الحرب لان بلاد اسبانيا كانت حينئذ فريسة
للقن والحروب الداخلية ولم يكن له في ايطاليا حليف يشق به ويعول عليه وكان
رعاياه في البلاد الواطية يخافون من معاداة فرنسا وبتلما حصل لهم قبل
ذلك غير مرة من الضنك والكساد في التجارة بسبب معاداتهم لهم وزيادة على
ذلك كان الوزير شيرة مدة وزارته يبذل غاية جهده في ابقاء الصلح بين
الإمبراطور والملك فرنسيس فهذه الاسباب لم يعجل الإمبراطور شرلكان

باشهار الحرب بل كان يحاول ابقاء الصلح بينه وبين الفرنساوية الا ان الملك
فرنسيس ووزراءه كانوا لا يميلون الى الصلح لان فرنسيس كان يعلم ان الصلح
لا يمكن دوامه بينه وبين الایمراطور وانه لا يمكن التأليف بين قلوبهم الاختلاف
اغراضهم ما ولما صرتم ما وشدة طمعهم ما وكان له عدة امور يطمع بها في الظهور
على خصمه اذا فاجأه بالهجوم قبل ان يستعد للمدافعة والمقاومة وهي
ان مملكة فرنسا كانت وقتئذ ملتزمة الاجراء لامنافسة بين اهلها خالية
عن الفتن الداخلية والحروب الاهلية وكان الملك فيها يكاد ان يكون مطلق
التصرف وكان اهلها يميلون الى الحرب ويحبون ملوكهم حباً جافاً ولا شأن
بهذه المثابة كان لهم اقتدار اعظم من دول الایمراطور شريكاً نعم ان دول
الایمراطور كانت اوسع من مملكة فرنسا الا انها كانت في شقاق لا ينقطع
وقتی لا تمتنع فكان بعضهم يعصى على الوزراء وكانت شوكة الایمراطور فيها
اضعف من شوكة خصمه فرنسيس في دوله

واما الملوك الذين كان لهم اقتدار على تسكين نيران هذا الحرب او على اطفائها
بالكلية ففهم من اهمل في ذلك ومنهم من قواها ووجدت في انصرامها وكان الملك
هنري الثامن يظهر انه يريد الاصلاح بينهما حتى اتخذاه حكما
يعرضان عليه جميع امورهما ومع ذلك فلم يكن خلياً عن الاعراض مع ان ذلك
لازم للحكم وذلك ان وزيره واسى بخذاعه ومكره اوجب بغضه لملك
فرنسا فكان هنري يضرر سراً نيران الشقاق التي كان يلزمه اطفائها
وكان مصمماً على ضم الجيوش الانكليزية الى جيوش الایمراطور لقتال
الفرنساوية وانما كان ينتظر لذلك فرصة او سبباً مقبولاً يتعمل به ويستند
اليه

واما البابا ليون فكان سعيه في ابتغاء القسمل بين الایمراطور والملك
فرنسيس الاول على وجه اطهر واقرى تأثيراً مما سلكه الملك هنري الثامن
مع ان الواجب عليه بالنظر لكونه اباً النصراري كافة وبالنظر لمصالحه
الخصوصية حيث انه ملك ايطالياً ان يكون محافظاً على الامن العام

مطلب

انضمام هنري الثامن
ملك انكلترا لایمراطور

مطلب

تردد ليون بين الحزبين

سنة ١٥٢١

وان يتجنب كل ما يترتب عليه فساد المذهب السياسى الذى لم يكن نشره
 فى ايطاليا الا بعد المشاق والتعب الشديد وسفكت من اجله دماء كثيرة
 وقد ادرك من مبدء الامر انه لا يليق به الاتباع هذا السبيل فمجرد استواء
 شرلكان على الكرسي الايمبراطورى صمم هذا البابا على ان يكون حاكما بينه
 وبين خصمه فرنسيس وان يداهن كلامهما على حدة من غير ان يجتددهما
 علائق الفتنة كيد ولواستمر البابا ليون على سلوك هذا الطريق لاسكنه ان
 يتقذ بلاد اوروبا من المصائب التى كان يخشى منها عليها الا انه كان جسورا
 طماعا وكان فى عنفوان شبابه فكان يريد ان يشهر ايامه بواقعة مهمة جسيمة
 لاسيما وقد كانت أخذت منه حينئذ دوقية برمه ودوقية بليزنس فكان
 جرعاً قلقاً لود أن يتطهر من درن الخزى والعار الذى لحقه بسبب اخذ هاتين
 الدوقيتين منه وكان فى حنق شديد من كونه يرى الاجانب يأتون من خلف
 جبال الپه ويحكمون بلاد ايطاليا حتى ان الايطاليين اقتدأ
 باهل جمهورية قدمااء الرومانيين كانوا يسمون هؤلاء المتغلبين باسم المتبريرين
 وكان البابا يؤمل انه بمساعدته لاحد الملوك المتقدمين اعنى شرلكان
 والملك فرنسيس على تجريد الاخر من البلاد التى يملكها فى ايطاليا
 يمكنه ان يتوصل فيما بعد الى طرد الغالب من بلاده ويثبت له مثل البابا
 جايوس الثانى الفخر بكونه اتقذ بلاد ايطاليا من الرق والاستعباد واعاد
 لها السعادة التى كانت تتمتع بها قبل اغارة الملك كرلوس الثامن حين كانت
 كل دولة يحكمها ملك من اهلها وتعمل بشراعتها وقوانينها التى رتبها لنفسها
 ولم تكن دخلت تحت حكم الاجانب ومع ان هذا الامل كان من قبيل الهوس
 والتسولات النفسية التى لا طائل تحتها واقفه عليه اصحاب العقول والنهى
 والطمع من الايطاليين حتى مكثوا معظم القرن السادس عشر وهم يجعلون
 هذا المقصد مطمح نظرهم فى كل مشروع هموا بتثيمه وتجزئه فكانوا يعللون
 انفسهم بالامانى والباطيل ويطمعون انهم لا تقاومهم فن السياسة والتدبير
 والخداع والمكر يمكنهم ان يغلبوا اعداءهم المتبريرين وان كانوا اكثر منهم قوة

وشجاعة واغتر ليون ايضا بهذه الاماني حتى انه وان كان يميل بطبعه الى الصلح والرفاهية والتمتع بالراحة بادر الى تعكير اوروبا ووقع نفسه في حرب خطر مع عزم كبير يكاد يكون مساويا لعزم جاليوس الثاني الذي كان ذا طيش وحجة لا تقترله هممة من الحرب

ولكن كان ليون مخيرا بين ان يكون مع من شاء من هذين الملكين ويتضم الى حزبه وكان كل منهما يرغب في استعطافه واستمالته اليه ويسعى في ذلك بجميع وسعه وطاقته فكثرت مدة وهو يتردد بين الجانبين ثم عقد معاهدة مع الملك فرنسيس كان الغرض منها اخذ مملكة نابلي واقتسامها وكانت هذه المملكة بأيدي الایمپراطور شرلکان والظاهر ان البابا لما كان يعمره في الملك فرنسيس من النشاط والمهارة والجسارة اعتقد انه ان ساعده برعاياه الایطاليين الذين هم موصوفون بتلك الاوصاف يظفر بالایمپراطور شرلکان لبطي مشاوره في بت الامور وكثرة تردد هاهنا وبذلك يسهل عليه ان يتغلب على نابلي لانها منعزلة من ممالك الایمپراطور بعيدة عنها رديئة التحصين لا تستطيع المدافعة عن نفسها فكانت دائما عرضة لان تكون غنيمة لمن شن الغارة عليها ولكن عما قيل تخلى هذا البابا عن حزب فرنسيس واخذ يتداول مع الایمپراطور مرارا ولا يعلم سبب ذلك هل هو كون ملك فرنسا ظهروا منه ما يدل على كونه غير واثق بالبابا فخاب امه فيه ورأى ان معاهدته معه لا تجديه نفعا وانه من مبدء الامر لم يعقد معه هذه المعاهدة الا ليتوصل بها الى التكن من المداولة مع الایمپراطور شرلکان وانه رأى فيما بعد ان معاهدته مع الایمپراطور اوفق به من المعاهدة مع فرنسيس وانه احب الایمپراطور وما الى اليه بسبب انه شرف الكنيسة بعقابه لوتير ومنع الناس عن مطالعة كتبه

هذا وكان الامير خنما منويل نديم الملك فيليبس ابى شرلکان قد اخرج من السجن بعدموت الملك فردينند وكان صاحب سياسة وحزم حتى انه افسد على الملك فردينند جميع ما كان يدبره من المقاصد والامور السياسية

مطلبه
المشاركة المنعقدة بين
البابا والایمپراطور

سنة ١٥٢١ ل

في ٨ من شهر ايار

فارسله الإمبراطور شرلكان الى ديوان رومة لما كان يعلم انه لا احد اعظم منه اقتدارا على استعطاف البابا واستمالته الى حزبه فقوض له امر المداولة مع البابا واخفى هذا الخبر عن الامير شيوره لانه كان يحاول منع وقوع الحرب بين الإمبراطور ومملكة فرانس فلو علم هذه المداولة لافسدها وصارت سدى ولذلك افقدت المعاهدة في اقرب وقت بين البابا والإمبراطور التي حصل عليها الاتفاق وكانت تلك المعاهدة اساسا للشوكة العظيمة التي اكتسبها شرلكان في ايطاليا وكانت موادها الاصلية سبعة الاولى ان الإمبراطور والبابا يضمن عساكرهما الى بعضهم ليتردا الفرنساوية من دوقية ميلان ويعطيها الى ابن الملك لويز لومور وهو الامير فرنسيس سفورس وكان قاطن في طرنته منذ غضبت البلاد من اخيه مكسيمليان وكان الغاصب لها ملك فرانس الثانية ان ترد الى الكنيسة دوقية برمه ودوقية بليرنسه الثالثة ان الإمبراطور يعين البابا على اخذ اقليم قراره الرابعة ان يراد في الخراج السنوي الذي كانت تدفعه نابلي لكنيسة رومة الخامسة ان الإمبراطور يدخل في حماه عائلة المديسيس السادسة ان يجعل للكردينال دوميديسيس عشرة آلاف من الدوقات على مطرانية طليطلة السابعة ان يعطى ما يساوي هذا المبلغ من الاراضي في مملكة نابلي للامير اسكندر وهو ابن الامير لورنت دوميديسيس من الزناء

مطلب —
موت شيوره وزير
الإمبراطور ونديعه

فلما علم الوزير شيوره بهذه المعاهدة العظيمة ولم يكن له دخل فيها يقن بضياع الكلمة التي كانت له على تلميذه شرلكان الى ذلك الوقت حيث كان قبل ذلك لا يفعل شيئا الا باستشارته فحصل له غم شديد لاسيما وكان يعلم انه سينشأ عن الحرب مع مملكة فرانس مصائب كبيرة واهوال كثيرة فيقال ان غمه عمل بهلاكه فمات بعد هذا الخبر بياوم قلائل والظاهر ان هذا ليس الامن موضوعات المؤرخين الذين يحبون ان ينسبوا الى الاسباب غير العادية جميع ما يقع لامشاهير الممتازين من الناس حتى انهم ينسبون امر انهم وموتهم

الى اسباب سياسية مع ان تلك الاسباب في الغالب انما تنغص على الانسان عيشه ولا مدخل لها في تقصير اجله وغاية ما يقال ان موت هذا الوزير مؤدب شرلسكان في وقت كثرت احواله وخطوبه منع الناس من الطمع في امكان منع الحرب بين الايمبراطور ومملكة فرانسسا ولم يتأسف شرلسكان على موته حيث كان يضيق عليه ويمنع عنه عن تخبيز مقاصده لانه كان متعودا على الطاعة والامتثال اليه من صغره فكان لا يمكنه ان يفعل شيئا بدون رأيه واستشارته وكان ذلك لا يليق وقتئذ بمقامه ولا بسنه فلما اتقذته المنية منه ظهرت نقائص قريحتته ونمت قواه العقلية ولاح عليه الفلاح حتى ابدى في مشاوره وتخبيز مشروعاته من الخزم والاصابة فوق ما كان يؤمله فيه اهل عصره واستوجب به مدح الاجيال التي اتت بعده

وبينما كان البابا والايمبراطور يستعدان للهجوم على دوقية ميلان بموجب المعاهدة التي انعقدت بينهما سر الزوقع الحرب في مملكة اخرى وذلك ان اولاد حنابلبرطه ملك نوار طلبوا عدة مرات من الايمبراطور ان يردهم مملكة ابيهم حسبا هو مقتر في المشاركة المنعقدة بمدينة نوايون على يد الملك فرنسيس وكانوا كلما طلبوا من الايمبراطور ذلك يحاولون ويتعمل بامور عديدة فرأى الملك فرنسيس انه يجب عليه اعانة هذه العائلة الملكية التي افرغ عليها الدهر نكباته وكانت ظواهر الاحوال وقتئذ تقضى بمساعدته في هذا المشروع لان الايمبراطور شرلسكان كان بعيدا عن مملكة نوار والجيش التي كانت بهادعيت لتسكين الفتنة التي كانت حاصلة حينئذ في اسبانيا لاسيما ومن كان من اهل هذه المملكة في غيظ من شرلسكان كان يلج على فرنسيس ان يتغلب على مملكة نوار ويفيده ان معظم سكانها يتظنون اعانته ليقوموا على حزب الايمبراطور ويدخلوا في حزب عائلته ملوكهم الاقدمين هذا وكان الملك فرنسيس يحاول ان لا يغضب الايمبراطور وملك انكثرة فجمع العساكر وابتدأ الحرب باسم هنري دلبوطه لاسباسمه وكانت قيادة الجيش للامير اندرودوفواكس دولسبار وكان شابا لا تجربه عنده بامور الحرب والقتال

طلب
يد الحرب في مملكة نوار

مطلبه
تقدم فرنساوية
ونظرهم

وانما قلده هذا المنصب المهم لانه كان حليفا صادقا للملك هنري دلبوطه
لاسيما وكان اخا لعشيقته فرنسيس وهي القوتيسه شاتوريان فلما دخل
هذا الامير مملكة توار ولم يجد بها جيشا مستعدا للمقاومة تغلب عليها
كأنها في أيام قليلة ولم يعقه في سيره الا قلعة بيلون الا ان المباقي التي كان
الوزير الكريمنيس اخذ في تجديد تحصين هذه القلعة لم تكن تمت فقاومت
مقاومة قليلة كانت لا تستحق الذكر في التاريخ لو لم يكن جرح بها الامير
ايناس دولوا بوله جرحا خطرا فكث هذا الامير مدة طويلة وهو يعالج وكان
يتسلى في تلك المدة بقراءة مناقب القديسين فحصل نهما موقع عظيم في نفسه
واثرت في عقله تأثيرا قويا لاسيما وكان بالطبع يميل الى الحماسة وكان صاحب
طمع وجسارة فاخذته الحمية والغيرة واراد ان يساوي في الفخار قديسي
الكنيسة الرومانية لما قام بنفسه من العجب بعد قراءة مناقبهم مع ان هذه
المناقب مخترعة لاصل لها ولم يكن هنالك من القديسين من اتصف بها وبناء
على ذلك تصدى الامير المذكور لامور هوسية كانت عاقبتها انشاء الجمعية
او الطائفة العيسوية التي صارت احسن الطوائف القسيسية واعظمها
سياسة وادارة وانشرت بالنوع البشري اكثر من غيرها كما فغته ايضا اكثر
من غيرها

مطلبه
دخول فرنساوية
في مملكة قسطنطية

ولوا كتنى الامير لسبار بعد اخذه قلعة بيلون بكونه يحتس بقدر
الامكان حتى يأمن على حفظ فتوحه لكان من الجائز ان تبقى مملكة توار
مع فرنساوية لانه لطيشه جاوز حدود تلك المملكة ووضع الحصار امام
لوغروينو وهي مدينة صغيرة من مملكة قسطنطية لاسيما وكان الملك
فرنسيس يفرح اذا نالت رماحه اولاح نجاحه فلما علم بنصرة فرنساوية
بعث يحرض الامير لسبار حتى هم بهذا المشروع الخطيرا واخذ يحاصر
مدائن مملكة قسطنطية وكان اهالي هذه المملكة الى ذاك الوقت لا يفكرون
فيما وقع من فرنساوية بمملكة توار ولكن لما اخذوا في حصار مدائن
مملكتهم استيقظوا من غفلتهم وتهيبوا والمدافعة بجميع جهدهم هذا وكانت

سنة ١٥٢١

نيران الفتى باسبانيا قد حدث فانضم اهل اسبانيا الى اهل قسطنطينية
ليدافعوا عن وطنهم وكان فريق منهم يقصد بقتال الفرنسيين ان يحرموا ملحقه
من المعزة في تقاعده وتكاسله في مبدء الامر وكان قصد الفريق الآخر
ان يثبت لنفسه الفخار بطرد اعداء اليمبراطور كما ثبت له الفخر بكونه جمع
نفوس رعاياه الخارجين عن طاعته فحاربت جيوش اسبانيا بغتة
وانضمت الى اهل مدينة لوغرونو فاضطر قائد الجيوش الفرنسيين الى
ترك مشروعه الخطب ورفع الحصار عن المدينة المذكورة وركن الى الفرار
بجيشه فتبعه جيش اسبانيا وصار يطرده ويهجم عليه مع الشدة والقوة
ولعدم تبصر هذا الامر وقلة رأيه لم يفر الى قلعة يملكون حتى يأمن من
اعدائه ولم يصبر حتى تصل اليه العساكر التي كانت مبعوثه لاعدائه بل رجع
وهجم على جيش اسبانيا وكان اكبر من جيشه واشتد القتال بين الفريقين
وكان لسبار لا يحسن ادارة العساكر فهمز في اقرب وقت واسر هو
واعيان ضباطه واخذ اهل اسبانيا مملكة نوار في زمن اقل مما لزم
للفرنسيين في التغلب عليها

سطله
هزم الفرنسيين وطردتهم
من مملكة نوار

مطلب
ابتداء الحرب في مملكة
البلاد الواطية

وكان الملك الفرنسي يحاول ليهرب من على ان اغارته على مملكة نوار من
باب العدل والانصاف لانها كانت باسم هنري دلبوطه وكان يبحث
من جهة اخرى عن حجة يتعل بها اليهجم على ارادى اليمبراطور شرلكان
وذلك ان الامير روبرت دولا مارك ملتزم اقليم بولون وهو اقليم صغير
مستقل بنفسه على ضواحي اقليم لوكرمبورغ واطليم شمبانيا خرج
عن طاعة اليمبراطور شرلكان ودخل في حى ملك فرنسا وادعى
ان المشورة الاولى قيمة (المشورة العليا اليمبراطورية) قد افسدت على حقوقه
ومنعت من قضائه وحكمه في التزاماته فاشار عليه من يثق به ان يبعث رسولا
الى اليمبراطور يطلب الحرب معه في شدة غيظه وحنقه سماع قوله وبعث الى
اليمبراطور رسولا في هذا الشأن فتعجب شرلكان من وقاحته وحزمه انه
لا يقدم على مثل ذلك من نفسه بل لا بد وان يكون ملك فرنسا وعده بالاعانة

سنة ١٥٢١

في هذا المشروع وقد ظهر بعد ذلك بقليل ان ما فهمه الامبراطور في محله لان الامير روبير جمع سرا من فرانساً جيشاً برضا الملك فرنسيس وان كان في الظاهر يترأى انه لم يأمر بذلك وسار الامير روبير مع هذا الجيش حتى دخل اقليم لوكسمبورغ فبعد أن خرب السهول وضع الحصار امام قلعة ورطون فاخذ شرلكان يتشكى من ذلك ويبدي ان فيه هتك حرمة الصلح المنعقد بينه وبين ملك فرانساً وطلب من ملك انكثرة هنرى الثامن ان يوجه جيوشه الى قتال ملك فرانساً حيث انه بموجب المشاركة المنعقدة في لوندرة (سنة ١٥١٨) تعهد بان يكون عدوا لمن يبدء بالاعتدى من الفريقين وانه ينضم الى الفريق المعتدى عليه لقتال المعتدى فزعم الملك فرنسيس انه ليس كفيلا ولا ضامنا للامير روبير حتى يطالب بما يفعله وان هذا الامير اشهر الحرب مع الامبراطور باسمه ولمصلحة نفسه وان دخول الفرنسيين في عسكر الامير روبير لم يكن عن ارادته بل كان على خلاف اوامره ولكن لم يلتفت ملك انكثرة الى هذه الحججة ولم يقبل منه صرفا ولا عدلا فرأى فرنسيس انه لا ينبغي له ان يغضب ملك انكثرة لان غضبه يفسد عليه ما ربه فبعث الى روبير يأمره ان يسرح العساكر ويحلى

سبيلهم

ومع ذلك جمع الامبراطور جيشا لينتقم من روبير في نظيره وقاحته وكان قدر هذا الجيش عشرين الفا وكان قائده القوتة ناسو فانقض به على ارض روبير وفي ظرف ايام قليلة تغلب على سائر مدنه وقلعه ما عدا قلعة سيدان وبعد أن أراه انه لا قدرة له على غضب الامبراطور ولا طاقة له على العصيان والخروج عليه توجه الى ضواحي مملكة فرانساً لان الامبراطور شرلكان كان جازما بان ملك انكثرة يؤثره على الملك فرنسيس فكان لا يخشى العواقب مثله وامر ناسو بمحاصرة مدينة موزون وكان محافظو هذه المدينة اهل فسل وجبن فاضطر حكمادارها الى التسليم بعدم مقاومة قليلة وبعد ذلك حاصر الامير ناسو مدينة ميزير ولم تكن حصينة منيعة الا انها

مطلبه

محاصرة جيش الامبراطور
لمدينة ميزير

بسبب وضعها والتغلب عليها جيش الامبراطور لسهل عليه ان يدخل اقليم
شبهانيا ولودخل هذا الاقليم لسهل عليه الجولان في داخل فرانسـا لانه كان
لا يوجد حينئذ بهذا الاقليم مدن حصينة لها اقتدار على صده ومنعه ولكن
اقيم حفظ فرانسـا كان الملك فرنسيس يعلم اهمية هذه المدينة فلما رأى
انه يخشى عليها من العدو وسلمها للامير بيار وكان بطلاهما مامتازا بين اهل
عصره ومعروفا عندهم بالشجاعة وشرف العرض حتى لقبوه بهذا اللقب
وهو الامير المنزه عن الخوف والملامة لانه كان ذاعزم عجيب وتجلد غريب
في الهجاء وكان صاحب عرض شريف ومزاج لطيف وكان حائزا لاعظم
اخلاق ابطال الشواربية القديمة وكان ذا دها ونهى مستكملا لصفات
الابطال وخول الرجال كما يشهد بذلك ما وقع منه غير مرة في المدافعة عن
ميزير حيث انه بعزمه وحزمه طالت مدة المحاصرة حتى اضطرت عساكر
الامبراطور الى رفع الحصار بعد ان فقد منهم اناس كثيرون وركب الملك
فرنسيس حينئذ في جيش عظيم واسترجع مدينة موزون ثم سار بجيشه
الى مملكة البلاد الواطية وتغلب منها على عدة قلاع ومدائن هينة لكنه في هذه
المرّة بلغ حدا الافراط في الاحتراس حتى ضاعت منه فرصة عظيمة لاحتماله
وهي انه كان يمكنه ان يقطع الطريق بقرب مدينة والنسين على الجيش
الامبراطوري وهو آخذ في الفرار ووقع منه امر آخر اعظم من ذلك اضرت به
عاقبته كل الضرر وهوانه اغضب ممر عسكره الامير بوربون حيث اعطى
للدوق دالنسون قيادة مقدمة الجيش مع ان هذه الوظيفة الشريفة
كانت من وظائف الامير بوربون ومعدودة من جملة خصوصيات
منصبه

مطلب
رفع الحصار

وفي مدة هذا الحرب كان بمدينة كالس جمعية من الوزراء منعقدة لقطع
الحرب بالتي هي احسن وكان ملك انكلترة هنري الثامن هو الواسطة في ذلك
والصلح بين الفريقين ولو كان باطنهم موافقا لظاهره لحسنت عاقبة المداولة التي
حصلت بتلك الجمعية وترتب عليها غاية ما يؤمل في الاصلاح بين فرنسيس

مطلب
انعقاد جمعية الوزراء بمدينة
كالس وتوسط ملك انكلترة
في ذلك

والإمبراطور الان الملك هنري فوض هذا الامر لوزيره ولسى فافسده واضاع ثمرته لان هذا الوزير كانت آماله دائماً تعاقبة باخذ منصب البابا وكان ذلك غاية امله ونهاية مرامه فكان احب شيء اليه اعانة الإمبراطور لان هذا الامر كان يده وكان هذا الوزير لا يخفى اغراضه مع الإمبراطور حتى ان الملك فرنسيس كان لا يرضاه واسطة لولم يكن يخشى بأسه لانه كان من طبعه الحرص على الانتقام من خصمه ولوبعد حين فكث ارباب الجمعية مدة مستطيلة وهم يخشون عمن بدأ بالحرب من الفريقين هل هو الإمبراطور او الملك فرنسيس وكان الوزير ولسى يدقق في معرفة البادى لئلا يثبت ان فرنسيس هو الذى بدأ لانه ان ثبت ذلك امكنه بسبب المشاركة المنعقدة في لوندرة ان يبنى عليه صحة المشاركات التى تنعقد فيما بعد بين ملك اسكتلة والإمبراطور وروعت المفاوضة بعد ذلك في شان الشروط التى يمكن اتمام الصلح بها الا ان مطالبه الإمبراطور دل على انه لا يميل الى الصلح ابدا وانه كان معتدا على الوزير ولسى وجازما بأنه يستحسن كل ما يطلبه ويقره عليه فطلب الإمبراطور ان ترد له دوقية بورغونيا وهو اقليم يمكن بواسطته ان يدخل فرنسا وطلب ايضا ان لا يكون للملكة فرانسوا امارة على اقليم الفلمنك ولا على اقليم ارنوارة مع ان ذلك كان ثابتا لهما من قديم الزمان واقره آباؤه واسلافه بل واقره هو ايضا في المشاركة المنعقدة بمدينة نوايون فلم يرض فرنسيس بهذه الشروط واستنكف ان يقبلها والواقع ان كل ملك كريم شريف النفس لا تطيق نفسه ان يقبل مثل هذه الشروط ولوبعد هزيمة وتدمير عساكره غير ان الإمبراطور وعد ملك فرانسوا بامور اخرى احسن واصوب من الاولى وهى ان يرد ملكة نوار الى ملكها الاحق بها وان يأمر برفع الحصار عن مدينة تورنه وبناء على ذلك تمت مذاكرة الجمعية بدون ثمرة ولا جدوى وانما كانت ثمرتها ايقاع الغشل والتنافر بين الفريقين مع انه كان التصدم منها التأليف بينهما

وفي اثناء المذاكرة بتلك الجمعية السابقة سافر الوزير ولسى الى مدينة

مطلب

اصاعة ثمة المداولة

مطلب

عصاة الإمبراطور وهنرى ملك اسكتلة على الملك

فرنسيس

ابروجه ليقابل الايمبراطور متعللا بان الايمبراطور نفسه يمكن ان يتساهل في الشروط ويرضى بما لم ترض به وزرأؤه وكان الايمبراطور يعلم ان هذا الوزير يعجب بنفسه ويحب الزينة والظهور وقلقه في احتفال عظيم واكرمه غاية الاكرام كانه ملك انكلترة ولكن لما قابلته ولسى لم يسع في عقد مشاركة الصلح بينه وبين ملك فرنسا بل عقده معه باسم ملك انكلترة مشاركة بها يكونان عصبة على الملك فرنسيس وكان مضمون هذه المشاركة ان الايمبراطور يهجم على مملكة فرنسا من جهة اسبانيا والملك هنري يهجم عليها من جهة بيكارديه ومع كل منهما اربعون الفا وان الايمبراطور يتزوج بالاميرة مارية بنت الملك هنري ووارثته في بلاده ودوله حيث لم يكن له وقتئذ غيرها ولم يجد الملك هنري اصلا يبنى عليه صحة تلك العصبة التي كانت في حد ذاتها من محض الظلم والعدوان وتضمر بمصالحه السياسية الا كونه استند على بدم المشاركة المنعقدة في لوندرة كان مضمونه انه يجب على ملك انكلترة ان يحارب من تعدى من الفريقين سواء كان الايمبراطور او الملك فرنسيس وحيث ثبت ان فرنسيس هو المتعدى اتخذ ملك انكلترة تعديده على بنى عليها صحة تعصبه مع الايمبراطور وابدى سببا آخر هو ان الملك فرنسيس رضى برجوع الدوق دلباني الى مملكة ايقوسيا مع انه كان رئيس عصبة تبحث عن اضرار هنري الثامن ملك انكلترة هذا وكان له هنري المذكور ما رب اخرى حسنت له الدخول في حرب احد الفريقين وذلك انه كان يومئذ في عنفوان شبابه متولعا بالظهور والمعالي فرأى ان المنفعة التي تعود على رعاياه من تخليه عن كل من الحزبين والشرف الذي يعود عليه من بقاءه حكما عادلا بينهما ليس كبير شيء بالنظر للنخر الذي يحصل للايمبراطور شر لسان والملك فرنسيس من قيادة الجيوش وفتح الاقاليم والبلدان فكان لا يمكنه ان يمكث مدة مستطيلة من غير ان يكون له دخل بين الفريقين فمجرد ما تصدى لهذا الغرض رأى من اوجه عديدة ان معاهدته مع الايمبراطور اوفق له وانفع من معاهدة الملك فرنسيس وذلك

سنة ١٥٢١

انه لم يكن له شبهة حق في شئ من دول الايمراطور لاسيما وكان موقع اغلبها يمنع
الاغارة عليها الامع المشقة العظيمة والخسارة الجسيمة بخلاف مملكة فرنسا
فكان اغلب اقاليمها البحرية قد مكثت زمنا طويلا في ايدي ملوك انكلترة
حتى ان هؤلاء الملوك كانوا الى ذلك الوقت يدعون ان لهم الحق في تاج مملكة
فرنسا لاسيما وكانت مدينة كالس بيد الملك هنري فيها كان يسهل
عليه ان يدخل في بعض اقاليم فرنسا ويرجع في امن واطمئنان اذا عاينه
الدهر ولم تسعفه المقادير وكان يقوم بنفسه ان الايمراطور اذا هجم على فرنسا
من جهة وهجم هو عليها من جهة اخرى لا يجد في تلك الجهة من يقاومه وكان
يعتقد ان الله تعالى كتب له ان يكون له الفخر بكونه يضيف ثانيا الى مملكة
انكلترة جميع البلاد التي كان يملكها اسلافه في الاراضي القارية من اوربا
وكان الوزير ولسي يقوى عنده تلك الاماني ويحسنها له حيث كانت تعينه
على تقيم ما ربه القامة بنفسه لاسيما وكانت بغضة الانكلترة لفرنساوية متوارثة
من جيل الى جيل ومن نسل الى نسل فلم يستقبحوا من ملكهم عزمه على الحرب
مع مملكة فرنسا

هذا وكانت العصبة المنعقدة بين البابا والاييمراطور قد ترتب عليها امور جسيمة
وحوادث عظيمة في بلاد ايطاليا ونتج عنها كون بلاد لمبرديا اعظم
ميادين الحرب واكبرها * وكان بين اخلاق الفرنسيات واخلاق الايطاليين
مباينة كامية حتى ان الايطاليين لم ينقروا ابدا من حكم الاجانب كما نفروا من
حكم الفرنسيات وكان سكان اهل النمسا وعدم طيش اهل اسبانيا
يلايمان طبع الايطاليين اكثر من طبع الفرنسيات لان الايطاليين يميلون
بالطبع الى سلوك طرق التكليف في معاملة الغير ويراعون نواميس الادب
ورسوم المجالس ومن طبعهم الغيرة والحمية بخلاف الفرنسيات فمع ما عندهم
من البشاشة وانخلة لا يكتفون شيئا ولا يراعون تلك النواميس ولكن لما تولى
الملك لويز الثاني عشر على فرنسا وكان مهذب الاخلاق عدلا
في احكامه اعطى اهل ميلان مزايا وخصوصيات اعظم مما كانوا يتمتعون به

مطلب

وقوع الحرب في ايطاليا

سنة ١٥٢١

في عهد ملوكهم فامكنه بذلك ان يضعف حقدهم للفرنساوية ويؤلف بينهم
واما الملك فرنسيس فانه لما استرجع هذه الدوقية لم يقتف اثر لويز الثاني
عشر فانه وان كان حلياً لا يجب ان يظلم رعايا دالانه كان يأتمن اخصاياه ويشق
بهم كل الوثوق فكان لا يلتفت الى سلوكه من يوليه الحسنى على العباد فن ثم
ارتكبوا عدة مظالم تأبها النفوس الشريفة فبذلك وقع التنافر بين الايطاليين
والفرنساوية

سامة اهل دوقية ميلان
من حكومة فرنساوية

وكان الملك فرنسيس قد قلدا حكومة دوقية ميلان للامير
اوديد دوفوا كس مارشال لوتريك وهو اخو مدام شاتوبريان وكان
من اهل الخبرة والتجارب ذائمه عظمة الاله كان متكبرا جبارا طماعا
لا يقبل بصحة ولا يستطيع ان يعارضه احد فيما فعل فباساءته وظلمه اغضب
اهل ميلان وفترت نفوسهم منه وذلك انه نفى عدة من اكابرهم واشتد ظلمه
لهم حتى اضطرت بقية الاكابر الى المهاجرة من البلاد ليأمنوا على انفسهم وكان
من هاجر منهم الشهير جيروم مورون وكيل فنخيلير دوقية ميلان وكان
له اقتدار غريب على ايقاع الفتن والاقدام على المشروعات الجسيمة لاسيما
وكان ذلك العصر عصر فتن وتحزبات وكانت الاحوال وقتئذ تقتضى ذلك
خصوصا في هذه الدوقية فانه كان لا تخمد فيها نيران الفتن والشقاق وكان
جيروم مورون قد خان الامير مكسيميليان ومع ذلك التجأ بعد مهاجرته الى
اخيه الامير فرنسيس سفورس ولما ادرك مورون المذكور ان البابا
يريد الهجوم على دوقية ميلان لطرد فرنساوية منها مع ان المشاركة
المنعقدة بين البابا والامير اطور في هذا الشأن كانت لم تشع بين الناس عرض
للبابا باسم فرنسيس سفورس انه يريد ان يهجم بغتة على عدة من قلاع
ميلان ومداتها مع بقية الاعيان المنفيين لانهم لبغضتهم للفرنساوية ومحبتهم
لعائله ملوكهم الاقدمين كانوا مستعدين لاقتحام الاخطار والاهوال حتى
يتكئون من طرد فرنساوية من دوقية ميلان فلما وقف البابا ليون
على قصد مورون استحسنته وصار يحشه ويحرضه على تجييزه بل واعطاه

سنة ١٥٤١
في ٢٤ من شهر حزيران

مبلغا جسيما ليستعين به على ذلك ولكن طرأت احوال افسدت ما هموا به
فاذن البابا للمنفين الذين كانوا مجتمعين لاجل هذا الغرض ان يذهبوا الى
مدينة رنجيو وكانت تلك المدينة وقتئذ من مدائن الكنيسة وكان
المارشال دوفواكس يحكم في ميلان مدة غيبة اخيه فاعتقد انه
يمكنه القبض على هؤلاء المنفيين الذين هم اعداء الملك فرنسيس في دوقية
ميلان ويسهل عليه ذلك بسبب اجتماعهم في محل واحد فخاطر بنفسه
ودخل اراضي الكنيسة وهجم على مدينة رنجيو وكان حكمه دار هذه المدينة
اذ ذلك هو المؤرخ غيشاردين الشهير فليسياسه وحسن سلوكه صدة المارشال
دوفواكس وجبره على العدول عن مشروعه والتحول عن تلك المدينة على
وجه يرزى به فلما وقف البابا ليون على هذا الخبر سرت غاية السرور واتخذ
حجة مستحسنة في فسح الصلح بينه وبين ملكة فرانسوا وعقد فوراً مشورة
الكردينالات وعرض عليهم شكواه من اغارة ملك فرانسوا على بلاده ومدح
لهم كثير في الإمبراطور ومحبة لالكنيسة واستدل على ذلك بما فعله ذلك
الإمبراطور مع لوتير الذي هو عدو الكنيسة وعرض عليهم انه لامنهم وامن
بلاده يلزم ان يضم عساكره الى عساكر الإمبراطور لقتال الفرنسيين وانه
لا توجد واسطة اخرى يؤمن بها على دول الكنيسة واراضيها وعقد حينئذ
مشاركة في هذا الشأن مع الامير حنا منويل وزير الإمبراطور
شرلكان حتى كان تلك المشاركة لم تنعقد بينهم مامندة شهر وحكم البابا
بالحرمان على المارشال دوفواكس في نظير هجومه على حرم الكنيسة
وهتك حرمتها

مطلب
تخاضم البابا مع الملك
فرنسيس

مطلب
الحرب في دوقية ميلان

وكان البابا ليون وقتئذ قد جهز المهمات واستعد للحرب حيث استأجر
جيشا عظيما من اهل السويس ولكن ابطأت جيوش الإمبراطور في مجيئها
من نابلي و ألمانيا حتى مضى نصف فصل الخريف قبل ان يصلوا الى
ميدان الحرب وكان قائدها الشهير بروسبير كولون وكان انشط جنرالات
إيطاليا وامهرهم وكان اكثر تجاربه وحرمة احق من غيره بمقاومة

الفرنساوية وفي أثناء ذلك كان المارشال دو فواكس يرسل الملك فرانسوا
بريداً بعد بريد يخبره أنه عرضة للاخطار والخطوب ولكن كان بعض عساكر
الملك فرنسيس مشغولاً في البلاد الواطية وكان البعض الآخر مجتمعا في ثغور
اسبانيا وكان هو نفسه لا يتربح الهجوم على بلاده التي يملكها
إيطاليا فعند وقوفه على هذا الخبر بعث رسلا إلى السويسيين المتعاهدين
معهم ليطلب منهم عساكر وصدر منه امر إلى الأمير لوتريك أن يذهب إلى
دوقية ميلان ليقوم بحكمها غير أن هذا الأمير كان يعلم ماهنا من الإهمال
وعدم التدبير في إدارة خزائن الملك فرنسيس وكان يعلم أن العساكر لحقهم
في ميلان ما تقصر عنه العبارة من المشاق القادحة لعدم صرف ما هيأته
فإن السفر إذا أعطى ثلاثمائة ألف أيكو (ريال) فوعده الملك فرنسيس
وأمره لوريه دوسبوه وكذلك سمبلانسي مباشرة الخزينته أنه بمجرد وصوله
إلى ميلان يجد هنالك المبلغ فاعتمد لوتريك على قولهم وسافر إلى
ميلان ولكن من سوء حظ فرانسوا كان من دأب الملكة لوريه أم الملك
فرنسيس الخيانة والشره وكانت تؤثر ما ربهما وشهما والنفسانية على كل شيء
ولوتريك على ذلك ما ترتب من المضار والمقاسد وكان لها كلمة نافذة عند ابنها
ولا يستطيع مخالفتها لأنها ربهما واعتفت به في صغره لاسيما وكانت ذات
معارف غزيرة وسياسة شهيرة وكانت مصممة على أن لا تفي بوعد هالي
لوتريك لأنه لكبره وشتمه كان لا يؤايلها ولا يراعي مرضاتها وإن كان يحادثها
في شأن ما وقع له من الأمور الغربية الغزلية والنوادر العشقية فلاجل
أن تنفك منه هذه الملكة أرادت حرمانه من الثغر الذي يثبت له بمدافعته عن
دوقية ميلان وظفره بالأعداء فآخذت المبلغ الذي وعده به وأعدته لخصوص
مصاريفها

ومع حرمان لوتريك من هذا المبلغ الذي كان يعينه أتم الاعانة وكان ضروريا
من أجله وجب وسائط أخرى أمكنه بها أن يجمع جيشا عظيما وإن كان أقل
عدد من جيش المتعاهدين ودبر امر المدافعة على أحسن وجه يلائم الحالة التي

طلب
ظفر العساكر
الاجبراطورية

سنة ١٥٢١

كان عليهم ان كان يتجنب ملاقاته صفوف الاعداء وانما كان يحمل عليهم مع
عساكره الخفيفة وينهب مساكنهم ويقطع عنهم الذخائر والزاد ويصدتهم عن كل
قلعة ارادوا الهجوم عليها ويساعداهم على منعهم فبحسن سلوكه وحزمه
اخرقهم عساكر الامبراطور واعى البابا حيث انه الى ذلك الوقت هو الذى
كانت عليه جميع مصاريف الحرب تقريبا واعى الامبراطور ايضا
لان ايرادات اسبانيا كانت قد نفذت مدة الفتن التى حصلت بها وكان
يلزمه القيام بمصاريف الجيش العظيم الذى كان بمملكة البلاد الواطية
لحفظها ومحاماتها ولكن فى انشاء ذلك طرأت عوارض اوقعت لتريك
فى الارتباك والخل واودت بمملكة فرنسا الى سوء الحظ والشقاوة
وذلك انه كان يوجد فى الجيش الفرنساوى اثنا عشر الفانم السويسين
كانوا يخدمون فى عساكر الجمهورية السويسرية التى كانت وقتئذ متعاهدة
مع مملكة فرنسا وكان بموجب القانون الذى رتبته دول جمهورية
السويسرية لايحوز للعساكر السويسرين ان يدخلوا فى خدمة الامبراطور
او الملك فرنسيس ولا شك ان ذلك موافق لحسن السياسة وشعائر المروءة
الا ان حب الكسب احوج فى بعض الاحيان الى اهمال هذا القانون فرخص
لبعض افراد فى الدخول فى خدمة من احبوا من الفريقيين ولكن لم يكن ذلك
تحت الوية الجمهورية بل كان تحت الوية بعض ضباط مخصوصين وكان
لكردى شال دوسيون كلمة نافذة بين ابناء وطنه وكان يغض مملكة فرنسا
فاستأذن ان يجمع عساكر من السويسرية فاجيب لذلك وجمع اثني عشر الفانم
السويسرين ليضمهم الى جيش المتعاهدين (الامبراطور والبابا) فلما رأت
دول جمهورية السويسرية انه قد انضم الى المملتين المتحاربتين كثير
من العساكر السويسرين وانه سيهدم بعضهم بعضا وكانت تعلم ان ذلك يورثها
العار بين الدول بعثت رسلا الى العساكر السويسرية ليتخلوا عن الفريقيين
ويعودوا الى وطنهم فاما الرسل الذين بعثوا الى جيش الامبراطور والبابا
فرشاهم الكردى شال دوسيون فلم يوصلوا الامر الذى معهم الى العساكر

السويسين الذين كانوا في ذلك الجيش وأما البرد الذين بعثوا الى جيش
فرنسيس فوصلوا الامر الذي كان معهم الى العساكر السويسية الذين كانوا
في هذا الجيش وكانوا قد ستموا من طول الحرب وكنت قواهم لاسيما وكانت
ماهياتهم لاتصرف لهم فبجرت وصول الامر اليهم بادرابا بالطاعة والامتثال
وماسلكهم معهم **لوتريك** من التريغ تارة والتهديد اخرى لم يجد شقا فلما
تخلوا عنه وكان مدارقة جيشه عليهم لم يتجاسر على مقاومة المتعاهدين
فرجع الى مدينة **ميلان** ونزل بعساكره على شواطئ نهر **آدا** ولم يجد
حيلة لالمنع الاعداء عن عبور هذا النهر وهي حيلة ضعيفة هينة قل
أن نجحت او نفقت مع سرعسكر ماهر ذي خبرة ودراية كالشهير **كولون**
الذي كان سرعسكر جيش البابا فلذا اجتاز **كولون** المذكور هذا النهر مع
مهارة **لوتريك** ونباهته ولم يخسر في ذلك الا خسارة هينة فعند ذلك
اضطر **لوتريك** الى دخول مدينة **ميلان** وعلق ابوابها فهم حينئذ
جيش اليمبراطور والبابا يحصار هذه المدينة فجأ منها رجل مجتهد الى الامير
مورون سرعسكر جيش اليمبراطور واخبره بانه ان قرب بجيشه ليلا من
المدينة ففتح له حزب الجبابرة اي حزب اليمبراطور بابا من ابوابها ثم انطلق
لوقته ولم ينظم رثا يسا حتى يفخر بهذا الصنيع او يطلب مكافأة في نظيره وكان
الجنرال **كولون** لا يحب المخاطرة في المشروعات ومع ذلك امر الملتزم
بسكر ان يتوجه بالقرب الى المدينة وتبعه هو بنفسه مع
بقية الجيش فاجاء الليل الاوصل الملتزم المذكور الى الباب الروماني على
ضواحي المدينة ونزل بغتة على العساكر الفرنسية الذين كانوا هناك فعند ذلك
فر عساكر التحصينات القريبة من الباب المذكور وصار الملتزم بسكر
يتقلب على كل محل تركته العساكر الفرنسية ولم يرل سائر ارجحة المدينة
مع غاية الاحتراس والثبات حتى تغلب عليهم من غير أن يسفك في ذلك دماء
كثير بل لم يجد من يقاومه او يصده حتى حصل التعجب لكل من الفرنسيين من
هذه الواقعة وسرعة فجاحهم على هذا الوجه وبجرت دما تعلقوا على المدينة

مطابق
تغلب جيش اليمبراطور
على مدينة ميلان

سنة ١٥٢١

فر الجنرال لوترين الى ارض البنادقة مع بقايا جيشه وتأسست سائر مدائن دوقية ميلان بالتحت فسلت جيش البابا والایمپراطور وانضمت مدينة برمة ومدينة بليرنسة الى دونا اكيسة وضاع من الفرنساوية جميع البلاد التي فتحوها في بلاد لومبردية ولم يبق لهم منها سوى مدينة كريمون وقاعة ميلان وبعض قلاع اخرى صغيرة

مطلع

موت البابا ليون العاشر

ولما بلغ البابا ليون اخبار هذه النصر العظيمة كاد يغير فرحا حتى ذكر بعض المؤرخين انه لفرط مروءة لحقته حتى شديدة واهملها في مبدء امرها فتكنت منه حتى مات بها في اثنين من شهر كانون الاول وكان في ابان شبابه فرحا بظفروه ونفخاره وبموته انخلت روابط المتعاهدين ونشئت شلهم فتترك كل من الكردينال دوسيون والكردينال دوميديسيس الجيش وذهبوا ليحضروا ديوان الكردينالية لاجل انتخاب بابا بدلا عن البابا ليون ودعيت العساكر السويسيون الى بلادهم وشرق باقي العساكر المستأجرة لعدم صرف ما هيأتهم فلم يبق في دوقية ميلان من يدافع عنها الا العساكر الاسبانية ولوية وبعض عساكر من المانيا في خدمة الایمپراطور فكانت ذلك فرصة عظيمة للجنرال لوترين في اخذ دوقية ميلان الا انه لم يكن عنده رجال ولا مال فلم يكنه ان يغتنم من هذه الفرصة ما كان يوده نعم انه هجم على دوقية ميلان عدة مرات الا انه لم يبلغ مرامه ان يثقف الجنرال مورون وحسن سلوك الجنرال كولون وهجم ايضا على مدينة برمة مع المهمة والنبات فلم ينجح ايضا بسبب سياسة الشهير غيساردين وشهامته

سنة ١٥٢٢

ثم انه حصل الشقاق وانفصام بين الكردينالات في مشورة الكردينالية المنعقدة بعد موت ليون العاشر لانتخاب من يكون بابا بدلا عنه فسلط الكردينالات في هذا الشأن جميع طرق الحيل التي يقدر على اقتراحها رجال شيوخا على الدساتر وشيوخا في الخداعات وتجوذ بهاء عقولهم عند المحاوراة في غرض جسيم مهم كآج البابا فلم يذكر في هذا الديوان اسم الكردينال واسي (وزير ملك انكارتة) مع انه ذكر الایمپراطور حينئذ بذلك وكان قبل ذلك وبعده

سنة ١٥٢٢

أن يعينه في نيل هذا المنصب وانحط رأى خمسة عشر من ارباب ديوان
الكردينية على اعطاء هذا التاج للكردينال جاليوس دوميديسيس
وهو من اقارب البابا ليون وكان اعظم الكردينيات امتيارا واعتبارا
لثروته ومعارفه وتجاريته ونعوده على ادارة الامور الجسمية والمصالح المهمة
العظيمة وكان من اصول ديوان الكردينية ان هذا القدير يكتفي في منع غير من
انحط عليه الرأي ولكن لا يكتفي في انتخاب انسان وتقليده بمنصب البابا
فتم نصب على جاليوس سائر الشيوخ من الكردينيات ولم يرضوا بجهله
بابا الا انه لم يتفق كلمهم على غيره وبينما كان ارباب الديوان يتنازعون ويتعجبون
بعضهم بالمحاورة والمجادلة ويرشوا بعضهم بعضا اذ خرج الكردينال
جاليوس دوميديسيس ذات يوم في الصباح مع حزبه من الكردينيات
وذهبوا الى مجلس الانتخاب وكان على حسب العادة وقتئذ ينقذ كل يوم
واعطوا رأيهم بان الذي يتولى بابا هو الكردينال اديان دوريك وكان
اذن يحكمهم في اسبانيا نيابة عن الامبراطور ولم يكن غرضهم من اتفاقهم
على تولية هذا الرجل الاجنبي منهم الا ان يجدوا زمنا يكتفيهم في اخذ اهبتهم
واستعدادهم لتنفيذ ما ربههم لكن حصل خلاف ما انتموه ووافقهم فوار بقرية
الكردينيات على هذا الرأي ونجحوا هم انفسهم غاية العجب وكذلك سائر
اهالي اوروبا من تولية رجل غريب لا تعرفه اهالي ايطاليا بل
ولا يعرفه احد من انحط رأيهم عليه ويجعل بالكلية اخلاق الامة التي دعي
الى ان يمسك بزمام حكومتها ويجعل منافعها وما تقتضيه مصالحها لاسيما
وكانت توليته على كرسي البابا في وقت صعب فكان لا يتصور ان يعطى هذا
المنصب الامس يفوق بفراسه ودرايته سائر العصاة الكردينية ولما خرج
الكردينيات من الديوان في زفاف واحتفال سخط عليهم الاهالي في نظير
تخايبهم لهذا الغريب وعجز الكردينيات انفسهم عن ايد كرو لذلك وجها
الاقوام ان ذلك الهام من روح القدس والصواب ان يقال ان ذلك الهام
من الامير حنا مندوبل فانه مراعاة لصحة سيده الامبراطور شرعا كان

مطلب
انتخاب اديان للبابية

في ٩ من شهر كانون الثاني

سنة ١٥٢٢

هو الذي الجأهم بتخيله ومكره الى انتخاب هذا الرجل لانه من رعايا الامبراطور وكان صادقا في خدمته فصنع ذلك مراعاة لمصلحة نفسه وحبا في الامبراطور واقراراله بالشكر لما اغدق عليه به من الخيرات الجليلة واسبغه عليه من النعم الجزيلة

وبارتقاء ادریان الى كرسي البابا ازدادت شوكة الامبراطور وصارت تدبيره وادارته في مما السكه رونق جديد ومما يدل على عظم شوكته حينئذ وعلو شأنه هو انه كافأ ادریان الذي كان مؤدبه مكافأة عظيمة حيث جعله بابا كنيسة رومة وهو الذي رقاها ايضا قبل ذلك ورفعته الى اوج المعالي حتى جعله حاكما على اسبانيا نيابة عنه فحصل للملك فرنسيس من ذلك غيرة عظيمة حملته على ان يبذل غاية جهده في التغلب على دوقية ميلان ثانيا وحيث كان خروج العساكر السويسيين من جيشه هو منشأ ضياع هذه الدوقية رأى اهل السويس انه يجب عليهم ان يعينوا ملك فرنسا ثانيا في اخذها لتطيب نفسه من الاساءة التي فرطت منهم في حقها وهو اخذ عساكرهم منه فاذنوا له ان يأخذ من بلادهم اثني عشر الف رجل يستعين بهم في مشروعه فلما وصل هؤلاء العساكر الى الجنرال لوزريك وكان الملك فرنسيس قد ارسل اليه ايضا مبلغا هينا من الاموال رأى انه يمكنه ان يحارب الاعداء ويشاومهم فجمع عليهم واخذ منهم عدة قلاع وتقدم جهة النخ وكان جيش المتعاهدين لا يمكنه في تلك المرة ان يمنع جيش الفرنسياتوبة الا ان الجنرال مورون بحيلة وخداعه امكنه ان يتصرف قوس اهل ميلان من حكم الفرنسياتوبة حتى اعانوه عليهم حق الاعانة واعلوه امدادات كثيرة ومع ذلك كان جيش الفرنسياتوبة كسيل العرم لا يأتي على شيء الا اخذه حتى كان لا يمكن الجنرال كولون ان يثبت في المحطة الحصينة التي عسكر بها قريبا من مدينة بيكوك وكان يضطر الى تسريح عساكره لعدم الاموال الا ان العساكر السويسيين الذين كانوا مع الفرنسياتوبة فعلوا ما كانوا فعلوه اول مرة وتجاوزوا عن الفرنسياتوبة عند الشدة

مطلـ

ابتداء الحرب ثانيا
في دوقية ميلان

مطلب

انهزام الفرنسياء
في دواته بكونه

وطما الماعدر السويديون بالحزب الذين هم منه اذ كانوا اهل سفه ووقاحة
لا يدومون على حاله واحدة فكان احبا بهم يخشون غدرهم كما كان اعداؤهم
يهابونهم لشجاعتهم وبراعتهم في الفنون لعسكارية وانما تخلوا عن الفرنسياء
في هذا المرة لانهم مكسوا في خدمة فرانسا عدة اشهر ولم يصرف لهم
ما هيا بهم فاخذوا يتشكون من ذلك ويظهرون السامة والقلق فبعث اليهم
من مملكة فرانسا مبلغ ليصرف عليهم وكان يحقره سرية من الخيالة
الا ان الجنرال مورون كان متيقظا لا يغفل عن حركات الفرنسياء ابداء
ولا يخفي عليه امر من امورهم فوضع عساكر على الطريق الذي يأتي منه هذا
المبلغ واحكم وضعهم حتى لم يمكن للخيالة الذين كانوا يخفرونه ان يمروا بهم فلما
وقف السويديون على هذا الخبر عيل صبرهم فاجتمعوا كلهم ضباطا وانفارا
وطلبوا من الجنرال لوتريك ان يعطى لهم ما هياهم او يعدهم بان يتوجه
بهم في غدا لملاقاة الاعداء صباحا وان لم يفعل احد هذين الامرين تخلوا عنه
حالا وذهبوا الى حال سبيلهم ولم يصغوا لقول لوتريك حين عرض عليهم
انه لا يمكنه بوجه من الوجود انه يوفهم حقهم وانه لا يليق التوجه لملاقاة
الاعداء اتخصيصين معسكرهم حيث كان محكم الوضع من اصله وزادوا احكامه
بالتحصينات التي جددوها فيه فلا غرة في الهجوم عليهم بل هم الغالبون بدون
مرية الا ان السويديين كانوا لا يعقلون وكانوا يرون ان شجاعتهم تكفي في ازالة
كل عائق وتظلم رعى كل مانع فالجوا عليه كل الاحساخ والتمزموا ان يكونوا
في مقدمة الجيش ليكونوا اول من يحمل على الاعداء فلما رأى الجنرال لوتريك
شدة عنادهم وانه لا يمكن ردهم عما صمموا عليه قبل ذلك منهم مؤملا
ان تسفه حادثه من الحوادث لا تفاقية التي تطرأ على حين غزله لاسيما
في الحرب فعسا أن يخرج بها في هذا المشروع ولقد عهدت خوف الظنون وايضا
كان يعلم ان الانهزام لا يضربه اكثر من تخلي السويديين عنه اذ كانوا على
النصف من جيشه وفي صبيحة اليوم الثاني كان السويديون اول من برز الى
ميدان الحرب وجعلوا على معسكر الاعداء وكان محصنا من سائر جهاته محاطا

في شهر ايار

سنة ١٥٤٢

بالطواي والمدافع ومستعد الملائقة لعدو فصرمت عليهم المدافع من جهة
المعسكر ضربا شديدا فثبتوا أمامها ولم يتأخروا عن السير حتى تصل اليهم
مدافع فرنسا وية بل هجوموا على تحصينات معسكر الاعداء بقلوب نابته
لا تفزعها اخطار ولا تفجعها احوال ولكن مع ما ابده من الشجاعة الغربية
والذهامة العجيبة التي تقف دونها العقول ولا تصدر الا عن الابطال وانعول
واعانهم فرنسا وية كل الاعانة هلك منهم اشجع ضباطهم واحسن عساكرهم
ورأوا انه لا يمكنهم الجولان في معسكر الاعداء فرجعوا على اعقابهم
مطرودين لا مغلوبين حيث انهم عند الرجعة لم يراؤوا باقين على غاية من الترتيب
والانتظام ولم يمكن للاعداء ان يشتتوا شملهم او يوقعوهم في الخلل
والارتباك

فلما كان اليوم الثاني سافر السويسيون الذين نجوا من واقعة بيكول الى
بلادهم فعند ذلك رأى الجنرال لوتريك انه لا يمكنه مقاومة الاعداء فرجع
الى مملكة فرنسا بعد ان وضع محافظين في قلعة كريمون وبعض قلاع
اخرى وكما لم يمكنها المقاومة بل سلمت الى الجنرال كولون ماعدا قلعة
كريمون المذكورة

وكان لفرنسا وية ارض عطية في بلاد ايطاليا غير دوقية ميلان وهي
ارض جنويرة فكان يسهل على الملك فرنسيس ان يأخذ دوقية ميلان
الا ان الجنرال كولون لما ظفر باعدائه غير مرة صار يستحق كل خطب
ويستسهل كل صعب فعزم على اخذ بلاد جنويرة لاسيما وكان يخشع على
ذلك حزب الادورنى الذى كان عدوا للغريغورين وكانوا تحت حماية
الفرنسا وية فلذا كان لهيلاذ جنويرة الكلمة النافذة فاخذ كولون
المذكور البلاد مع غاية السهولة كما تغلب على دوقية ميلان وتمكنت فيها
صولة الحزب الادورنى وحكومة الإمبراطور من غير معارضة
ولاسفلت دم

ولاشك ان هذه المصائب المتوالية قد اودعت في باطن الملك فرنسيس الاما

مطلد

طرد فرنسا وية من
دوقية ميلان

مطلد

اخذ جنويرة سن
الفرنسا وية

مطلد

اشهار الملك هنرى الثامن
للحرب مع مملكة فرنسا
في ٢٩ من شهر ايار

سنة ١٥٢٢

شديدة واحزاناً كبيرة ازدادت شدتها حين اتى اليه في اثناء تلك المدة على حين غفلة رسول من طرف ملك انكلترة بصدد طلب الحرب عن لسان هذا الملك وكان منشأ ذلك هو المشاركة المنعقدة في مدينة بروجه بين الامبراطور والوزير ولسى وكانت الى ذلك الوقت خفية لم يقف لها احد على جليلة فتعجب الملك فرنسيس من ذلك كل العجب حيث انه كان يبذل جهده في استعطاف ملك انكلترة واستمالة وزيره ولسى ومع ذلك قابل الرسول بالترحيب والاحترام ولاطفه واكرمه كل الاكرام ثم اخذ اهبطه واستعد بامور جسمية ليدفع عن نفسه هذا الملك ولم يزل على عناده مصمماً على مراده الذي كان يضره للامبراطور وحيث كانت خزائنه قد نفذت في الحروب السابقة وفيما صرّفه من المبالغ الجسمية على نفسه في اللعب واللهو اضطرا الى ارتكاب امور غير عاديه لتحصيل المبالغ اللازمة له فاخترع مناصب جديدة في الدولة وعرضها للبيع وباع الجفالك والاراضي المملوكية وضرب على الاهالي مغارم زائدة عن الحد واخذ يضرهم بحامن خالص الفضة كان الملك لويز الحادي عشر لكثرة ديانتته قد وضعه حول قبر القديس سنت مارطين وبهذه الوسائط امكنه ان يجمع جيشاً كبيراً ويحصن جميع المدن التي على ضواحي مملكته تحصيناً عظيماً

مطلب

ذهاب الامبراطور الى انكلترة

هذا ولم يهمل الامبراطور شيئاً يجب به لنفسه كل فائدة لاحتماله من الملك هنري فقد حصل انه لما رأى اذذاك قيام خطه واقبال الدهر عليه وان مصالحه تسوق له الذهاب الى اسبانيا وكان ذهابه اليها مما لا بد منه فارادوه ومتوجه اليها ان يترجم ملكة انكلترة ليقابل الملك هنري ولم يكن قصده بذلك مجرداً كيد روابط المحبة بينهما وتحريره على الاستمرار في الحرب مع الفرنسيين بل كان قصده ان يأخذ بخاطر الوزير ولسى حتى تطيب نفسه وينسى ما حلقة من الخنق والغيط بسبب ما كان يؤمله من اخذ منصب البابا وكان الامبراطور قد وعد بالاعانة على تحصيله فلما مات البابا لم يوفه الامبراطور بما وعده به بل لم يكن له ذكر في ديوان الكردينالية الذي انعقد

سنة ١٠٢٢ هـ

لهذا الشأن وقد نجح الایمیراطور شرلکان وزاد نجاحه عما كان يؤمله وذلك انه لما نزل بانسکتره تلقاه الملك هنرى بحسب ما يليق بمقام الایمیراطورية لاسيما وكان الایمیراطور قبل ذلك قد اظهر له الاحترام التام في كل فرصة لاحتمل في هذا المعنى فبعد ان اكرمه هنرى كل الاكرام وافقه على جميع مقاصده ووعده بتتبعها معه واما الوزير ولسي فلما كان يعلم ان ادريان لطعمه في السن لا تطول مدة اقامته على كرسي البابا نسي غمه او اخفاء لاسيما وزاد الایمیراطور في المرتبات التي كان جعلها له قبل ذلك ووعده بانه سيعينه على اخذ منصب البابا فصار ولسي من وقتئذ يبذل جهده في خدمة الایمیراطور ليكون اهلا للانعامات التي انعم عليه بها وليحصل على ان يعينه اتم اعانة في نيل هذا المنصب ولما كانت مله الانسکتره تقسم مع ما حكمه اظهروه وخارجه حصل لها غاية المسرة والافشراح من ائتمان الایمیراطور له واعتماده عليه حيث جعل الامير سوري الانكليزي سر عسكر جيوشه البحرية ولم تكن رغبته اقل من رغبة ملكها في انهيار الحرب مع مملكة فرانساً

ولاجل ان يتحقق الایمیراطور شرلکان قبل ارتحاله عن انسکتره من رغبة مله الانكليزية في تنفيذ ما ربه سافر الامير سوري الى فرانساً بالسفن التي كانت متجهزة اذ ذالذ وخرّب نواحي بلاد تورمنديّة ثم نزل ابريطانيا ونهب مدينة مورلکس وحرّقها وكذلك بعض مدن اخرى اصغر منها وبعده هذه الاغارات الصغيرة التي كان اذلالها للفرنساوية اكثر من اضرارها بالتدمير والتخريب لبلادهم رجع هذا الامير الى كاس وَاخذ الجيش الانكليزي الكبير وكان ستمه عنمر الفاضحه الى الجيش الفلمنكي الذي كان يقوده القوتة بوران ودخل بالجيشين في اقليم بيكرديّة وكان الجيش الذي جمعه الملك فرنسيس اقل عددا من مجموع هذين الجيشين الا ان فرنساوية بممارستهم للحروب الطويلة التي حصلت قبل ذلك بينهم وبين الانسکتره عرفوا مكايد الانكليز حتى المعرفة وعلموا الطرقات التي يمكنهم بها

مطلب

دخول الانسکتره في ارض
فرنسا

مدافعتهم عن بلادهم فكانت النكبات قد علمتهم ان لا يحاربوا الانكليز صفا وان لا يعجلوا بقتالهم بل يحاولونهم ويمهلونهم لانه كلما طالت مدة الحرب مع الانكليز عظمت ثمرته لاعدائهم وانقرض جيش الانكليز شيئا فشيئا وعلمتهم ايضا ان يجعلوا محافظين على القلاع التي يمكنهم المقاومة وان يفعأوهم في جميع حركاتهم ويقطعوا عنهم الزاد والذخا ثروا ان يحملوا على طلائع عساكرهم وان لا يعفلوا عن الاغارة عليهم في كل وقت مع جم غفير من الخيالة وقد سلك معهم هذا المنوال الدوق واندوم وكان اذذاك رئيس جيش فرنساوية فخرج غاية النجاح حتى ان القوتنة سوري لم يمكنه ان يتغلب على شيء من المدائن الكبيرة المهمة بل اضطر الى الرجوع بعد ان نقص جيشه نقصا بينا لشدة ما لحقه من المشاق والمكائد وقله الزاد وما هلك منه في عدة مصادمات حصلت بينه وبين فرنساوية وكان الجيش الفرنسي ساوى فيها هو الغالب

وكان ذلك آخر الواقعة الثانية من هذا الحرب الذي كان اعظم الحروب التي حصلت الى ذلك الوقت ببلاد أوروبا نعم قد ضاع من الملك فرنسيس جميع البلاد التي كانت له بايطاليا وكان السبب في ضياعها احقادها للجنرال لوزريك وطلم جنراله للناس وتخلي العساكر الاجنبية التي كان يستأجرها ومع ذلك فنقول ان الدول التي كانت منحزبة عليه لم يمكنها ان تأخذ شيئا من دوله الوراثية بل كانت اثمانا توجه او تهجم نراها حصينة ممتينة مستعدة لمقاومتها حق المقاومة

وبينما كان ملوك النصرانية يضعف بعضهم قوى بعض ويدمرون عساكرهم في الحروب اذ دخل السلطان سليمان الفياخر بلاد الجزائر في جيش جرار وحصار مدينة بلعراة وكانت اعظم المدائن والثغور والحصينة التي تحمي مملكة الجزائر من جيش الدولة العثمانية ومع ذلك سلمت في اسرع وقت وتولى عليها السلطان المذكور فلما نجح في هذا الحرب تقوى قلبه ووجه جيوشه المنصورة الى جزيرة رودس وكان فيها حينئذ طائفة الخيالة

مطلب
فتح السلطان سليمان
لجزيرة رودس

المسماة سنت جان دو جوربراليم اى انصار بيت المقدس وهجم على تلك الجزيرة بسواد عظيم من تلك الجيوش الكبيرة التى لا يعجز عن جمعها ملوك آسيا الذين هم مطلقا والتصرف فى رعاياهم حيث اغار عليها بمائتى الف رجل ومعه دونة تحتوى على اربعمائة سفينة حربية وحاصرت تحت جزيرة رودس ولم يكن فيه من العساكر الا ستة آلاف وثمانية من خيالة وفاق الشواربية وكان رئيسهم الشهير ولييردويل آدم وكان لحزمه ومهارته وعزمه وشجاعته جد يراى انك الرياسة فى مثل هذا الوقت الذى كان كثير الخطوب والاهوال فبجبر ما بلغه ان السلطان سليمان عزم على اخذ جزيرة رودس ليرسل بردها الى ملوك النصرانية بطلب منهم المدد والاعانة على عدو الملة المسيحية وكان جميع هؤلاء الملوك يعلمون ان تلك الجزيرة هى حصنهم ببلاد المشرق وان شجاعة من كان بها من خيالة الشواربية هى اعظم سور يمكن اقامته لحماية بلادهم من جيوش الاسلام ومع ذلك لم يسه فوه بالاعانة واغرب من ذلك ان البابا ادريان حث الفريقين المتشاحنين مع الحمية التى يقتضيها كونه ابا النصرارى كافة ورئيس كنيسهم على ان ينسيما بينهم من العداوة والبغضاء وان يتفقا جميعا حتى يمنعوا جيوش الاسلام من تدمير طائفة بيت المقدس التى هى نخر ابناء النصرانية ولكن كانت البغضة بينهما قد تمكنت فلم يؤثر فيهما وعظ ولا تحرير ولم يلتفتوا الى الاخطار التى كانت بلاد اوربا عرضة لها ولم تأخذ هماراة لتضرع الرئيس ولييردويل آدم ولا لالحاج البابا ادريان عليهم ابل قطعا النظر عن جزيرة رودس وتركها لالسلطان سليمان يفعل بهما ماشاء وبعد ان ابدى الرئيس ولييردويل آدم فى هذه المحاصرة التى مكثت ستة اشهر العجب العجاب واطهر هو وجماعته من الشهامة والعزم والتجلد والحزم ما لا يتصوره الفكر ولا يحصره الذكرو ثبت امام المسلمين فى عدة صادمات وعارضهم اينما توجهوا بهمة عجيبة غلبت كثرة المسلمين شجاعته واضطر الى التسليم لكنه لم يسلم فى المدينة الاعلى وجهه اوجب له الشرف والفخار حيث لم يتركها الا بعد ان صارت اطلالا ليس فيها ما يستد الرمح

حتى ان السلطان تعجب من شجاعته كل العجب فلذلك احترمه غاية الاحترام واجابه فيما طلبه من الشروط واما الایمپراطور شرلکان والملک فرنسیس فلما لحقهم من المعرة والخزى حيث كانوا سببا في حصول تلك الخسارة لابناء النصرانية اخذ كل منهما يبرى نفسه ويوجه اللوم على صاحبه ولكن الافرنج ينسبون ذلك لهم ما معالان منشاءه هو الحرب الذى كان واقعا بينهما لمجرد اطعامهما واغراضهما النفسانية وفي نظير ذلك انهم الایمپراطور شرلکان على امرآ تلك الطائفة بجزيرة مالطة وصارت من ذلك الوقت دار اقامتهم وهم الى الآن باقون فيها على شجاعتهم القديمة وبغضتهم للمسلمين وان كانوا قد انخطوا عن العهد القديم بهجة وشوكة

انتهت المقالة الثانية

المقالة الثامنة من اتحاد ملوك الزمان بتاريخ الایمپراطور شرلکان

ثم ان الایمپراطور شرلکان بعد ان شفي غليله وحظى بمسرامه من ايقاع الحرب بين مملكتي فرنسا و انكلترة ودع الملک هنرى وسافر من انكلترة حتى وصل الى اسبانيا في ١٧ من شهر حزيران وكانت نيران الفتنة قد احدثت تسكن واخذ الاهالى يستظلون بظلال الامن والاطمئنان وشرعت المملكة في اصلاح ما حصل فيها من التلف والفساد بسبب الحرب الداخلى الذى اضر بها وافسد حالها مدة غيبة الایمپراطور عنها وقد اخبرنا الى هذا ذكر منشأ هذا الحرب وسبب اتساع دائرته لانه لا رابطة بينه وبين الحوادث الاخرى التى كانت وقتئذ حاصلة في بلاد أوروبا فنقول

ان الاهالى عجزوا ما بلغهم ان مشورة القورطس المنعقدة في مدينة غاليسه قد سمعت للایمپراطور بمبلغ من الدراهم على سبيل التسرع مع انه لم يجهم في شئ من الامور التى تشكو اليه منها غضبوا وغضبوا شديدا وقرت نفوسهم كافة وكان اهل مدينة طليطلة بموجب ما كانوا يتمتعون به من المزايا العظيمة والخصوصيات الجسمية يرون في انفسهم انهم حفضة على حرية الجمعيات البلدية في مملكة قسطنطية فلما اعطت مشورة القورطس للایمپراطور المبلغ

مطلب
الحروب المدنية التى
وقعت في مملكة قسطنطية

مطلب
قيام اهل طليطلة

سنة ٨٥٢٢

الائمة قدم ولم تعبا بمخالفة رسل تلك المدينة اشتد حنق الطليطلين واطهروا
العصيان لاسيما و كان اعطاء هذا المبلغ للایمبراطور عما يخالف القوانین
والاصول المبنية عليها احكام المملكة وتغلبوا على الابواب المحصنة من المدينة
وهجموا على القلعة مع عزم متين وجهدهم في فاضطر حكمدارها الى التسليم
فلما شحوا في هذا المشروع قويت قلوبهم واجفوا بكل من توهموا فيه انه
من احباب الدولة واحزابها وجردوهم عن وظائفهم ومناصبهم ورتبوا
فيما بينهم نوا من الحكومة الالهية وجعلوا اربابها وكلاء انتخبوهم من
خواريات المدينة وجعلوا ما يلزم من العساكر للمدافعة عن انفسهم من اهل
الدولة وبطش الملك وكان اعظم رؤساء الاهالي في هذه الفتنة هو الامير حنا
دوباديلة بكر حاكم قسطنطينة وكان شابا ذا انفة وشجاعة عجيبة وكان له
من الطمع والمعارف ما يعلو به المرء في مثل تلك الحروب المدنية اقارنه ويرتقي به
في درجات الصولة والشوكة اعلى مكانة

مطلب

قيام اهل مدينة سيفورية

وكذلك اهل مدينة سيفورية كان لغضبهم وغيظهم عواقب شديعة وكان
تورديز بلاس احد رسلهم بشورة القورطس في تلك المرة الاخيرة قد وافق
من انخطروا بهم من ارباب تلك المشورة على اعطاء المبلغ المتقدم للایمبراطور
وكان رجلا جسورا لا يخشى بأس احد فلما رجع من المشورة جمع اهل المدينة
في الكنيسة الكبرى على حسب عادتهم وقص عليهم ما فعله في المشورة فبمجرد
سماعهم انه اقترار اربابها على تسيرهم للایمبراطور بالمبلغ السابق غضبوا كل
الغضب لاسيما حين تجاسر على نصوب هذا الفعل الذي كانوا يرونه من باب
الخطاء الذي لا عذر لم تركبه وبلغ منهم الغضب أن عدوا الى ابواب الكنيسة
فكسروها وقبضوا عليه وصاروا يسحبونه على الارض في ارقعة المدينة
ويلعنونه ويسبونونه حتى وصلوا به على تلك الحالة الشنيعة الى الميدان الذي
يقتل فيه كل من استحق القتل فخرج رئيس الكنيسة وجمع اهلان في احتفال
وبايدهم القربان المقدس فاصدين تسكين غضب الاهالي فرادوهم الاغيا
وحققوا كانوا كلما مروا به على دير يخرج رهبانه ويتضرعون للالهالي

سنة ١٥٢٢

ويلتمسون منهم العفو عنه او تركه حتى يعترف بذنوبه وخطاياهم وينال
الفقران لكن لم يجد ذلك شيأ بل صاحوا حينئذ قائلين لا يرى من خان وطنه
سوى يد الجلاذثم محبوبه على الارض مع غاية القسوة حتى زهقت روحه وهو
بين ايديهم فاخذوا جثته وعلقوها في المشنقة العامة وجعلوا رأسه الى
اسفل

وقد غضب كذلك اهالي مدينتي بوغوس و زاموره وعدة مدائن اخرى
وارادوا ان ينتقموا من رسلهم الذين كانوا في مشورة القورطس غيران هؤلاء
ارسل المبلغهم ما صنع بسبي الحظ توردين يلاس هربوا الوقتهم فخرق الاهالي
الثماثيل المصنوعة على صورهم وهدموا بيوتهم من اساسها والقوا في النار
جميع امتعتهم واثانهم وكان ذلك عاقبة غضب الاهالي على هؤلاء الناس الذين
اتهمهم بانهم خانوا الحرية العامة ولم تطمع نفس احدهم من الاهالي ان يأخذ
شيأ من امتعتهم مع انها كانت محتوية على كثير من الاشياء النفيسة

وكان ادريان اذذاك نائباً عن الملك في بلاد اسبانيا وكان قد جعل
دار اقامته مدينة الادوليدة فلما بلغه وقوع هذه الفتن امر فوراً بجمع
ارباب مشورته ليمتدأ كروافياً ليكون به تسكين تلك الفتن ونشر لواء الأمن
والاطمئنان بين الناس فوق الخلف بين ارباب هذه المشورة فقال بعضهم
يلزم استعمال القوة والقسوة لاجل اطفاء نيران تلك الفتن قبل ان يتسع الخرق
على الراقع وقال آخرون يجب سلوك سبيل الرفق ولين الجانب لان غضب
الاهالي في محله من بعض الوجوه وابدوا انه لا يليق معاملتهم بمحض القوة
والقهر لان ذلك يجزأ الى خطر عظيم فانه ربما ازداد عصيانهم وكبر طغيانهم
وكان رئيس المشورة مطران غرناطة فاستحسن الرأي الاول وكان رجلاً
مشهوراً اذا كلم نافذة الا انه كان فيه حدة وحجة وصدق عليه الوزير ادريان
افطر حرصه على تأييد صولة سيده الامبراطور شركان وابقاء دولته
ولو عمل على مقتضى طبعه من شدة الخوف والرغبة والاحتراس لما وقع
منه ذلك وصر منه امر الى قاض من قضاة الملك يقال له رونكيلو ان

مطلبه

الوسائط التي استعملها
ادريان في معاقبته

في ٥ من شهر حزيران
سنة ١٥٢٠

سنة ١٥٢٢

يسافر حالاً الى مدينة سيغوية التي بدأت بنشر العصيان والقيام ليحكم على المذنبين بما تقتضيه القوانين ووجه خلقه طائفة كبيرة من العساكر وكان اهل هذه المدينة يعرفون طبع هذا القاضي حق المعرفة فادركوا انه سلك في معاملتهم مسلك الشدة والقسوة فاخذوا اهبتهم وحملوا اسلحتهم وغلقوا ابواب المدينة في وجهه فغضب من ذلك وحكم بانهم عاصون واهدر دماءهم وتغلب مع عساكره على طرق المدينة ومنافذها طئنا منه انهم سيضطرون الى التسليم في اقرب وقت لفقده الزاد من عندهم وعدم الجالب لكنهم مع ذلك دافعوا عن انفسهم حق المدافعة حتى اتاهم الامير بادبلة من مدينة طليطلة بطائفة كبيرة من العساكر قصدت القاضي المذكور وجات عليه حلة منكبة فاجلأته الى القرار واخذت جميع ما كان معه من المهمات والذخائر الحربية

مطلبه

طرده عساكره في مدينة سيغوية

مطلبه

طرده عساكره في مدينة مدينة دل كمبو

وبعد هذه المزيمة صدر امر من اديان الى انتواندوفونسيكة وكان الاميراطور شر لكان قد ولاه سر عسكر الجيوش الاسبانية ليقام بجمع جيشا عظيميا لحاصر مدينة سيغوية محاصرة مستكملة الاركان والشروط وكان الوزير اركيميئيس قد جعل في مدينة مدينة دل كمبو مخزنا كبيرا وملاءة بانواع المهمات الحربية فاراد السر عسكر فونسيكة ان يأخذ منه ما يلزم له في تلك المحاصرة فلم يسلم له اها الى مدينة مدينة دل كمبو في ذلك ولم يستطيعوا ان يأخذوا شيئا لئلا يبناء وطئهم حيث ان هذه الاسلحة معدة لتدمير اعداء مملكتهم من الاجانب ولما كان فونسيكة لا يمكنه ان ينفذوا امر اديان بدون هذه المهمات عزم على التغلب على مخزنها بمحض القوة والقهر فاستعد سكانها للمدافعة وهجم على المدينة بكل ما في وسعه فلاقاه السكان بقلب لا يفزع وجنان لا يجزع وثبتوا امام عساكره فلما يبس فونسيكة من الظفر بهم ورأى انه لا يمكنه التغلب على المدينة امر بوضع النار في بعض بيوت منها حتى يترك السكان الاسوار ويستغلوا بانقاذ عائلاتهم وامتهتهم من الحريق فيسهل عليه اخذ المدينة لكن خابت آماله فانهم

في ٢١ من شهر راب

لم يلتفتوا الى النار بل ازداد غضبهم منه ولم يرالوا بقا تلونه حتى هزموه وطرده
بالكلية هذا وكانت النار لم تزل تنقل من زقاق الى آخر وتنتفع في المدينة حتى
كادت تجعلها رمادا وكانت هذه المدينة اذ ذل الزمن اعظم مدائن اسبانيا
واكبر مخازن المحصولات الخارجة من فبريات مدينة سيغونية وغيرها من
المدائن الكبيرة وكانت مخازنها اقشند مشحونة بالبضائع المعدة للبيع في سوقها
لان زمنه قد قرب فاحتقت جميع هذه البضائع وكانت خسارة المملكة بذلك
عظيمة وكان اهالي المملكة قسطينة منذ زمن طويل قد نسوا احوال
الحروب المدنية فاشتد غضبهم حتى كنت تخال ان بهم جنة وصار فونسيمة
مبغوضا عند الناس كافة ومموءة محرق وطنه وعدوه والى ذال الوقت كان سكان
مدينة والادولدة منقادين للامبراطور فلم يخسروا عن طاعته وكان
ينعمهم من ذلك حضور اديان بين اظهروهم لكن لما رأوا ما فعله فونسيمة
بمدينة مدينة داكمبو اظهروا انهم لا يستطيعون السكوت على ذلك وابناء
وطنهم في اكبر المصائب فبادروا الى اسلحتهم لما قام بهم كغيرهم من الحمية
الغضبية وحرقوا بيت فونسيمة واتخبوا قضاة غير القضاة الذين كانوا
موجودين اذ ذل وجعوا عساكروا جعلوا عليهم ضباطا ومكثوا يحافظون
اسوار مدينة حتى كان العدو واقف على ابوابها

ومسالمون ان الكريدينال اديان كان من اهل الفضائل والعفة خالسا عن
الاعراض ولو كانت المملكة حينئذ خالية عن الفتن والتعصبات لامكنه
ان يحكمها بطريفة مستحسنة فوجب له المدح والثناء لانه لم يكن مستكملا
للسجاعة والمهارة التي كانت تستدعيها مقتضيات الاحوال اذ ذل فلما علم انه
لا يمكنه اطفاء نيران الفتن بطريق القوة والقهر اخذ يسلك مع الاهالي مسلك
اللين والرفق ليستعطفهم ويسمك غيظهم ويثبت عندهم ان السر عسكر
فونسيمة قد جاوز الحد فيما امر به وانه يعني نفسه قد لحقه غم شديد من التعال
القيحة التي ارتكبها هذا السر عسكر ولكن لما كان هذا الاستعفاف ناشعا عن
عجزه وعدم اقتداره لم يزد العاصين الا طغيا وابتغيا فامر بعد ذلك بتقليل

مطلب

تسريح الكريدينال
ادريان للعساكر

سنة ١٥٢٢

السر عسكر فونسيكة ان يرجع من الجهة التي كان فيها وسرح العساكر
لانه كان لا يمكنه ان يدفع لهم ما هيأهم لما ان خزانة المملكة
كانت قد نفدت باختلاس الوزراء الفلنكيين وكانت المدائن الكبيرة لم تنزل
متعصبة عليه فعلم انها لا تساعد اذ في مساعدة ولا تعطيه شيئا من الاموال
يستعين به وترك الاهالي يفعلون ما يبداهم حتى لم يبق له عندهم من الشوكه
والصوله سوى خيالها

مطلبه

مقاصد الجمعيات البلدية
في مملكة قسطنطينة ودعواها

ولم يكن خروج تلك الجمعيات البلدية من قبيل الغضب الوقفي الذي يطار على
امة مثلاً حتى اذا خدت ناره رجع الى طاعة حكامها بل كان سبباً على ما رآه
جسيمة ومقاصد مهمة عظيمة وهي ابطال عدة مظالم كانت موجودة
بالمملكة اذ ذلك واقامة دعائم الحسرية العمومية على اساس متين بحيث
لا يعتريه فيما بعد ترتل ولا اضطراب ولا شك ان هذه المقاصد حربية بما بذله
الاهالي في شأنهم من الجذوالاجتهاد ومنشأ ذلك هو ان الحكومة الانتزامية
في بلاد اسبانيا كانت حينئذ تلامي الحسرية اكثرهما في غيرها من ممالك
اوروبا وكان السبب الاصل في ذلك هو كثرة المدائن المزرة بتلك المملكة
كانها عليه في اسبق وهو الذي اعان اكثر من غيره على تلطيف الحكومة
الانتزامية في هذه المملكة واضعف شدة قوانينها وسهل صعوبة احكامها
وجعل تلك الحكومة في بلاد اسبانيا اعدل والطف مما كان في غيرها
من الممالك الافرنجية فكان سكان كل مدينة وجاها واحداً كبيراً له مزاياجة
وخصوصيات مهمة وكانوا معافين من الرق والتبعية وكان لهم مدخل عظيم
في التشريع ووضع القوانين وكانوا يملكون من الفنون والصنائع التي بدونها
لا يستقيم حال اي مدينة كانت وكانوا على غاية من الغنى والثروة اعظم
تجارهم واتساع دائرتهم وبالجملة فكانوا احراراً مستقلين بانفسهم ليسوا
اتباعاً لغيرهم ولذلك كانوا حذرة على الاستقلال وانصارا للحرية العمومية
لا سيما وكانت حكومتهم لداخية مبنية على شعائر الحكومة الديموقراطية
والحكومة الجمهورية فكانت الحسرية عزة عندهم بحيث لا تسوغ لهم

سنة ١٥٢٢

انفسهم ان يقرطوا فيها حتى تغريط ولا ريب ان الحكومة اذا كانت بهذه المثابة تكون الحرية عزيزة عند اهلها ولو كان حاكمها مطلقا انتصرف ولذا كانت عادة وكلاء الاهالى ببلاد اسبانيا انهم متى حضر وامشورة انقورطس التي هي مشورة العموم يناقضون الملك فيما لم يستحسنوه من مشروعاته ومقاصده ويعارضون الاشرف والاعيان حتى لا يلحق الاهالى ضرر من ظلمهم وجورهم وكانوا دائما ينجحون الى ما فيه توسيع دائرة مزاياء الاهالى وخصوصياتهم وينذلون جهدهم في محو المضار التي كانت باقية من شعائر الحكومة الارستوقراطية الى الالتزامية ولم يكن قوا بانهم كانوا من اعظم الطوائف في الدولة بل كانوا يطلبون ان يكونوا اقواها شوكة

وكان يظهر لهم اذئذ ان مقتضيات الاحوال تعيينهم اتم الاعانة على تنجيز مشروعاتهم التي كانوا عازمين عليها لان ملكهم وهو الايمراطور شرابكان كان حينئذ بعيد عنهم وكان قد نزع حبه واعتباره من قلوب رعاياه لقبج سالوك وزراته فلما سئمت نفوس الاهالى من عدة مظالم حلت بهم من طرف الحكام شهررو السلاح واخذوا في العصيان وان كانوا لم يدبروا امره من قبل وكان غضبهم شديدا بحيث كان يمكن ان ينفذ بهم الى مجاوزة كل حد وغاية لاسيما وكانت الخزينة الملكية قد نفذت اموالها وكانت المملكة خالية من العساكر والجيوش وكانت الحكومة بيد رجل اجنبي ليس عنده من المعارف ما يكفي في القيام باعباء المملكة وان كان صاحب فضائل وخصال حميدة واول شيء فعله الامير باديله وبقيمة رؤساء العصبة الذين كانوا يلتهفون كل الالتفات الى ما تقتضيه الاحوال اذئذ حتى لا يضيعوا ما يلوح لهم من القربى هو انهم جددوا بين العصاة نوع معاهدة به امكنهم ان يتموا امورهم بدون اختلال واختلاف وان يكون مطمع نظرهم واحدا وحيث ان الاسباب التي حملت المدائن على الخروج والعصيان كانت واحدة بل وكانت تلك المدائن ترى نفسها انها واجباق ممتازة عن بقية الرعايا امكن للامير باديله وغيره من بقية رؤساء العصبة ان يبلغ سرامه بدون مشقة وتعين لهذا الشأن مشورة عامة في مدينة آويلة وحضرها

مطلب
معاهدة الجمعيات البلدية
المشورة بالمعاهدة
او العصبة المقدسة

رسل المدائن التي كان لها الحق في ارسال وكلاء بمشورة القورطس
وتحالفوا جميعا على ان يحيموا او يموتوا على خدمة ملكهم وحماية من اياهم
وخصوصيات طائفتهم ونسبهم وقتئذ باسم المعاهدة المقدسة واخذوا
يتذاكرون في شأن مصالح الاهالي وما ينبغي ابطاله من المظالم التي كانت
موجودة اذ ذل بمملكتهم فكان اول شيء افتتحوا به هذا كراتهم هو عدم اقرار
الاجنبي على نيابة مملكتهم فالتين ان ذلك مخالف لاصول المملكة وانحط الرأي
على ان يبعثوا الى الوزير اديان وكان هو النائب وقتئذ رسلا من طرفهم
يامرونه بالنزول عن الكرسي الملوكي لان لا يتشبه من الان فصاعدا بشيء
من امور الدولة لانهم لا يقرونه على ذلك ولا حق له بدون اقرارهم
وبينما كانوا يأخذون اهبتهم لتنجيز هذه الهزيمة الجسيمة اذ حصل ان الامير بادبلة
بت امر مشروع جسيم هو من اعظم المشروعات فائدة في اعانتهم على تسليم
ما ربههم وذلك ان هذا الامير بعد ان اتقذ مدينة سيغوية توجه الى
مدينة تورديز يلاس وكانت بها المملكة حانة منذ مات زوجها
فيليش وكانت دأتما بين احران واشجان وتفتح اجفان فبذل هذا الامير
جهده واعانه السكان حتى دخل تلك المدينة وقبض على المملكة حانه وكان
الوزير اديان قد اهمل في حفظها حتى تكون آمنة من مثل هذا الامر
فبجبر دخول الامير المذكور هذه المدينة ذهب لزيارة الملكة فلما تمثل بين يديها
مع الاحترام والادب التام الذي كانت توجبه على بعض افراد كانت تأذن لهم
بالدخول عندها قص عليها تفصيلا الحالة المحزنة التي حلت برعاياها
القسطليليين تحت حكم ولدها شرلكان لانه لصغر سنه وقلة تجاربه
واختباره للامور جعل عليهم وزراء من الاجانب شددوا عليهم كل التشديد
واساءوهم كل الاساءة حتى ستمت نفوسهم وضائق عليهم الارض بما رجت
فاظهروا العصيان ونهروا السلاح ليدافعوا عن حرية بلادهم فلما سمعت
الملكة ذلك انتعشت كأنها افاقت من عتها وتحسرت على سوء حال
رعاياها واخبرته بانها الى الان لم يبلغها موت ابها فرديند ولا ما حل

مطلب
قبضهم على الملكة حانة ام
الامبراطور شرلكان
٢٩ من شهر آب

برعاياها من الضنك فاذن لالوم عليها ولكنهما من الان فصاعدتا تم باصلاح
تلك المفاسد ومحقق تلك المظالم والمكاييد وكان آخر كلامهم معه أن قالت
حافظ ايها الامير على فعل ما فيه المصلحة العامة للرعايا وكان باديله يصدق
عاجلا بما يلايم بغيته ويوافق منيته فاعتمده عاد اليها عقلها لالمحالة واخبر
بذلك رسل العمال اى وكلاء المملكة ودعاهم الى المجيء الى المدينة
تورديز يلاسن ليعقدوا مشورتهم بها فبمجرد ما وقف الوكلاء على هذا الخبر
ذهبوا الى تلك المدينة وتحولات الدعاوى اليها وتلقت الملكة على وجه حسن
تتبرر اعرضته عليها العصبة المقدسة يتضمن تضرع تلك العصبة اليها ان تأخذ
بعنان المملكة فرضيت حانة بذلك وكانت علامة رضاهما انها اذنت لوكلاء
المملكة أن يقبلوا يد هابل وحضرت ايضا ملعب التورنواس الذى نصب
لهذا الشأن وظهر عليها كل السرور من رؤية هذا الملعب لاسيما وكافوا لاجل
شرح صدرها قد اظهروا فيه فنونا عجيبة وفروعا مرغوبة لكنها بعد
ذلك بتقليل عادت الى عتمها واختلال عقلها ولم يمكن بوجه من الوجوه
ان يستيلمها احد الى وضع امضائها على شئ من مصالح الدولة

مطلب
ادارة المملكة باسمها

فاخذت حينئذ العصبة المقدسة تخفى هذا الخبر واستترت على ادارة المملكة
باسم المملكة حانة لان اهل قسطنطينة كانوا يحبونها احبا جالما كان لهم
من المحبة الصادقة في اممها المملكة ايرانية فبمجرد ما بلغ الاهالى ان الملكة
حانة رضيت باخذ عنان المملكة ظهرت عليهم علامات الانشراح والفرح
وزال عنهم بذلك كل هم وترح ولما اعتقدوا انها افاقت حقيقة من عتمها
وخبالها زعموا ان الله سبحانه وتعالى لم يقض بذلك الا لكونه اراد انقاذ المملكة
من ظلم الاجانب ولما رأت هذه العصبة انه قد صار لها شهرة عظيمة وصوله
جسمية باظهارها انها تحكم الدولة باسم الملكة حانة طلبت من ادريان ان
يتخلى عن نيابة المملكة ولا يتشبت بشئ من امور الدولة وارسلت كذلك باديله
الى المدينة والادوليدة ومعه سرية عظيمة من العساكر وامرته ان يقبض
على كل من كان باقيا في هذه المدينة من ارباب المشورة الملوكية ويحضره معه الى

سنة ١٥٢٢

مدينة تورديزيبلاس ويأتى معه ايضا باختم المملكة ودفاترها ودفاتر الخزينة
حين وصول باديلة الى مدينة والادوليدة رحب به اهلها وتلقوه كأنه
منجى الوطن وحاميه وفعل باديلة كما امره لانه اذن للوزير ادريان
بالاقامة في مدينة والادوليدة كأحد الناس

مطلب
تأسف الإمبراطور ونعمه

وكان الإمبراطور حينئذ يلاذ القلعة وكانت تأتية الاخبار بكل ما يحصل
في بلاد اسبانيا وعرف حقيقة الخطاء الذى ارتكبه وزرأوه بكونهم مكثوا
زمنًا طويلا وهم يحتمسون تشكى اهل قسطنطية ولا يقبلون منهم صرفا
ولاعدا لكان في حيرة كبيرة وغم عظيم حيث كان يرى ان تلك المملكة التى هى
اعظم ممالكه واصل شوكتها وصولته كادت تخرج عن طاعته وتقع
في المصائب العظيمة والاهوال الجسيمة التى تنشأ عن الحروب الداخلية والفتن
المدنية وكان من الممكن ان حضوره يسكن تلك الفتن ويمنع تلك المصائب الا انه
كان لا يمكنه حينئذ ان يرجع الى اسبانيا خوفا من ان يضيع منه التاج
الإمبراطورى لانه اذا غاب يسهل على خصمه فرنسيس الاول ان يتم
مقاصده ويفوز باغراضه فرأى انه لا يمكنه ادخال اهل قسطنطية تحت
الطاعة الا باحدا من امان يستميلهم بالعطايا ويسلك معهم سلك الرفق
واللين اوى أخذهم بالتهرو ومحس القوة لكنه لم يصمم على واحد منهما بعينه بل
صار يتردد بينهما حتى ظهر له ان الاوفق ان يتبع الامر الاول ليعلم ما يترتب عليه
وان يتأهب في اثناء ذلك ويستعد للامر الثانى اذا لم ينجح الاول فكتب لساير
مدن قسطنطية عبارات عذبة رقيقة يعدهم فيها بعطايا جزيلة ومن ايا جليلية
اذا هم القوا السلاح واقلعوا عن العصيان ووعدهم انه لا يطلب من المدائن
التي لم تعص المغرم الذى انخط عليه الرأى في مشورة العموم المنعقدة اخيرا
وكذلك جميع المدائن التى ترجع الى الطاعة وتترك التشبث بالعصيان والقيام
والترتم منه من الان فصاعدا لئولى اجنبيا على مملكة قسطنطية ولا يعطى
مناصبها الا لاهلها وكتب ايضا الى المترجمين والاشراف يحثونهم على الحد
والاجتهاد في المدافعة عن حقوقهم وحقوق الملك من تعدى الجمعيات البلدية

مطلب
مادبره في شأن العاصين

سنة ١٥٢٢

ودعواها واقام مع الوزير اديان اثنين آخرين في نيابة المملكة وهما
الاميرال الاكبر (قبودان باشا) فدرين هنريكيه والامير انيغودويلا سكو
سر عسكر قسطنطينة وكل من هذين الاميرين كان له معارف غزيرة ووصولة
كبيرة وعين لهم اصولا يعملون عليها ورخص لهم ان يسلكوا سبيل القهر
والغلبة في تأييد الشوكه الملوكية ان ازداد العاصون بغيا وعتوا ولم ينفع معهم
الاخذ بالرفق واللين والمعاملة بالتي هي احسن

ولاشك ان المزاي والاقطاعات التي سمحت نفسه حينئذ باعطائها كانت تكفي
في ارضاء خواطر الاهالي لو فعل ذلك حين سافر من اسبانيا ولكنه فعله
في غير وقته فلم ينشأ عنه ثمره وذلك ان جميع الاهالي اقروا العصبة المقدسة وكانوا
ظهير لها وكانت قد قويت همة تلك العصبة وازداد عزمها بما حصل لها من
النجاح في مشروعاتها الاسيما وكانت لا ترى للدولة عسكروجنودا قادرين على
رفعها ومنعها عن تنجيز مقاصدها فارادت حينئذ ان ترفع مظالم الدولة وتمنع
الاجحاف بحق الاهالي فكانت مدة وهي تحررت تقريرها مستلما على تلك المظالم
التي تريد رفعها وعلى جميع الاصول والقوانين التي رأت ان ترتيبها لازم في اثبات
مزاياء الجمعيات البلدية ونقض حقوقها وكان هذا التقرير بمؤلف من عدة بنود
تخص ارباب الدولة ودواوين الادارة والتدبير فهو يفيدنا مقاصد العصبة
المقدسة افادة اصح واكد من معانية المؤرخين الاسبانىولين المتأخرين
لانهم كانوا في عصر جرت العادة فيه ان المؤلف اذا اراد تدوين تاريخ امته او قبيلة
عاصية يطرى فيما حصل منها ويصف افعالها واطوارها بكل كريمة ويمالغ
في الاسباب التي حملتها على الخروج والعصيان فهو لا يذكر شيئا على
حقيقته * وصوره هذا التقرير برأيه صدر بمقدمة طويلة مشتملة على المصائب
الكبيرة والاهوال الكثيرة التي كان يكابدوها الاهالي وعلى اختلال حكومة اهل
الدولة وفسادها وقيح ادارتهم الذي هو السبب في جميع تلك المصائب ثم بين
ان الاهالي قد تحملوا ما لا طاقة لهم عليه حتى عيل صبرهم وروا ان مصلحة
انفسهم ومصلحة وطنهم توجب عليهم ان يجتهدوا كلهم وفيه فقا جميعا على تدبير

مطلب
تقرير العصبة المقدسة
المشتمل على شكواهم
والمظالم التي يريدون
رفعها عنهم

سنة ٥٢٢ هـ

امر موافق مستحسن بحق اتباعه فيعلمونه ويأمنون به على انفسهم وعلى بقاء
القوانين المبنية عليها ملكتهم وصونهم عن الخلل والفساد فكتبوا ان الملك يجب
عليه ان يرجع الى مملكة اسبانيا ويجعلها دارا قامتة كسلفه من الملوك
الذين حكموا على تلك المملكة ولا يجوز له ان يتزوج الابراء مشورة وكلاء
المملكة وانه ان اضطرر بموجب مقتضيات الاحوال الى الغيبة عن المملكة
لا يجعل نيابته في يد احد من الاجانب الذين ليسوا من اهلها وان تقايد
الكردينال اديان بهذا المنصب لم يقره الاهالي بل عزلوه منه وانه يجب
على الملك عند رجوعه الى اسبانيا ان لا يصحب معه احدا من الاجانب
سواء كان فلنسيكا او غير فلنسيكي وان لا يدخل ابدعا كرم الغرباء في المملكة
باى وجه كان ولا باى علة كانت وان غير اهل اسبانيا لا يجوز ان يعطى
لهم منصب او وظيفة في الدولة او في الكنيسة وانه لا يجوز اندراج احد من
الغرباء في جريدة السكان المتاصلين بحيث يعد منهم وتعطى له الوثيقة اللازمة
لذلك ولا يجوز من الآر فصاعدا ان تكون سكنى العساكر مجانا وان لا يسكن
بيت الملك بالعساكر الا لمدة ستة ايام بشرط ان يكون ذلك وقت سفر الديوان
الملوكى وجميع الفرد والغرامات ترجع الى ما كانت عليه حين موت المملكة
ايرابيله ويجب أن ترد سائر الاشياء التي خرجت من ايراد الملك ومن الخفالك
والاراضى الملوكية بعد موت هذه المملكة سواء كان خروج هذه الاشياء
وانتقالها ببيع او تبرع وغير ذلك ويجب ابطال سائر المناصب والوظائف
التي حدثت بعد وفاتها وان لا يؤخذ من اقليم جليقية المسبى غائصة
الاعانات التي رضيت بها مشورة وكلاء المملكة وان كل مدينة من الآر
فصاعدا تبعث في كل مشورة عموم تنعقد وكيلا ينوب عن طائفة القسوس
ووكيلا ينوب عن طائفة الاشراف ووكيلا ينوب عن طائفة الاهالي وكل
من هؤلاء الوكلاء الثلاثة تنتخبه طائفته ولا مدخل للديوان مباشرة
او بواسطة في انتخاب هؤلاء الوكلاء ولا يجوز لاحد من ارباب مشورة العموم
ان يقبل وطيفة او مرتبا يعطى له او لاحد من اقاربه من طرف الملك ومن خالف

ذلك عوقب بالقتل وضبطت جميع امواله لجانب الديوان ولكن يجب على كل
مدينة او جمعية بلدية ان تدفع لو كيلها ما يليق بمصاريفه مدة اقامته بمشورة
العموم ويلزم ان مشورة العموم تجتمع في كل ثلاث سنوات مرة فاكثر سواء
دعاه الملك او لم يدعها واذا انعقدت تلك المشورة ثم تذاكرت في شأن المصالح
العامه ابتدأت في النظر هل عمل فيها بمقتضى هذا التقرير ام لا ويلزم
الرجوع في كل مكافاة اعطيت او استعطى لارباب مشورة وكلاء اقليم جليقية
ولا يجوز ان يخرج من مملكة اسبانيا ذهب ولا فضة ولا حلي ومن اخرج
شيأ من ذلك كان عقابه القتل ويعين للقضاة شئ معلوم حتى لا يأخذوا شيأ من
المغارم التي تضرب على المذنبين ولا من اموال اصحاب الجنائات الكبيرة التي
تضبط اموالهم وتضم لجانب الديوان وكل ما وقع التبرع به من الاموال من
المتهمين فهو باطل ما لم يكن تبرعهم به قبل الحكم عليهم وكل مزينة نبئت
للاشراف في اى زمن كان يجب الرجوع فيها متى كانت تضرب بالجمعيات
بلدية ولا يجوز من الا ان فصاعدا ان تعطى حكومة المدن للاشراف ويجب
ان يضرب على اراضيهم جميع ما يضرب على اراضي الجمعيات البلدية من
العوايد والجرائم العمومية ويجب ايضا البحث عن كيفية سلوك كل من انيط
بادارة الاراضي والاملاك الملوكية الوراثة من وقت استيلاء الملك فردينند
على الكرسي وان لم يعين الملك في ظرف ثلاثين يوما لهذا الشأن اما سا يصلحون
كان مشورة لعموم الحق في تعيين من يصلح ولا يجوز اذاعة الغفران ولا الوعظه
في المملكة الا بعد ان تبحث مشورة العموم عن الاسباب المبني عليها هذا الامر
وتجرى ما تستحسنه جميع النقود التي تحصل من بيع الغفران تصرف
في المحاربة مع المسلمين اعداء دين النصرانية وكل قسيس لا يمكث في ابرشيته ستة
اشهر من كل سنة يحرم من ايراده المدة التي غابها والقضاة قسيسون واتباعهم
لا يطلبون الا قدر المبلغ الذي يدفع في دواوين الالايك وحيث ان مطران
طليطلة الا ان اجنبي وجب عزله واعطاء منصبه لواحد من اهل قسطنطية
ويجب على الملك ان يقر جميع ما تفعله العصبة المقدسة وبعده نصحاله وللادة

سنة ١٥٢٢

باسرها وان يعفو عما ارتكبه المدائن لفرط غيرتها على حقوقها لان له اصلا
صحيحا وان يحلف انه يفعل بموجب هذه البنود ولا يتعداها ولا يحاول ابدا
ابطالها ولا يتساهل وانه لا يتضرع ابدا الى البابا او الى قسيس آخر يأذن له
في الخنس في هذا المين ليخلص من وزره بحيث لا يكون مطالبه

فهذه هي البنود الاصلية التي احتوى عليها هذا التقرير الذي قدمته العصبة
المقدسة للملكها شرلكان وحيث ان القوانين والرسوم الالتزامية كانت
في الاصل متحدة في سائر الممالك الافرنجية كانت الحكومات المبنية على اصول
المذهب الالتزامي تميل الى ما رب واحدة تقر بيا فالقوانين التي كان اهل
قسطنطينية حينئذ يسعون في انشائها بمملكتهم كانت تخالف قليلا القوانين
التي اختمت بانسائها الملل الاخرى عند منازعاتها ومجادلاتها مع ملوكها
في شان الحرية فالنظام التي تشككت منها الجمعيات البلدية في بلاد انكلترا
حين تنازعت مع امرآ عيلة ستوارالملوكية والقوانين التي رتبها تلك الجمعيات
لابطال هذه النظام هي اقرب شبها بالاصول والقوانين التي كانت العصبة
المقدسة حينئذ تدقق في طلب انشائها بمملكة اسبانيا الان اهل اسبانيا
كانوا من ذلك الوقت يعرفون للعربية والاستقلال قيمة غالية واهمية عالية
وكان لهم في السياسة مجال عظيم ودائرة واسعة لم يصل اليها الانكليز الا بعدهم
بقرون كامل

ومع ذلك فالظواهر ان النسخ لما اشتهر بين اهل قسطنطينية واشرب في قلوبهم
حبه ولم يمكن للدولة ان تمنعهم عن اتباعه تجاوز الحدود حتى جعل العصبة
المقدسة على ان تطلب انشاء امور جديدة عادت عليها بالضرر والسوء حيث
نفرت منها فلوب الطوائف الاخرى وسبب ذلك هو ان الجمعيات البلدية
مادامت لا تطلب الا بطلان النظام الناشئة عن عدم اختبار الملك وقلة
تجاربه لصغر سنه او عن طمع الوزراء الاجبيين وعدم حسن ادارتهم كان
الاشراف لا يتصدون لها ولا يعارضونها بل كانوا يساعدها في مشروعاتها
ومن لم يكن يساعدها منهم كان يعففى عما تفعله ولكن بمجرد ما اخذت تلك

مطلب

تولع تلك العصبة بالحرية
وغيرتها عليها

مطلب

سبب تضرط ثقة
الاشراف

الجميعيات في خدش مزايلا الاشراف غضبوا كل الغضب وعرفوا حق المعرفة
ان اعمال العصبة المقدسة تجر الى ابطال شوكة الاشراف كما تجر الى تضيق
مزايلا الملك نعم وان كان الاشراف في حق عظيم من تولية الكردي نال اديان
نائباعن الملك في المملكة الا ان هذا الحق تناقض منذ اشرك اليمبراطور
مع اديان في منصب النيابة الاميرين المشهورين المتقدمين وهما
سر عسكر البروسر عسكر البحر لاسيما ورأى الاشراف ان اتساع دائرة مزايلا
الملك لا يحبط بقدرهم كدعوى الاهالى العريضة الزائدة عن الحد فعزموا على
ان يعطوا للملك الامدادات التي كان يطلبها واخذوا في جمع اتباعهم لتنفيذ
هذا المقصد هذا وكانت العصبة في جزع وقلق وهي في انتظار جواب الملك عن
مضمون التقرير الذي بعثته لتعرضه عليه مع رسل مخصوصين من طرفها
فبمجرد ما اخذ الرسل التقرير يسافروا بدون تراخ ولا مهلة الى بلاد المانيا
الا انهم وهم في اثناء سفرهم جاؤهم النصاب من عدة جهات انهم انظروا
في الديوان اليمبراطوري لبلاد المانيا يخشى عليهم ان يكونوا عرضة
للهلاك فامسكوا عن السفر وبعثوا يخبرون العصبة بذلك فلما وصل هذا الخبر
الى العصبة اشتد غضبها حتى جاوزت حدود ما يوجب الحزم والكياسة واصالة
الرأى وحسن السياسة

فلما سمعت انه يخشى على الرسل المبعوثين من طرفهم الى الملك تعجبت كل العجب
حيث لم يسبق في العادة ان احد من ملوك قسطنطينية أبى ان يسمع شكوى
وعاياه ورأت ان ذلك هو الظالم الذي لم يسمع بمثله ولا طاعة على تحمله وعلمت انه
لا ينفذ هامن هذا الظلم الشنيع الا السلاح وهو الذي به يمكن ان تبعد عن الملك
سائر اعداء الذين كانوا محدقين به حيث انهم لم يكتفوا بسلب اموال المملكة
بل بعد أن اكوا اموالها وافسدوا حالها ارادوا ان يمدعوا اهلها عن الذهب
الى الملك ولا يكتفونهم من الوصول اليه حتى يبنوا اليه شكواهم ويدينوا له الجبهة
التي يحصل لهم منها الضرر ومن وقتئذ اختلفت آراء ارباب العصبة فمنهم من
شد في العمل بموجب رأى كان قبل به قبل ذلك وهو ان شر السكان

مطلبه —
عدم تجاسر رسل العصبة
على عرض التقرير الذي
هم مبعوثون به الى الملك *
في ٢٠ من تشرين الاول

سنة ١٥٢٢

مادامت امه في قيد الحياة لا يثبت له لقب الملوكية على قسطنطينة ولا يجرى له امر عليه وان اقراره على هذين الامرين لم يكن مبنيا على اعلیٰ ظن ان الملكة حاتة امه لا اقتدار لها اصلا على القيام بادارة المملكة ومنهم من راي انها تزوج بامير كبرى وارث ملوك نابلي الذين هم من عائلة ارغون الملوكية ليعينها في الادارة وكان الملك فردينند قد افتات على اجداد هذا الامير وتغلب على ملكهم ووضع هذا الامير في السجن فلم يرل مسجوناً حتى حصلت تلك الفتنة ورأى الجميع انهم قد اخطأوا في كونهم املوا ان الملك سينصفهم ويثبت لهم حريتهم وفي كونهم اقتسروا على عرض تقرير يتضمن شكواهم وانحط رأيهم على انه يجب الخروج عن الطاعة وان يجمعوا سائر قواهم ليحاربوا كلام من حزب الملك والاشراف ولا يقرطوا في حريتهم

مطلب —
مباررة العصبة المقدسة

وبرز من الاهالي في ميدان الحرب عشرون الف رجل الا انه حصل بينهم منازعة كبيرة في شأن من تكون له رئاسة الجيش وكان الاهالي والعساكر يحبون الامير باديله فاتفقوا على انه هو الجدير بشرف هذا المنصب ولكن كان هناك امير آخر من ذوى الحسب والنسب وهو الامير بدروجيرون ابن القوتنة اوروتة البكري وكان هذا الامير قد غضب من الاميراطور شرلكان فانضم الى حزب الجمعيات البلدية فنزل له باديله عن هذا المنصب نظرا الى جلالة قدره وعراقته في الحسب والنسب الملايمة للمنصب المذكور لاسيما وكان هناك جماعة من ارباب العصبة يغارون من باديله لميل الاهالي اليه وملاطفته اياهم فلاجل اغاظته اقتضى رأيهم تولية بدروجيرون فعما قليل حين حلت بهم المصائب وخسروا خسرا كبيرا عرفوا انه ليس اهلا لهذا المنصب حيث لم يكن جامعا لما يلزمه من التجارب والشجاعة والمعارف والبراعة

٢٣ من شهر تشرين الثاني

واما انواب المملكة فجعلوا مدينة ريوزيكو موعدا لاجتماع عساكرهم وكان هؤلاء العساكر يدون عساكر الجمعيات البلدية عددا الا انهم كانوا ينفقونهم في الشجاعة والمهارة والفنون الحربية وذلك ان النواب اخذوا

مطلب —
تسلع انواب والاشراف

من مملكة نوار العساكر المشاة القديمة فجمعوا منها وجاها عظيما وكان اعظم قواهم الخيالة حيث كان فرسانهم مؤلفين من الاشراف والبيكرادات المتعودين على الحرب العارفين باصوله وفروعه وكاوا بمكان من الشجاعة بمعنى انهم كانوا حازنين لتلك الصفة التي امتاز بها وجاق الاشراف في ذلك العصر واما مشاة العصابة المقدسة فكانت كناية عن اخلاط من الاهالي والصنائعية لا معرفة لهم باستعمال السلاح ولا يحسنون الضرب وكانت خيالاتها قليلة ومتجمعة من اخلاط من رعايا الناس لا امام لهم باصول الخيالة ولم يسبق لهم ركوب الخيل وكما كان هنالك بنو بعيد بن عساكر الجيشين كان هنالك ايضا فرق كبير في الادارة والمعارف بين سرعسكر حزب الملك وسرعسكر حزب الاهالي لان جيش الملك كان رئيسه القوتنة هارو ابن الامير انيعدو ويلا سكو البكري سرعسكر الجيوش البرية القبطيلية وكان هذا القوتنة لكثرة تجاربه ومزيد اختباره له اقتراد عظيم ورأى سديد قويم يحمل كل مشكل ويفض كل معضل

فتوجه الامير جيون بجيشه الى مدينة ريوزيكو وتغلب على ما حوالها من اقربى والطرق ظننا منه ان احزاب الملك بعد سدة تلك الطرق عليهم ينسبطون عاجلا الى التسليم لعدم الزاد وانهم ان قاتلوا يهزمون ويلحقهم الضرر والحسر ان لانهم لم يجمعوا ساير عساكرهم ولكن كان يلزم لهذا الامير ان يكون عنده من المعارف اكثر مما كان عليه كما ان عساكره كان يلزم لهم من التجلد والضبط والربط اكثر مما كانوا عليه حتى يثبت لهم النجاح في هذا التدبير واما القوتنة هارو فانه ادخل في المدينة بدون كبير مشقة امداد اعظيما من بسائر قراقرولات الامير جيون فلما تبين جيون المذكوور من التغلب على تلك المدينة توجه سريعا الى ويلا بنده وهي مدينة تنسب الى سرعسكر الجيوش البرية المتقدم وكانت اعظم المخازن المودعة بها ذخائر العدة وكان هذا الامر المبين على عدم الحزم وقلد السياسة سببا في فتح طريق لاجراء الملك الى مدينة تورديز يلاس حيث وصل بهم اليها القوتنة

مطلب

عدم حرم سرعسكر
العصابة وهزيمته

سنة ١٥٢٢
٥ من شهر كانون الاول

هارو ليلال مع غاية السرعة من غير أن يشعر بهم احد وهجم على المدينة المذكورة وكان جيرون لم يترك من المحافظين غير الالى من القسوس جوه الاسقف زاسورا ودخلها بالقهر والعلبة وقت الفجر بعد أن قاومه محافظوها مع التجلد والثبات وقبض على الملكة واسرعة من ارباب العصبة واسترجع خاتم الدولة الكبير وغيره من العلامات الملوكية

فكان خطر هذا الامر شديدا على العصبة حيث ترتب عليه ضياع ما كان لها من الصولة والشهرة باطهارها انها لا تعمل الا باوامر الملكة وانضم الاشراف الى حزب الملك وانتموا اليه بجميع اتباعهم وعساكرهم وكانوا الى ذلك الوقت لم يميلوا الى احد من الفريقين فسلطان الاسف والحزن على جميع من كان من احراب الجمعيات البلدية وارداد غيظهم باساة ظنهم في رئيسهم جيرون حيث اتهموه بأنه هو الذى سلم للاعداء في مدينة توردير يلاس والظاهر انه برى من ذلك لان نجاح احراب الملك انما كان من سوء ادارته لامن خيانتته ولكنه لم يبق على ما كان له من الصولة وفوز الكلمة في قومه فرأى انه مضطر الى النزول عن رياسة العساكر والعزلة عن الناس في قصر من قصوره ففعل ذلك

ثم ان من نجاح من ارباب العصبة في مدينة توردير يلاس فتر الى مدينة ولادوليدة ومكثت العصبة زمنا طويلا تتحدث عن اناس تقيمهم مقام من اسر منهم فانتخبوا جماعة من بينهم قلدوهم بالادارة العليا وكان جيشهم يزداد كل يوم بمن كان يأتهم من العساكر من سائر اقطار المملكة فلما عظم هذا الجيش توجه الى مدينة والادوليدة وكانوا قد جعلوا الامير باديله سر عسكرهم وعادت للعسكر قوتهم وشهاتهم ونسى حزب الجمعيات البلدية جميع ما حل بهم من المصائب والشدة واستتروا على قوتهم الاصلي في المدافعة عن حرية الوطن واطهروا البغضاء للذين كانوا يظلمونهم ويمتلكون حرمة حقوقهم

مطلب
تصميم العصبة على رايها
الاول

سنة ١٥٢٢

مطلب

ما فعلته العصابة لاجل
تحصيل الدراهم

واعظم ما كان يوجب الحيرة لتلك العصابة هو طريق تحصيل الدراهم اللازمة
لصرف ماهيات العساكر لان الفلمنكيين كانوا قد تقلوا الى خارج المملكة مبلغا
جسيما من النقود المتعامل بها وما كان يؤخذ في زمن الصلح من المغارم كان
قليل جدا وكانت محصولاتهم تتناقص يوما نيو ما لان الحرب عطل تجارتهم
على اختلاف فروعها وكانوا يخشون ضجر الاهالي وقرتهم اذاهم ضربوا عليهم
مغارم جديدة لم يكنون ونامت عودين عليهم في هذا الوقت الا انه كان للامير
باديله زوجة من الاشراف يقال لها الاميرة مارية باشيكيو وكانت ذات
معارف وكان امرها غريبا في الطمع والشره الا انها كانت تميل كل الميل
الى حزب العصابة فبذل جملتها حتى اخرجته من تلك الورطة على احسن
حال وذلك انها كانت ذات جسارة كبيرة وكانت سالمة مما انطبع عليه النساء
من الاوهام الباطلة والبدع العاطلة فصممت على اخذ النفائس التي كانت
بكنيسة مدينة طليطلة لاجل الزخرفة والزينة من ذهب وفضة وغير ذلك
الا انها رأت ان ذلك ربما يفرق قوس الاهالي وواجب سحقهم وغضبهم لانه
بظاھرهم من الماثم الكبيرة وربما اغضبت الناس كافة فسلكت في ذلك
مسلك المداهنة والخداع لتسلم من غضب الاهالي اولومهم وذلك انها ذهبت
مع خدمها وحشمها في محفل عظيم الى الكنيسة وهي تبكي وتضرب صدرها هي
وسائر اتباعها حتى وصلوا الى الكنيسة وهم على هذه الحانة وعليهم ثياب
الحزن فلما دخلوا الكنيسة خروا ساجدين وطلبوا العفو والغفران من القديسين
الذين بهذه الكنيسة فنجت بتلك الحيلة الاميرة من غضب الناس ولم يحكموا عليها
بالكفر في نظير هذه الفعلة بل رأوا انها انما فعلت ذلك للضرورة وللضرورة
احكاموا ويقنوا ان محبتها للوطن هي التي اجأتها الى ارتكاب هذا الامر
الغريب ومما قوى ذلك عندهم ما ظهرته من الحزن والغم وهي ذاهبة الى
الكنيسة فهذه الواسطة حصلت العصابة بمبالغ جسيمة اعانتها الاعانة وكان
ايضا ثواب الملك في حيرة عظيمة في شأن تحصيل الدراهم اللازمة لماهيات
عساكر الحزب المملوكي ومصاريفهم لان ايرادات الملك كان قد اخذ بعضهم

سنة ١٥٢٢

مطلبه —
ضيق الزمن من العصبة
لاشتغالها بالمدولة مع
الاشراف

الفلمنكيون والبعض الآخر تهتبه الجمعيات البلدية فاضطروا الى اخذ حل
الملكة وما كان عند الاشراف من آنية الفضة وغيرها ليضربوها بقودا
فلما نفذت اقتضوا من ملك للبرقوعا لمبلغا آخر وتصرفتوا فيه
وكان يترآى من الاشراف انهم لا يريدون ان يقع الحرب بينهم وبين العصبة فانهم
كانوا يوافقون الجمعيات البلدية على كراهة الفلمنكيين فكانوا يقررون امورا كثيرة
مما ذكرته تلك الجمعيات في تقريرها وكانوا يرون ان مقتضيات الاحوال
اذ ذالك تعينهم اتم الاعانة على ابطال ما كان في المملكة من قديم الزمان من المظالم
بل وتعينهم ايضا على انشاء قوانين جديدة يترتب عليها اصلاح حال الدولة
وانتظام امورها وانما كانوا يخشون ان يحصل بينهم وبين الجمعيات البلدية
حرب لان خرقه الاشراف وخرقة تلك الجمعيات كانتا منوطتين بالتشريع
ووضع القوانين فان وقع بينهما حرب وازضع بعضهم قوى بعض اتخذ الملك
ذلك فرصة في خفتهم ما وازضعاف شوكتهم وبذلك تقوى الشوكة الملوكية
عليهما وتبطل استقلال الاشراف وتفتت على من ايا الجمعيات البلدية ولما كان
الاشراف لهذه الاسباب يرغبون في ان يكونوا مع العصبة على قلب رجل
واحد كان الثواب يجشون آباء الليل واطراف النهار عن عقد الصلح بينهم وبين
تلك العصبة ومكثوا مدة الحرب وهم لا يودون الا الصلح ويتمنون حصول حادثة
تساعدهم عليه ومما يدل على ذلك ان الشروط التي طلبوها من العصبة كانت
مقبولة ولو تساهمت تلك العصبة فيما كان يفضى بالشوكة الملوكية الى الضعف
والاضمحلال او ينابذ حقوق الاشراف من المواد التي ذكرتها في التقرير
لوعده الثواب بحمل الايمبراطور على قبول ما عدا ذلك من المواد الاخرى
ولو فرض انه يابى ذلك لالحاح بعض وزرائه عليه في عدم قبولها لالتزم عدة
من الاشراف باعانة العصبة على الزام الايمبراطور بقبولها
ولكن لما كانت العصبة لا تحلو من القشل والشقاق لم يتذاكر اربابها مع بعضهم
حتى يجمعوا امرهم على شئ مقبول يكون ناشئا عن الحزم وسداد الرأي
وذلك ان اغلب المدن التي دخلت في هذه العصبة كانت تغار من بعضها

كل الغيرة ولا تتقرب بعضها لما انها كان لها ما رب دنيئة ناشئة عن الطمع
والشرف فلذا امكن لسر عسكر السيرة بنفوذ كلمته ومواعيدة ان يفصل اهل
مدينة بورغوس عن حزب العصبة كما امكن لبعض بيكرزادات من
الاشراف ان يفصلوا عن تلك العصبة مدنا اخرى صغيرة هذا ولم يكن في الجمعيات
البلدية من له من شرف النفس والمعارف ما يكتفي في ادارة مصالح حزب العصبة
على ما ينبغي نعم وان كان الامير ياديله سر عسكرها جامعا للصقات الحميدة
التي تحبب فيه الاهالي وتستميلهم اليه الا ان ذلك نفسه كان سببا في عدم
امانته عند بعض الاعيان الذين انضموا الى حزب العصبة فكانوا منه دائماً
على حذرو وكان هنالك امر آخر وهو ان الاهالي لما رأوا ما حصل من الامير
جيريون من الزلل وسوء الادارة صاروا لا يأمنون احدا من الاشراف الذين
كانوا قد انضموا اليه فبناء على ذلك لم تكن افعال العصبة كلها سوى اقدام
واجحام وضياع فرص نفيسة بالتردد وتكرار الاستفهام وكان اربابها لا يثقون
ببعضهم وكان منشأ ذلك هو انه لم يكن فيهم من يقوم بتدبير هذا الامر فبعد
مذاكرات عديدة في شأن الشروط التي كان يطلبها النواب اى رؤساء حزب
الملك طمس على قلوب الجمعيات البلدية فعميت بصائرهم عن الحق وضلت عن
الهدى لما كان في قلوبهم من الحقد والبغضة للاشراف فقطعوا علائق الصلح
وصحخوا واثق النصح وابوا الا العناد والمعاداة مع الاشراف ولم يكفهم ذلك
بل هددوهم بسلب الاراضى والعقارات الملوكية قائلين انهم اختلسوها هم
واسلافهم فيلزم ضمها نانيا الى الحفالك الملوكية ودفعوا غاية التدقيق في هذا
الامر مع انه في الواقع يترتب عليه اعدام الحزبية التي كان الغرض من سعيهم وبذل
جهدهم انما هو محاماتها والذب عنها ووجه ترتب ذلك عليه هو انه لو حصل
لاستقلال ملوك قسطنطينة بانفسهم وصاروا مطلق التصرف في الرعايا فكان
تشكى العصبة من ظلم الوزراء الاجانب واختلاسهم دون تشكيهم من سعة اموال
الاشراف وازدياد شوكتهم فكانها كانت ترى انه لا يقع بينها وبين الامبراطور
صلح صحيح الا اذا اعطته ما يادى الاشراف من الاراضى والالتزامات

سنة ١٠٢٢

مطلب

غرور العصبه بسبب
نجاحها في بعض وقائع
هينة

غزة شهر اذار سنة ١٠٥١

مطلب

عدم سداد رأى العصبه

ثم ان العصبه لما رأت ان سرعسكرها الامير باديله قد نجح في بعض وقائع
هينة واستولى على بعض مدن صغيرة اغترت بذلك وسلكت مسلكها المتقدم
معتمدة على شجاعة عساكرها فكانت متيقنة انه لا يعسر عليها
الظفر بحزب الملك فبينما كان الجيش فرحاً بهذا النجاح اذ حاصر الامير باديله
مدينة طورلوباتون حرصاً على عدم ضياع هذه الفرصة النفيسة من
انصراف صدور العساكر للقتال وكانت هذه المدينة اعظم المدائن التي اغار عليها
الى ذلك الوقت واكثرها حصوناً وكان بها من المحافظين عدد كاف ومع ذلك
فتحها الامير المذكور عنوة وسلب اموالها بعد ان قاومه اهلها مقاومة بحشية
وساعدهم سرعسكر البحرية وهو من نواب الملك ولوسار الامير باديله
بجيشه بعد هذه النصره الى مدينة تورديز يلاس التي هي معسكر احزاب
الملك لظفر بهم لدهشتهم من جيشه وكثرة نجاحه لاسيما ولم يكن عندهم اذ ذلك
من العساكر من يكفي للمصادمة والقتال لكن منع من هذا الامر العظيم تردد
العصبه وعدم سداد رأيها ولما لم يمكنها فيما بعد ان تستمر على الحرب اوتعدت
الصلح عرض عليها التواب شروطاً جديدة لعقد الصلح فرضيت بهدنة قليلة
المدة وكانت قبل ذلك تأبى الا ما شرعت فيه وبينما هي تضع الزمن في مذاكرات
لا جدوى لها اذ خرج من جيش باديله جم غفير من العساكر وفتروا
بما اغتصموا من مدينة طورلوباتون لانهم لم يكونوا متعودين على قوانين
الضبط والربط والتربية العسكرية وتعب بعضهم من طول مدة الحرب فهرب
ووجد سرعسكر البرية فسحة يجمع فيها عساكره ويتأهب للقتال فجمع
العسكر بمدينة برغوس وبجرد انقضاء الهدنة انضم بعسكره الى عساكر
القوتة هارو وان كان باديله بذل مجهوده في منع اجتماع هذين الفريقين
وبادر كل من الجنرالين بالتوجه الى مدينة طورلوباتون فلم يجسر باديله
على القتال لضعف جيشه بهروب العساكر المتقدمة فقصده مدينة طورو
ليلتجئ بها ولو امكنه ذلك لاسلم مما كان يخشاه من الاخطار لان الفرنسيين كانوا
اذ ذلك مستغلين بالانغارة على مملكة توار وكان يلزم التواب ان يرسلوا سرية

سنة ١٥٢٢

٢٣ من شهر نيسان

مطلب

هجوم الاشراف على

جيش العصابة

امن العساكر الى تلك المملكة فبذلك يختل نظامهم ولكن كان القوتنة هارو
يعلم ان فراره يضربهم ضررا شديدا فبادر بالمسير مع خيالاته وادركه قربان من
مدينة وبلاار وحمل عليه من غير ان ينتظر مجيء عساكر المشاة وكان
جيش باديلة حيث قد قد همته واعتراه التعب والنصب من شدة جريه
وسرعة سيره لاجل الاتجاء حتى كان ذلك فرار وهروب وقد لحقه القوتنة
هارو بالخيالة في مرج مزروع وكانت الارض اذ ذاك وحلا لانه كان نزل بها
مطر غزير فصارت عساكر باديلة كلما سارت تغوص في الوحل الى ركبها
وبذلك صاروا عرضة لئسار بعض مدافع كانت مع الخيالة فهذه المقتضيات
فقرت همة عساكره لاسيما وكانوا غير معتادين على الحرب فلم يتجاسروا على
مصادمة عدوهم ولا مقاومتهم اذ في مقاومة بل ركنوا الى الفرار وهم على غاية
من الاختلال وابدى باديلة من الشجاعة والعزم ما تقصر عنه العبارة
طمعاني جمع شملهم والتشائم فلم يجد ذلك نفعا لان الفرع تمكن منهم بحيث
صاروا لا يسمعون له قولا ولا يلتفتون الى نصحه وترغيبه ولا يعبأون بهديده
وترهيبه فلما لم يجد لذلك ثمرة رأى ان الموت خير له من الحياة بعد هذه الواقعة
المشؤمة وبعد تدمير حربه فانقض بنفسه على الاعداء وجال بين صفوفهم فخرج
وسقط من فوق جواده واخذ اسيرا واسر معه اكا برضا طاه واما العساكر فانهم
مجرد ما القوا سلاحهم عثاعنهم الاشراف حلما منهم وكرما وخلصوا سيولهم من
غير ان يسيؤهم اذ في اساءة

مطلب

هزم الاشراف لجيش

العصابة

مطلب

قتل باديلة

ولما كان اعدا الامير باديلة يبغضونه بغضا شديدا لم يمهله اصلابل
حكموا عليه في ثاني يوم بضرب عنقه ولم يقبلوا له دعوى التحقيق على حسب
الرسوم الجارية بل رأوا ان شهرة اسمه بما فعل وقيامه على رؤوس الاشهاد
يكفي في عدم اقامة الدعوى وارسل الى نطع الدم هو واثنان آخران وهما الامير
خنابراوو والامير فرنسيس ملدوناده وكان احدهما رئيس عساكر
سيغوية والاخر رئيس عساكر سلنكة ولم يفرع باديلة عند القتل
بل اطهر رغاية التجلد والاطمئنان حتى ان الامير خنابراوو الذي قتل معه لما

سنة ١٥٢٢

صار يسخط حين سمع الناس يقولون عليه انه خائن قال له الامير باديله كان
ينبغي لك البارحة ان تظهر شجاعة البيكزادات والامر آء واما الآن فينبغي ان
تصبر على قضاء الله ولا تفرع مما حل بك حتى تموت نصرا نياما تتسكبا بديتك وقد
اصهل الامير باديله حتى كتب كتابا لزوجته وكتابا لجمعية مدينة طليطنة
التي هي اصل غرسه ومسقط رأسه وكان الكتاب الاقل يدل على شفقتة ومحبتة
لزوجته وعلى ثبات جنانه وعلو همته وذكر في الكتاب الاخر ما يدل على فرحه
بموته شهيدا في خدمة وطنه وبعد ان كتب هذين الكتابين امثل لقضاء الله
ومدة عنة للجلاذ هذا وقد لام عليه في سلوكه على الوجه المتقدم اغلب مؤرخي
اسبانيا المتأخرين لان الحكومة والشوكة الملوكية في عصرهم كانتا على
خلاف ما كانتا عليه في عصر باديله فلم ينصفوه ولم يشكروه على ما كان له
من الفضائل في هذا المعنى ولا شك ان ذلك منهم اما تساهل او خوف فوصفوه
بما يذنس سيرته وحاولوا أن يفهموا الناس انه غير جدير بان يرثي لحاله
مع ان ذلك الامر قل أن يجتلب به نفس كريمة على انسان جليل القدر وقع في مثل
تلك المصيبة

وقد تمت واقعة ولا لار بالنصرة والظفر لاجاب الملك وفتح لهم ايضا
ابواب مدينة ولادوليدة وكانت اعظم المدائن المتعاهدة قوة واكثرها
عزما فعاملها النواب بالرفق واللين واكرموا اهلها حتى ان مدينة دلكمبو
ومدينة سيغوية وعدة مدائن اخرى تأسست بتلك المدينة وسلمت الى النواب
فعند ذلك وقع انقشال والشقاق بين ارباب العصبة وانحل نظامهم وهذا اقوى
دليل على عدم حرم رؤسائهم وربما استدل بذلك على انه كان هناك امور
خفية اوجبت هذا الشقاق بينهم حيث اختل نظامهم في اقرب مدة مع ان
عصبتهم لم تكن مبنيّة على اسباب هيمنة بل كانت اسبابها قويا كيمة حتى
دخل فيها جميع الاهالي ومكنت مدة حتى ثبتت وتمكنت ووجدت طريقا
منتظما في ادارة الحكومة ومما يؤيد ذلك انه حصل بعد ذلك بايام قليلة ان سرية
عظيمة من عساكر الملك الذين انتصروا على عساكر العصبة ارسلت الى

مطلبه —
انحلال حزب العصبة

سنة ١٥٢٢

مطلب

مدافعة زوجة باديلة عن
مدينة طليطلة مع القوة
والثبات

مملكة توار لمنع جيش الفرنساوية الذي كان حينئذ يشن الغارة عليها ومع ذلك فلم يقو عزم جمعيات مملكة قسطنطينية ولم تفرح بهذه الفرصة النفيسة وتبادر الى نيل المزايا والحقوق التي كانت اولاً تبذل غاية المهمة في طلبها

هذا وينبغي ان نستثنى من تلك المدائن مدينة طليطلة فانها لم تزل باقية على قصد هابسبوت بحريض الاميرة ماريا باشيكو زوجة باديلة والحاكمها لان تلك الاميرة لم تستول عليها الاخران بعد موت زوجها ولم تستغل بالبكاء والنحيب حيث تعلم انه لا جدوى لذلك بل تأهبت للاخذ بشار زوجها من اعدائه حتى تتم الغرض الذي قتل من اجله وكان الاهالي يحترمونها اما لان النساء ضعيفات بالطمع اولانها كانت ذات شجاعة عظيمة وقلب ثابت ومعارف وعوارف فكانت القلوب تميل اليها وترى لحالها في مصابها بنقد زوجها الاسما وكان موته في خدمة وطنه فكان متى ذكر اسمه قرن بالاحترام والتبجيل فصارت تلك المرأة بين الاهالي الصولة والشوكة التي كان يتمتع بها زوجها امد حيانته وقد اطهرت هي ايضا في سلوكها وافعالها من الخزم والعزم ما جعلها اهلا لاحترام الناس لها ووقوعهم بها وذلك انها كتبت لسر عسكر الفرنساوية الذي كان بمملكة توار ان يشن الغارة على مملكة قسطنطينية ووعدته بالاعانة وكتبت ايضا للمدائن قسطنطينية تحترنها على القتال وتعيد لهم اهلهم بعد الفتور وجعت عساكر جديدة وطلبت من القسوس مبلغا جسيما من الاموال لتصرفه على العساكر وامرت ان يحمل العساكر تمثال المسيح على هيئته مصلوبا بلا عن البيارق والاعلام حتى كانوا يقاتلون اعداء دين النصرانية (لان صورة عيسى عليه السلام مصلوبا انما تحمل عوضا عن البيارق امام عساكر النصرانية في قتال مله اجنبية عدوة لدين النصرانية) وكانت تطوف ازقة طليطلة ومعها ابنها صغيرا كب على بغلة وعليه ثياب الحزن وامامه راية مرسوم عليها صورة قتل ابيه باديلة فتمثل هذه الحيل والمخادعات التي دبرتها امكها ان تهيج تلك المدينة على القيام

سنة ١٥٢٢

وتقوى همتهم فعميت بصائرهم عن ادراك الخطر الذي يكونون عرضة له
ان تصدوا وحدهم لمعارضة الشوكة الملوكية وبناء على ذلك مكثوا مدة على
القيام والخروج عن الطاعة حتى انه في مدة ما كان جيش الملك مشتبها بالقتال
في مملكة توار لم يكن للنواب أن يدخلوا المدينة المذكورة تحت الطاعة
وانما اقتصروا على بذل جهدهم في اضعاف شوكة الاميرة مارية وصولتها
بين الاهالي وفي البحث عن استعطافها واستمالتها بمواعيد من خرفة وبعثوا
اليها اخاهما ملتزم موندوجار ليستعطفها كي ترجع عما هي عليه فلم يجد
ذلك شعاف رجعت طائفة من جيش الملك بعد أن خرج القزساوية مطرودين
من مملكة توار الى قسطلية وحاصروا مدينة طليطلة ولكن لم يؤثر
ذلك في الاميرة مارية ولم تقتر به همته بل دافعت عن المدينة مع شجاعة
غريبة وجسارة عجيبة وهزم عساكرها حزب الملك غير مرة ولم تزل بهذه المثابة
حتى قام عليها القسوس حين بلغهم موت غليوم وذكروا له وكان اذ ذلك
مطران طليطلة ولا يخفى ان القسوس كانوا في حنق شديد من تلك الاميرة
لانها سلبت اموالهم كان شكواهم من الاميراطور شرلكان كان سببها
انه اعطى منصب المطرانية المتقدمة لقسيس اجنبي لا يعزى لهم ولالبلادهم
فلامات غليوم وذكروا له وجعل الاميراطور شرلكان في هذا المنصب
قسيسا من اهالي قسطلية زال المسبب بازالة سببه وسكن غيظ القسوس
وغيظهم على الاميراطور حتى انهم ادخلوا في عقول اهالي طليطلة ان الاميرة
مارية لولا سحرها وشعبيتها لما اخذت بعقول الناس وصار لها كلمة نافذة
بينهم وزعموا ان لها صاحبا من الشياطين يأتيها دائما على صورة جارية
فهى لاتفعل شيئا الا عن لسان هذا الشيطان فصدمهم اهل المدينة في ذلك
وكافوا قدسهم وامن طول المحاصرة وينسوا كل اليأس من أن يعينهم اهل
المدائن الاخرى التي كانت اولامتها هدمتهم فرأوا انه لا بد لهم من الصلح
وابطال الحرب لانه يفنى بمديتهم الى الخراب والدمار فقاموا على تلك
الاميرة وطردوها من المدينة ودخلوا تحت طاعة حزب الملك فانتقلت الاميرة

سنة ١٥٢٢

٢٦ من شهر تشرين الاول

مطلب
النتائج المضرة التي
نشأت عن هذا الحروب
المدني

الى القلعة ومكنت اربعة اشهر ~~ك~~ وامل وهي تدافع عنها مع عزم قوى
وشجاعة عجيبة فلما اعجزتها الضرورة ولم يبق لها حيلة ولا وسيلة لتحيل
وخرجت متكررة فاصدة مملكة البرنوغال لتلحق باهلها هناك

فبعجز دهر و بها بادرت القلعة بالتسليم وانتشرت اعلام الصلح والاطمئنان
في مملكة قسطنطية ولم ينشأ عن هذا المشروع الخطر الذي همت به الجمعيات
البلدية الا ما ينشأ عادة عما هو من هذا القبيل في المشروعات التي لا تنجح حيث
لم يترتب عليه الاتساع دائرة الشوكة الملوكية وتقويتها على التدرج مع انه
ليكن الغرض منه الاتضيقة واضعافها ولم ترل مشورة القترطس

معدودة من ارباب الحل والعقد في التشريع ووضع القوانين بمملكة قسطنطية
وصارت تمنع كلاً احتاج الملك الى جمع اموال من الاهالي ولكنها لم تنب
على ما كانت عليه اولاً من سلوك طريق الحزم والاحتباس وانصاف الملة
فيما تشكي منه قبل اجابة الملك فيما يطلبه من الاموال بل ركنت الى الملك
واخذت في مراعاته وموالياته حيث بدأت باعطائه ما كان يطلبه من الامداد
فلما حظى منها باغراضه وفاز بما ربه لم يأذن لها ان تبحث عما يكون في الحكومة
من المظالم لتبطلها ولا تنتفض شيئاً يعود نقضه بالضرر على الشوكة الملوكية
وصارت المزاياء التي كانت للمدن سابقاً تنقص شيئاً فشيئاً حتى ضاقت
داثرتها وتلاشت بالكلية ومن يومئذ اخذت التجارة في التناقص
والاضمحلال ونقصت ثروة المدن وعدداهلها عما كان اولاً وقدت ما كان لها
في مشورة القترطس من الشوكة ونفوذ الكلمة

وبينما كان الحرب الدخلي يخرب مملكة قسطنطية اذ حصل في مملكة
بلنسية قتل اشتم من قتل قسطنطية مزقت تلك المملكة كل ممزق وذلك
ان العصابة التي انعقدت في مدينة بلنسية (سنة ١٥٢٠) وكانت تسمى
معاهدة جرمافادة اى معاهدة الاخوان استمرت على حالها بعد ان سافر
الامبراطور شرل كان من اسبانيا وكانت تتعمل بانها تدافع عن
السواحل ارباب الصيال الذين كانوا يأتون من بلاد الغرب فاخطأ الامبراطور

مطلب
لزيادة العصيان في مملكة
بلنسية

في اذنه لم يبدل ذلك حيث انهم امن وقتئذ تقوّت وأبت أن تلقى السلاح ولكن كان الغرض الاصلي لاهل بلنسية من عصيانهم وتنكيتهم فيما يخص منع الملك من الافتيات على حقوقهم ومزاياهم دون ما كانوا مصممين عليه من قمع الاشراف ومنع مظالمهم ولذلك كان بغضهم في هذه الفتنة للاشراف وقيامهم عليهم اشد مما في قلوبهم من الحقد على الملك فيجب عتد ما صدر لهم الاذن بان يبقوا على حمل السلاح للتعلم السابق وهو حماية السواحل صاروا يتقوّون حتى عرفوا من انفسهم ان لهم شوكة قوية فلم يتفكروا الا في الانتقام ممن كان يظلمهم فطردوا الاشراف من اغلب المدن ونهبوا ديارهم وخربوا اراضيهم واغاروا على قصورهم ثم انتخبوا ثلاثة عشر رجلا من الجمعيات التجارية التي كانت بمدينة بلنسية وكانت عدتها ثلاث عشرة فاختدوا من كل جمعية رجلا وقوضوا لهم امر ادارة الحكومة فاصدين بذلك نسخ القوانين القديمة او تحسينها وترتيب طريقة مستحسنة في اجراء الاحكام والقوانين على جميع الناس بالسوية من غير اغراض ولا مراعاة مقام بحيث لا يفرق بين خطير وحقير فبذلك يقرب الناس من النسوية التي كانوا عليها من اصل الفطرة

فبذلك اضطر الاشراف الى حمل السلاح ليدافعوا عن انفسهم ووقع الحرب بين الفريقين وبلغ من الشدة ما ينشأ عادة عن بغض الامة وحقدها لمن يظلمها وعن غضب الاشراف اذا انتهك الاهالي حرمتهم وارادوا اذلالهم وخفضهم وحيث انه لم يدخل في معاهدة جرمانادة احد من الاعيان ذوي الحسب والنسب ولا ممن تربى تربية حسنة كان رؤساء مشاورها من جهلة الصنائع الذين لا معارف لهم ولا شأن مثل هؤلاء الرؤساء لا يمكنهم ان يستميلوا قلوب الامة التي كانت اذذاك في حمية شديدة كالجنون الابطوا فقتهم لها واطهارهم القسوة والبعضاء في حق اعدائهم لان مثل هؤلاء الناس لا يعرفون القوانين المرتبة عند الملل المتعددة لتخفيف الغضب الذي يعتريها اذا حصل الحرب بينها وبين عدوها ولو فرض ان تلك القوانين كانت معروفة

لهم لما عملوا بمقتضاها ولا التفقوا اليها ولذلك لم يكن هناك امر قبيح
يزرى بالمرءة ويحجل بالانسانية الا ارتكبه اهل بلنسية في ذلك
الحرب

وكان الامير اطور وقتئذ مشغولا بتسكين قننة قسطنطية التي كان يخشى
منها على ضياع شوكته ومزاياه فلم يمكنه أن يلتفت كل الالتفات الى قننة مملكة
بلنسية بل ترك الاشراف بتلك المملكة يدافعون عن انفسهم على قدر طاقتهم
وكان القوننة موليطو نائب الملك هو قائد العساكر التي جمعها الاشراف
من اتباعهم فكانت معاهدة جرمانادة على الحرب سنتي ١٥٢٠
و ١٥٢١ مع قوة وثبات يجلب عما كان يخطر بالبال من مثل هؤلاء الجنود
الذين لا معرفة لهم بالعسكرية وكان رؤسائهم مثلهم اى ليسوا اهل
فضل ولا معرفة كما تقدم ومع ذلك هزمت معاهدة جرمانادة جنود
الاشراف في عدة وقائع شديدة وان لم يكن لها كبير جدوى حتى صدتهم عن
المدائن التي ارادوا شن الغارة عليها غير ان الاشراف لمعرفتهم بالقننون
العسكرية وتعود عساكرهم على الحروب ومشاقها كانت لهم النصرة
في اغلب الوقائع ولم تزل عصابة الاشراف على تلك الحالة حتى انتصر النواب
في قسطنطية بمدينة ويلالار على الامير باديلة وارسلوا الى بلنسية
فرقة من العساكر الخيالة لاعتنتهم فبجبر وصول هذا المدد اليهم فاقوا
على اعدائهم حتى انهم بعد مدة قليلة شنتوا عساكر المعاهدة وابادوها بالكلية
وقتل رؤسائهم من غير حكم ولا اقامة دعوى بعد ان اذيقوا من العذاب
والاهانة ما يقترحه العدو لعدوه وبعد ذلك رجعت حكومة مملكة
بلنسية الى ما كانت عليه اولا

مطلبه

علامات الفتن في مملكة

اراغونيا

مطلبه

الفتنة الكبيرة التي حصلت

في جزيرة مايورقة في ١٩

من شهر اذار سنة ١٥٢٢

وشوهه ايضا في مملكة اراغونيا علامات الغم والفتن التي كانت في غيرها
من ممالك اسبانيا الا ان الوزير حنالا نوزة الذي كان وقتئذ نائب
الملك فيها عرف بجزمه وسداد رأيه ان بطني نيران الفتنة قبل اشتعالها ولكن
لم يحصل مثل ذلك في جزيرة مايورقة لان الاسباب التي ترتبت عليها

سنة ١٥٢٢

الفتن في مملكة بلنسية كانت بعينها في تلك الجزيرة ونشأ عنها فتنة كبيرة وذلك أن أهاليها كانت قد ستمت نفوسهم من ظلم الأشراف وعيل صبرهم من جورهم فهموا بالعصيان وعزلوا نائب الملك وطرده من الجزيرة وذبحوا كل من وقع في أيديهم من الأشراف واستمروا على العصيان والخروج وكان طغيانهم فوق كل حد ونهاية فلزم مكابدة المشاق الفادحة لادخالهم تحت الطاعة وبالجمل فلم يمكن جمعهم إلا بعد أن سكنت الفتن في سائر ممالك إسبانيا وانتشرت رايات الصلح والأطمئنان في سائر أقطارها

وإذا تأمل الإنسان ما كان واقعا في ممالك إسبانيا من الفتن العامة ونظر إلى الأسباب التي دعت أهلها إلى الخروج والعصيان وعلم أن مقصدهم من ذلك إنما هو إزالة المظالم من بلادهم تعجب من كون أهالي هذه الممالك في تلك الفتن لم يحزموا رأيهم في سلوكهم ولم يجمعوا أمرهم حتى تتفق كلمتهم ويكونوا على قلب رجل واحد لأنهم لو جمعوا جيوشهم مع بعضها واتفقوا على امر واحد لثم لهم الظفر ونجعوا أكثر من ذلك فإنه لو كانت تلك العصبية مليئة أي مركبة من سائر الملل لاحترمها الأهالي وخشى الملك بأسها وكان لا يمكن للإمبراطور شرلكان أن يقاوم جيوشهم إذا انضمت إلى بعضها بل يضطر إلى قبول الشروط التي كان يلزمه بها رئيس تلك العصبية ولكن كان هنالك أسباب منعت من اتفاق أهل إسبانيا مع بعضهم وسلوكهم على منوال واحد وهي أن ممالك إسبانيا وإن كانت تحت حكم ملك واحد كانت تغار من بعضها فلم يحصل اتفاق بين أهلها لاسيما وبغضائهم القديمة كانت لم تزل قائمة بنفوسهم وكانوا يحمقون على بعضهم حقد أعظم بسبب الأساء التي كانوا فعلوها سابقا مع بعضهم فكان ذلك داعيا لاختلافهم وعدم وثوقهم ببعضهم ورأى أهل كل مملكة أن مكابدةهم وحدهم لمشاق الحرب أولى لهم من أن يتضرعوا لأهل مملكة أخرى ليعينوهم وزيادة على ذلك كانت صورة الحكومة في كل مملكة من ممالك إسبانيا مبينة بالكلية للأخرى وكان أهل كل مملكة منها يطلبون أمور مختلفة فكان يعسر اتفاقهم واجتماعهم على امر واحد

مطلب

الاسباب التي منعت من اتفاق أهالي إسبانيا

سنة ١٥٢٢

فلولا هذا التفاقم لما حفظ الایمبراطور شرلکان تیجان ممالك اسبانيا لانه لما كانت كل مملكة من تلك الممالك بمعزل عن غيرها في المقاصد والاعراض كانت عاقبة امرها أن اضطرت كلها الى التسليم والدخول تحت الطاعة

ولما حضر الایمبراطور شرلکان الى اسبانيا استولى الخوف والرعب على قلوب رعاياه الذين كانوا عصوه وخرجوا عن طاعته لكنه ابدى من الحلم ما دخل في قلوبهم الامن والاطمئنان وصرف عنهم الهموم والاحزان وذلك انه لم يقتل من اهل قسطنطية الا عشرين نفسا وان كان اغلبهم في تلك الفتنة الكبيرة قد ارتكب ما يستحق به القتل والدمار نعم ان ارباب ديوانه حشوه على ان يظهر من القسوة اكثر من ذلك الا انه ابى ان ينفك دما رعاياه على ايدى الجلادين بل اعلن بانه عفا عما سلف وانه لا يلتفت الى ما حصل من اول الفتنة الى آخرها ولم يستثن من ذلك الا ثمانين نفسا عين اسماءهم بل ولم يكن مصمما على قتل هؤلاء الثمانين وانما كان قصده من بيان اسمائهم زجر غيرهم وقعه وما يؤيد ذلك ان بعض خاصته المعتبرين عرض عليه ان يعترفه محل شخص من اكابر هؤلاء الثمانين الذين اهدر دماءهم فاجابه الملك بجواب حسن لا يصدر الا عن ذوى الحلم والكرم حيث قال له اني لا اخشى من هذا الرجل في شئ واما هو فله اسباب بها يخشى بأسى وبطشى ويحذر ملاقاتي فكان الاحسن لك والا صوب ان تذهب اليه وتخبره بانى هنالكا أن تعرفنى المحل الذى هو فيه وزيادة على هذا الحلم الذى لا يصدر الا عن النفوس الشريفة حاذر مدة اقامته في قسطنطية أن يفعل ما يوجب غضب اهلهم وانفورهم وتخلق باخلاقهم وتعلم لغتهم وواقعهم على آرائهم وعوايدهم حتى صار له في قلوبهم منزلة لم تكن للملك قبله ولو كان من الملة الاسبانيولية واعانوه كل الاعانة في جميع مشروعاته وكان صدقهم معه اعظم معين له على تحصيل ما ربه وعلا شأنه

ولما وصل الایمبراطور شرلکان الى اسبانيا خرج منها اديريان وسافر الى ايطاليا ليكتب في منصبه الجديد وهو منصب البابا كما تقدم ذكره

وكان

مطلبه

نجزم الایمبراطور في سلوكة وحمله على من عصاه من الرعايا

٢٨ من شهر تشرين الاول

مطلبه

سفر اديريان الى مدينة رومة وعدم تلقية فيها مع الترحيب والاكرام

سنة ١٥٢٤

وكان الرومانيون ينتظرون مجيئه مع غاية الشوق الا انه لما وصل اليهم وعماينوه
 ظهرت عليهم علامات الغم والحيرة لانهم كانوا متعودين على أن يروا ملوكهم
 وپاپائهم في ابتهاج عظيم وروث كبير فاستحقروا ادريان حين رأوه شيخا
 هرما متواضعا متشفيا في ملبوسه متخفيا باخلاق الزهد محترقا لابس الزينة
 والرفاهية لا يجب التصنع وبالجللة فكان خاليا عن تحسين الهيئة والجمالة
 الظاهرية التي يكون بها الذوى المراتب والمناصب العليا وقع وهيبة في قلوب
 العامة وتجبوا من ذلك غاية العجب حيث لم يعهدوا في پاپائهم السابقين تلك
 الحالة الرثة فاين ذلك من ابهة جالوس الثاني ومظهر ليون العاشر
 وقد تعجب القسوس ايضا من ادارته وسياسته حيث اعترف ان كلاما من كنيسة
 رومة وديوانها لا يخلو من المفساد وتأسف على ذلك كل الاسف واخذ يصلح
 حال الكنيسة والديوان ويظهرهما من تلك المفساد التي لا تليق بهما ولم يظهر
 منه انه يريد رفع عائلته واكسابها الثروة والغنى حتى انه لا فراطه في التشديد
 رد الاراضى التي كان اخذها البابا قبله بطريق الظلم والاختلاس فرد الى
 الامير فرنسيس ماري دوقية اوريان التي كان اغتصبها منه البابا ليون
 العاشر وارجع الى دوق فرارة عدة مدائن كانت اخذت منه ظلما وعدوانا
 واضيفت الى اراضى الكنيسة ولما كان قسوس رومة غير متعودين على
 مثل هذه العدالة ولم يعهدوا في احد من پاپائهم السابقين انه سلك على منهج الحق
 والاستقامة رأوا ان هذه القعال ادلة واضحة على ضعفه وعدم خبرته ودرايته
 بالتجارب لاسيما وكان ادريان يرتبك غالبيا في المشاور وانها المصالح بلمله
 بأسر ارسياستهم ودسائسها ولانه كان لا يعول عليهم ولا يثق بهم لغاية التنافر
 بين اخلاقهم واخلاقه لانهم كانوا اهل خبث ومكر ومخادعة ومحاولة في ادارة
 المصالح وهذا مبين لما انطبع عليه من طيب النفس وخلوص الطوية فكان
 لا يعرف المكر والخداع الذي كانوا يتباهون به فدخل في وهم الناس
 انه ضعيف الرأى خفيف العقل ولم يرزل هذا الوهم يزاد يوما بعد يوم حتى
 صار رعاياه يحتمقونه ولا يعباون بسياسته وادارته كما سخر وامنه عند

رؤية ذاته

سنة ١٥٢٢

مطلب

بذل ادریان جمده
فی تسکین قن اوروبا ونشر
رايات الصلح بها

ومع ذلك فبذل ادریان غاية جهده في تسكين قن اوروبا واطهر في هذا
الشان من الانصاف وعدم الغرض والميل الى غير الحق ما يلايم مقامه من
حيث كونه ابا النصارى كافة ومن العجب انه لم ينجح الى مساعدة الامبراطور
شركان وان كانت له السيادة عليه بل بذل جهده في ايقاع الصلح بينه وبين
الملك فرنسيس والتأليف بين قلوبهما حتى يكو ناعلى قلب رجل واحد
ويكونا معا على السلطان سليمان الذي بعد اخذه لجزيرة رودس صار
يخشى منه على سائر بلاد الافرنج لکن هذا المشروع كان فوق طاقته لان
حسن الطوية وخلوص النية لا يكفيان في التأليف بين ملكين لهما اغراض
وما رب مختلقة ولا في ابطال الحروب التي اوجبتها بينهما العداوة والبغضاء
بل كان يلزم لذلك ان يكون فوقهما في المعارف والمهارة حتى يظفر بجماعه
ولم تكن رغبة دول ايطاليا في حصول الصلح اقل من رغبة البابا ادریان
وكان وقتئذ الجيش الامبراطوري الذي تحت قيادة الامير كولون باقيا
على اصله لم يسترح من عساكره احد ولكن بسبب نفاد الاموال التي كانت ترد
للامبراطور من بلاد اسبانيا و نابلي ومملكة البلاد الواطية
او صرفها في امور اخرى كانت مصاريف هذا الجيش من مأكولات وماهيات
مرتبة على اهل ايطاليا فكان من عساكره قسم عظيم نارلا بارانسي
الكنيسة ولاجل مصاريفهم كان نائب الملك في مملكة نابلي يضرب في كل
شهر مغارم على اهل فلورنسة وميلانة وجنوية ودوقية لوقة
يتشكى هؤلاء الناس وتظلموا من تلك المغارم واخذوا ينتظرون فرصة تعينهم
على التخلص منها ولم يصبروا خوفاً من غضب الامبراطور وبطشه او خشيتهم
بأس هذا الجيش

سنة ١٥٢٣

مطلب

عصبة جديدة مع
الامبراطور على ملك
فرنسا

ولكن قد حصل انه بالحاج البابا ادریان وحته ونشره فرمانا يحرض
فيه ملوك الافرنج على ابطال الحرب وعقد الهدنة بينهم بثلاث سنوات بعث
الامبراطور وملك انكلترة وملك فرانس الى رسالهم بديوان رومة

سنة ١٥٢٣

في ٢٨ من شهر حزيران

خطاباتهم مفعوضون في هذا العرص فبينما كان هؤلاء الرسل يتذاكرون في هذا الشأن اذ كل من الملوك اذ كورين يجهبز لوازم الحرب ومهماتهم وكان اهل البنادقة الى ذال الوقت باقين على المعاهدة مع الملك فرنسيس فلما رأوا ان مصالحهم ببلاد ايطاليا قد تعطلت فخلوا عنه ونعصبوا مع الإمبراطور عليه وايضا لما كان نائب الملك في نابلي لم يرزل يلح على البابا اديان وكان من اصدقائه ومن ابنا وطنه حتى افهمه ان الموجب لعدم الصلح انما هو طمع نفس ملك فرنسا فخرج اديان ثانيا الى حرب الإمبراطور وتبعته سائر دول ايطاليا فرأى الملك فرنسيس ان كل الناس قد تخلوا عنه ولم يبق له نصير ولا ظهير يعينه على مقاومة اعدائه الذين كانت جيوشهم تهدد بلاده من جميع الجهات

ولاشك انه يتراءى بيادي الرأي ان مثل تلك العصبية العظيمة تحمل فرنسيس على ان يقتصر على حماية بلاده والذب عنها يأس من الدخول في مملكة ايطاليا ثانيا لئلا يأخذ بلاده التي تغلب عليها الإمبراطور شرلكان ولكن كان من رآب هذا الملك انه يساهل جسدا في الامور العادية وبقوى عزمه ويثبت ثبوت الابطال انكبات الدهر واطواره ويتداركها حتى لا تتحل به او يقتحمها مع الثبات كيف لا وقد جمع في هذه المرة جيشا عظيما قبل ان يأخذ اعداؤه اهبتهم لعل ما عزموا عليه لانه كان له على رعاياه صولة لم تكن للإمبراطور شرلكان ولا للملك هنري في محالكم ما فكان لا يمكنهما ان يأخذا امدادا من رعاياهما الا عن رضا ارباب مجلس البرلمان وكان لا يعطى لهم اعادة الامبالغ قليلا بل ولا يحصلان هذه المبالغ الا بعد توقف الرعايا وتضجرهم مدة مستطيلة بخلاف فرنسيس فكان يسوغه ان يضرب على رعاياه مغارم جسيمة ويحصلهم منهم في اقرب وقت وبناء على ذلك سلك في هذه الواقعة كما سلك في غيرها من الوقائع السابقة حيث شرع جيشه في السير قبل ان تجتمع عساكر العدو ولما كان يعلم انه يفوق اعداءه من هذه الحينة توجه بنفسه مع الجيش الى دوقية ميلان مؤملا انه بذلك

مطلب
الاحتراسات التي
استعملها فرنسيس
ليقاوم اعداءه ويسلم من
مكرهم

مطلب

ضياغ فائدة احتراساته
بسبب كشف الفتنة التي
كان الدوق يوربون سر
عسكر البرية يضرم نارها

سرا

مطلب

مناقب هذا الامير

مطلب

اسباب غمه

يفسد على الاميراطور مادبره ولا يخفى انه بهذه الطريقة كان يخشى منه على
اعدائه وكان يظفر بمرامه لولم تنفعه العوائق الاتية وهى انه حين كانت
طلبيعة جيشه على ابواب مدينة آيون وهو يقفوا اثرها مع الفرقة الثانية
من العساكر بلغه انه قد ظهر في المملكة قتنه مهولة تفضى بها
الى الخراب فاضطر الى الاياب لوقته ورجع عن نيته

وكان منير هذه الفتنة الخطيرة هو الامير كرويس دوق دى يوربون
سر العسكر البرية بمملكة فرانسا وكان عريقا في الاصل ذا حسب ونسب
شهير وثروة واسعة وكان له ملومر تبتة اكبر اهل المملكة واعظمهم شوكة وصوله
كما كان شهرهم في المعارف والفضل وكان ذارأى سديد وحرص مصيب
في المشاور والحروب وكان مهيا باحتترما بسبب ما قام به من المنافع العظيمة
والخدم الجسيمة للدولة وكان يرأى حاكم الملك في عدة صفات كانت تلوع بالحرب
والامتياز في الرياضات الجسمية والحركات البدنية وكنساويه ما في السن
لا سيما وكانت بينهم حمة القرابة فترتب على ذلك ان الملك كان يحبه محبة خاصة
الان الاميرة لويرة ام الملك فرنسيس كانت تبغض العائلة البوربونيه
بغضا شديدا ولم يكن لذلك سبب الا محبة الاميرة اندو برطانيا زوجة
الملك لويز الثاني عشر تلك العائلة وكانت لويرة تذكره
اندو برطانيا هذه كراهة شديدة ولما كان الملك فرنسيس يتأثر بما تنأثر به
امه قام به من افعال دوق دى يوربون غيرة لا تليق به فلم يكافئه حق
المكافأة على ما كابدته من المشاق في واقعة مارينان وما بذله فيها من الجهد
والاجتهاد واستدعاه ايضا من دوقية ميلان التي كان حاكما فيها لاسباب واهية
فلما حضر قابله بوجه لا يلائم ما ابداه في هذا المنصب الخطر من الحزم وسداد
الرأى واوقفه مرتبانه بدون سبب قوى يقتضى ذلك وفي واقعة سنة ١٥٢١
كما تقدم جبهه الملك وخذله بمحضرة العساكر وعزله من قيادة طليعة الجيش
وولى عليه اهدوق دالفسون فتحمل اولا هذه افعال مع ما لم يكن يعهد فيه
من الصبر لانفته وكبره لاسيما وكان يعلم ان مقامه وما وفي به من الخدم العظيمة

في المملكة يجعل عن ذلك ثم ضاق به الحال وعيل صبره لاسآآت شتى فتعلقت
آماله بالانتقام فاحتجب عن ديوان الملك واخذ يكتب كتاب بعض وزراء
الایمبراطور شرکان

وفي انشاء ذلك ماتت زوجته دوقه بوربون ولم تعقب ذرية وكانت الاميرة
لويـرة حينئذ قد بلغت ستا واربعين سنة ومع ذلك لم تنزل تنصباى وتعشق
كما كانت تبغض وتحنق فبدات بغضه الدوق بوربون بالمحبة وكان دقيق
العقل حسن الصورة فعزمت على الزواج به وان كان لاسبية بينهما وبينه
في السن وكان من المآثر ان يصل هذا الدوق بعشق هذه المرأة التي كانت كلهما
نافذة على ابنها وعلى مملكة فراسا بتامها الى اعظم ثروة تعلقت بها آمال
طامع لكنه ابى زواجها الما لانه لم يكن مستعدا للعدول عن الكرامة الى المحبة
في اقرب وقت اولانه استكف ان يخفى البغضة ويظهر المحبة لمرأة طالما اساءته
قبل ذلك طالما وعروا ما ولم يأب الزواج على وجه مستحسن بل احببه بالسحرية
والدم خلقتها وحققها فاعتباط من فسيحتها وعدم احترامها واستهات
محبتها كراهة وصعمت على اهله

وافقت على هذا الامر مع الخليلير دوبرات وكل قدرتي الى هذا المنصب
الخليل يكون بحس بمعارفه وعراة علمه بالاحكام والقوانين حيث كان يحيد
فيما عن طريق الصواب لاعراضه فمواظنه اقيت على الدوق بوربون
دعوى فقد بها جميع الاموال والاملاك التي تنسب للعائلة البوربونيه
فادعى الملك بعضها لانها كانت الخالك الملوكية والبعض الآخر ادعته
الاميرة لويـرة لانها كانت اقرب وارث للدوق الهالكه وكانت دعوى
كل منهما باطله ولـكن لاالحاح هذه الاميرة ونشود كلهما وتحيل دوبرات
وتزويره امكنهما ان يأخذ من القضاة حجة تمنح الحكم بالجر على اموال
لعائلة البوربونيه ولما كان هذا الحكم مبنيا على الزور والبهتان اوقع الدوق
بوربون في القنوط والياس وحمل على البحث عن ايقاع الفتنة المتقدم ذكرها
فاخذ يكتب ديوان الایمبراطور شرکان في هذا العرض وكان قرباغ منه

مطلب

مكتباته السرية مع

الایمبراطور

سنة ١٥٢٣

الحق خدمته حتى كتب للإمبراطور انه يعترف له بأنه ملكه وسيده وأنه يعينه على الاستيلاء على مملكة فرانسا فاخبر الإمبراطور بذلك هنرى ملك انكتر واتفق معه على اجابة بوربون ووعده بمواعيد عظيمة ليبقى على ماصم عليه فوعده الإمبراطور ان يزوجه باخته اليونوره وكانت اولاً تحت ملك البورتنغال ثم تأيت وان يحجزها ويصدقها بما يليق بالملوك وعقد له باب مخصوص في المشاركة المنعقدة بين الملك هنرى والإمبراطور وحاصله انهما اتفقا على ان يعطياه قوتية برونسة وقوتية دوفينة ويلقباه ملكا عليهما والتزم الإمبراطور ان يدخل مملكة فرانسا من جبال البرنات وتكفل الملك هنرى ان يحجم على اقليم بيكردي مع عساكر الفلنك ووقع الاتفاق بينهما ايضا على ان يجعما من بلاد المانيا اثني عشر الفا تكون مصاريقها عليهما ويرسلاها الى بورغونيا لتكون مرددا واعانة للدوق بوربون مع ستة آلاف تعهد هو يجمعها من احبابه واتباعه وابقى ايقاع هذه الفتنة حتى يسافر ملك فرانسا مع جيشه الى بلاد ايطاليا لان المملكة حينئذ لا تجد من يدافع عنها فبعد ان سافر فرنسيس وتباعده عن مملكته اشرفت على الخراب والدمار

ولكن لو فور حفظ تلك المملكة لم يخف سر هذه الفتنة وان حوفظ على كتمانها بقدر الامكان ولم يخبر بها الا قليل من كان يعتمد على امانته وبوثق به وذلك ان بعض الخدم الذين كانوا يبيت الدوق بوربون كانوا يلاحظونه ملاحظة كلية لانهم كانوا يرون انه يستخونهم فاخبر اثنان منهم الملك فرنسيس بالكتابة السرية التي كانت منذ عدة اشهر بين سيدهم والقوتية روكس وهو من يكنزادات الفلنك وكان الإمبراطور شرا كان يثق به ويعهد فيه الصداقة لان الملك فرنسيس كان يستبعد ان الدوق بوربون يفضى به الجبن الى التسليم في المملكة للاعداء لاسيما وهو من اقاربه ومن العائلة الملوكية فسافر لوقته الى مدينة مولان وكان الدوق بوربون قد تعرض فيها ولازم الفراش حتى لا يذهب معه الى بلاد ايطاليا فلما وصل

مطلبه
كشف الفتنة وظهورها

سنة ١٥٢٣

في شهر ايلول

الملك الى هذه المدينة عارض على الدوق ما اخبر به خلف له انه بريء من تلك التهمة ولم يظهر للملك منه ادنى شئ يدل على صحتها واخبر الملك انه آخذ في مبادى الصحة وانه عماد قليل يلحق الجيش ببلاد ايطاليا وكان الملك فرنسيس طيب الباطن خالص الطوية فاعتبر بنحرف هذا القول حكما على بواطن الغير بما انطبع عليه من طيب النفس وسلامة الباطن فبقى على ما يعمده فيه من الصداقة وحزم براءته حتى انه لم يرض بالقبض عليه مع الحاح العقلاء من خاصته وارباب ديوانه وتوجه الى مدينة ليون كانه لا يخشى شئ ثم سافر الدوق بوربون بعده مظمرا انه يريد ان يلحق الملك لكنه ولى وجهه الى الشمال واجتاز الرون وبعد ما كبده من المشاق الكثيرة والاطوار الكبيرة فاز بنفسه ووصل الى بلاد ايطاليا وكان الملك فرنسيس حين اخبر بفراره ارسل خلفه اتاسا للقبض عليه فلم يلحقوه فندم حيث لا ينفعه الندم

مطلب

التجاء الدوق بوربون ببلاد ايطاليا

فعند ذلك اخذ الملك فرنسيس يحسرتس بجميع ما في وسعه ليسلم من عاقبة هذا الخطاء الذى جلبه لنفسه فوضع عساكر وخفراء في جميع القلاع التى كانت باراضى الدوق بوربون وقبض على جميع الاشراف والبيكرادات الذين نوههم فيهم انهم من ارباب العصبة وحيث لم يمكنه ان يعرف الغرض من تلك العصبة ولا اغراض الرعايا خشى ان يغيب عن المملكه فينشأ فيها حادثة مهمولة وعدل عن السفر مع الجيش الى بلاد ايطاليا

مطلب

اغارة الفرنساوية على بلاد ميلان

ومع ذلك لم يرجع عما عزم عليه من التغلب على دوقية ميلان بل جعل الامير بونيويطة على الجيش عوضا عنه وامره بالسير الى ايطاليا وكانت عدة هذا الجيش ثلاثين الفا ولم يؤثر هذا الامير على غيره لمعرفته بالعسكرة حيث لم يكن له من الصفات اللازمة لكل سرعسكر الا الشجاعة وهى ادنى الصفات فى هذا المعنى واكثرها وجودا واتماذا لثوقانه على ارباب ديوان فرانسيس الملوكى بحسن اطواره ولطف حركاته ودقة ذهنه وفصاحة كلامه وسحر بيانه وحلاوة لسانه وكان الملك فرنسيس يخالط ارباب ديوانه ويسامرهم اثناء الليل واطراف النهار فانهم صدموه من لطائف هذا الامير وبديع نكاته

حتى كان يخصه بمزيد الاعتبار والمراعاة وزيادة على ذلك كان الامير المذكور
عدو اللدوق بوربون فلم يملك من يعتمد عليه في الرئاسة على الجيش
الاهذا الامير

وكان المنوط بالمدافعة عن دوقية ميلان هو الامير كولون الذي كان
فتحها واخذها من الفرنسيين غير انه لم يكن معه من العساكر من يقوم بمقاومة
هذا الجيش الجسار ولم يكن عنده ما يفي بما هيأت عساكره وزيادة على ذلك
كانت عساكره كل يوم في النقصان بسبب الامراض والهروب فهذا هو الذي
جعله على الاهمال في الاحتراسات اللازمة لامن تلك الدوقية وحمايتها من
الاعداء فاقصر على كونه يجتهد في منع جيش الفرنسيين عن اجتياز نهر
تيرن وطنه يخرج في ذلك كانه نسي ما حصل له في واقعة مع الامير لوترين
من اجتيازه لهذا النهر مع غاية السهولة فخاب سعي لوترين
المذكور واجتاز الامير بونيويطة النهر بدون مشقة من مخاضة رآها
خالية عن الحصون وعمن يقوم بالمدافعة عنها فعند ذلك توجه عساكر
الامير لوترين الى مدينة ميلان عازمين على تركها متى وصل عساكر
الفرنسيين الى ابوابها الا ان الامير بونيويطة اهمل ولم يساير بالمسير جهة
المدينة ولا يعلم لذلك سبب غير ان المؤلف عيشاردين ذكر انه حصل له نوع
اختلال منعه عن المسير اليها فكثرت به ثلاثة ايام او اربعة واضاع بذلك الفرصة
المناسبة التي ابداهالها الدهر وذلك انه في انشاء تلك المدة افاق اهل ميلان
من فزعهم واخذوا اهبتهم للمدافعة وكان كولون اذ ذلك قد بلغ حد الثمانين
ومع ذلك كان نشطا ما هراو كان بجعبته الامير مورون وهو عدو مبين
للفرنسيين فاشتغل بالمدافعة في اصلح ما افسده الاعراض من الحصون
والاستحكامات وجعل ما يلزم من الذخائر والادوية والجنود من سائر البلاد
التي حولها فلم يصل الفرنسيون الى المدينة حتى صارت قوية حصينة
قادرة على مكافحة المحاصرات فهجم عليها الامير بونيويطة عدة مرات
بلا ثمرة بل تعبت عساكره من هذا الهجوم اكثر من عساكر اعدائه ولم يزل

سنة ١٥٢٣

كذلك حتى اشتد البرد فاضطر الى الاحتجاب في مساكن الشتاء حتى

بعضى هذا الفصل

وفي اثناء ذلك مات البابا اديان فقرح الالهالى بموته كل الفرح لانهم كانوا
يغضونه ويحتقرونه حتى انهم في الليلة التي اعقبت موته زينوا باكاليل
الازهار بيت الطبيب الذي كان يعالجه وكتبوا عليه هذه العبارة (مجي
وطنه) وبجزم موته اخذ الكردينال دوميدسيس يجتدد عوا في اخذ
منصب البابا ودخل مجلس الكردينالات مؤملا انه يخرج في ذلك وكان الالهالى
يجز مون بجاحه لان الایمبراطور كان يعينه كل الاعانة وكان لهذا
الكردينال كلمة نافذة ونسائط غريب في التحيل وكان بالغالغاية في انواع
المكر والخداع المشحونة بها المجالس القسيسية ومع ذلك عارضه اخصامه
فكث مجلس الكردينالات خمسين يوما وهو يتذاكر فين يتولى منصب
البابا وبعد ذلك كله غلبهم الكردينال المذكور وازال كل عائق وطهر على كل
مانع وانتخب بابا وتقلد حكومة الكنيسة وسمى كليمان السابع واقر الداس
كافة هذا الانتخاب لانهم كانوا يؤملون كل الخير في هذا الرجل الذي كان
بمعارفه وتجاريه العظيمة في المصالح يرويه قادرا على حفظ دين الكنيسة
وصيائته من مذهب لوتير وعلى ادارة مصالح الكنيسة السياسية مع
الحزم الذي كانت تقضيه الاحوال اذذاك وزيادة على ذلك كان له اقدار على
جعل الدول القسيسية محترمة كل الاحترام لما كان له من الشوكة في فلورنسة
واغنى عائلته وسعة ثروتها

هذا وكان الكردينال ولسي يطمع في نيل منصب البابا ولم تفر همته
بعدم نجاحه في الانتخاب الاول اى حين انتخب البابا اديان فكان
يطمع انه يخرج في تلك المرة وكتب الملك هنرى الى الایمبراطور يذكره
ما وعد به الكردينال المذكور من اعانتة على نيل منصب البابا واطهر
الكردينال ولسي في الحاحه ما يليق بعظم المنصب الذي كان يتطلبه وكتب
لوكلاثة في مدينة رومة امر اقطاعيا بانهم لا يتركوا شيئا يلزم صرفه

مطلب

موت البابا اديان

السادس

مطلب

انتخاب كليمان السابع

في ٢٨ من شهر تشرين

الثاني

مطلب

عدم نجاح الكردينال

ولسي في نيل منصب البابا

نعم وحققه

في المهدايا والرشوة الاصرفوه ولا وعدا الا وعدوا به لاجل نجاحه في هذا
المأرب ولكن لم يتصد الا ايمبراطور شرلكان لاعانتته في هذا الامر ولا يعلم
لاى شئ كان يعده قبل ذلك فمل كان وعده اياه من قبيل الاماني الباطلة التي
كان مصمما على عدم الوفاء بها اولانه رأى حينئذ انه من عدم الحزم والرأى
أن يتصدى لانتخابه وان كان حقه في ذلك ايسر دون حق الكردينال
دوميدسيس ولا مانع من كون الكردينال لم يتصدوا لانتخابه خشية
ان يجر ذلك لغضب الرومانيين لانه كان اجنبيا منهم لاسيا وكان غضبهم من
البابا ادریان المتوفى لم يزل من اذهانهم فبعد ان بذل الكردينال ولسى
غاية جهده شاب سعيه وطلقه غم عظيم حيث رأى ان من تولى على كرسي الكنيسة
صغير السن عظيم الذية سليم الصحة فلم يبق له رجاء بساقيه ويخفف آلامه واحرانه
بل ولم يبق له رجاء الفسحة في عمره حتى يموت البابا المتولى ويسعى في تحصيل
امنيته ولماخاب سعيه في تلك المزة ايضا - لم انه لا يوثق بكلام ايمبراطور وانه
ليس من اهل الوفاء واضطربت في قلبه نيران الحقد والغضب التي يكون مثلها
في قلوب كل متكبر خاب املة وغشه غيره وكان البابا كيمان يعرف ان دأبه
الحقد واضمار الانتقام ففعل معه اشياء لطيفة ليسانه ويرى غيظه فجعله
نائب عنه في بلاد انكلترة مدة حياته وجعل له التصرف المطلق فيها حتى
كانه بابا تلك المملكة ولكن لما لم يغز الكردينال ولسى بمنصب البابا
في تلك المزة غضب على ايمبراطور شرلكان وانقضت الاسباب التي كانت
تربطهما ببعض وصار هذا الكردينال من ذلك الوقت لا يفتكر
الا في الانتقام من ايمبراطور شرلكان ولكن لزمه ان يخفى هذا القصد
عن سيده الملك هنرى حتى تساعد الاحوال على اخراجه من معاهدة
ايمبراطور وارتقاع القشل والشقاق بينهما ولذلك لم يظهر مايدل على نغمة بل كان
اذا تكلم امام الخاصة او العامة يسدى انه حصل له غاية السرور من تولية
الكردينال كيمان على منصب البابا
وقد وفى الملك هنرى مدة الحرب بجميع ما التزم به في معاهدته مع ايمبراطور

مطلبه

حرب هنرى في بلاد فرنسا

* (المقالة الثالثة) *

١٩١

بتاريخ الابرار وشراسكان

سنة ١٥٢٣

على ملك فرنسا غير ان حربه لم يكن على وجه السرعة كما كان يؤمله وذلك
انه لا سرافه في ابراداته كان لا يجسد غالباً ما يحتاج اليه من الدراهم وكانت
حينئذ طريقة الحروب في بلاد اوروبا مبينة للطريقة التي كانت جارية
قبل ذلك فان العساكر بعد ان كانت تجمع مع السرعة وكان اكل جماعة
رئيس مخصوص وكانوا جميعاً يتبعون اميرهم في الحروب ولا يمكنون فيه
الا بما معدودة ومصاريفهم على انفسهم تغير الحال في عصر هنري
فكان يلزم لجمع العساكر مصاريف واسعة وتجعل لهم ماهيات جسمية
ولم يكن الامر كالسابق من ان افريقين المتحاربين كانا يجزعان من طول
الحرب فينهيانه بمحاذة يثبت فيها الطرف لمن تساعده المقادير لاسيما وكانت
المدائن اذ ذلك غير حصينة فمن واقعة واحدة كان ينبت الامر ويظهر الغالب
من المغلوب ويرجع البارونات مع اتباعهم الى اشغالهم اليومية بل كانت
المدائن في عصر هنري حصينة محكمة المباني وفيها من يدافع عنها مع
القوة والعزم فبعد ان كان فن الحرب سهلاً بسيطاً صار فناً مشكلاً كثير
اللوازم وبناء على ذلك كانت تطول مدة الحروب ولا ينتهي القتال الا بعد
المشاق الفادحة فازدادت بذلك مصاريف الحروب حتى سئم الاهالي منها
حيث لم يكن يكوون متعودين الا على دفع مغارم خفيفة لا تضربهم فكان ذلك
مدسماً للتقير والشح الذي اتخذ ارباب جمعيات المشاور الانكليزية ديناً وديناً
ولم يمكن للملك هنري مع صولته وشوخته ان يردهم عنه لكنه لما طلب
لاجل هذا الحرب اسداد امان الجمعيات البلدية وابت ان تعطيه استعان عليها
بجزية كانت ثابتة للولك انكثرة حينئذ وهي انهم لهم التصرف المطلق
في رعاياهم فهذه الوساطة حصل ما كان يحتاج اليه من الدراهم ولكن لم يكن
ذلك الا بعد مدة مستطيلة حتى انه مضى معظم فصل الشتاء قبل أن يبرز جيشه
الى ميدان الحرب مع سرعسكره الدوق سوفولك وبعد تجهيز جميع اللوازم
سار السرعسكر المذكور بالجيش وضمه الى طائفة عظيمة من عساكر
الفلمنك ونوجه الى اقليم يسكارديي وكان لا يوجد فيها من يدافع عنها

٢ شهر ايلول

سنة ١٥٢٣

لان الملك فرنسيس حينئذ كان لا يلتفت اليها وانما كان مرامه أن يستولى
ثانيا على دوقية ميلان فلم يرزل الدوق سوفولك سائرا بدون عائق حتى
وصل الى شواطئ نهر الوازة بعيدا عن مدينة باريس بسبعة فراسخ
فخرج اهل هذه المدينة وداخلهم الخوف والرعب لان الملك كان حينئذ بمدينة
ليون فأرسل اليه سرية من العساكر فن مهاره ضباط الفرنساوية ونشاطهم
لم يمهوا العدو لا ليلا ولا نهارا حتى الجأوا الانكليز الى الرجوع لاسيما وكافوا
في شدة الشتاء وفقد الزاد منهم وكان حكم دار تلك السرية الامير لاتريموي
فاز الفتحا حيث دفع مع شرذمة قليلة من العساكر جيشا جارا واجلاه من
ارض فرانساً مخذولا وانهمز ايضا عساكر الايمراطور في بورغونيا
وفي غيانة وان كان الملك فرنسيس لاهماله لم يحصن هذين الاقليمين
على ما ينبغي لكن شجاعة جنرالاته سدت مسدما فاته من انتبصر في العواقب
فطردوا العساكر الالمانية التي هجمت على اقليم بورغونيا
والعساكر الاسبانيولية التي هجمت على اقليم غيانة وخسرت خسرا نا
كبيرا

وبذلك انتهت واقعة ١٥٢٣ سنة التي ساعدت المقادير فيها فرنسيس وثبت له
الظفر والنجاح حتى صار له موقع عظيم في قلوب الافرنج واعتبروا له بقوة الشوكة
والصولة كيف وقد كشف فتنة مهولة ودمر اهلها وجبر من دبرها وهو
الدوق بوربون على الخروج من المملكة حثيرا ذليلا لم يتبعه احد من خدمه
وحشمه وافسد على العصبة القوية التي تحزبت عليه سائر مقاصدها
واغراضها وعرف كيف يدافع عن دوله وكان العدو قد هجم عليها من ثلاث
جهات مختلفة وزيادة على ذلك طفر جيشه الذي كان حينئذ ببلاد ايطاليا
حيث استولى على نصف دوقية ميلان وان كان ذلك دون ما كان يؤمل
منه لزيادة عدده عن عساكر العدو

واما الواقعة التي اعتبرت تلك الواقعة فكانت مباديها مشؤومة على مملكة
فرانساً وذلك انه ضاع منه مدينة فونترابي لجبن حكم دارها او خيانتها

مطلبه
انتهاء الحرب

سنة ١٥٢٤

مطلبه
رأى البابا الجديد في ٢٧
من شهر سبباط

سنة ١٠٢٣

وصح المتعاهدون في بلاد ايطاليا على بذل جهدهم في طرد الامير
بونيويطة مع جيشه من الجزء الذي كان تغلب عليه في دوقية ميلان
وهي البلاد التي خلف نهر تيزان الان البابا كليمان وان كان قبل
توليته في زمن كل من البابا ليون والبابا اديان يظهر البغضاء
للفرنساوية صار ينظر بعين الغيرة والحسد الى غموشوكه الامبراطور وازدادها
قاي ان يقر كغيره ممن سبقه من البابا العصبة المتحيزة على ملك فرنساوية
ونسى بغضته لهم وبذل جهده في الاصلاح بين الفريقين ولكن خاب سعيه
في ذلك لان المتعاهدين جمعوا جيشا عظيما وارسلوه الى دوقية ميلان
في اول شهر اذار وبعد موت الامير كولون تقلد رئاسة هذا الجيش الوزير
لانواي الذي كان نائب الملك في نابلي لكن انيط بعمليات الحروب الجسمية
الدوق دي بوربون والمتمزم بسكير لان هذا المتمزم كان انشط الجنرالات
الالمانية واعظمهم في المهارة والحذق واما الدوق دي بوربون فكان
لا غاظته من الملك فرنسيس يذل جميع مجهوداته لاسيما وكان يعرف طبع
الجنرالات فرنساوية وعساكرهم ويعرف قوتهم وضعفهم فكان له اقتدار
عظيم على احكام ادارة الجيش الا انه كان هنالك عوائق اخرى وهي
ان الامبراطور كان لا يمكنه تحصيل الدراهم اللازمة لتنفيذ المشروعات الجسمية
التي ازم عليها فلما اراد الجنرالات ان يتوجهوا بالعساكر الى العدو امتنعوا عن
السير الا اذا صرفت لهم ماهية عدة اشهر كانت باقية لهم فاخذ الضباط
يهتدونهم تارة ويخادعونهم اخرى ولم يجد ذلك نفعا بل استمروا على تصميمهم
وعزموا على نهب دوقية ميلان ان لم يجابوا بالمطلوبهم ولكن كان للاسير
سورون كلمة نافذة في هذه الدوقية التي هي وطنه فاخذ من اهله المبلغ اللازم
لدفع ماهيات العساكر وبعد ان صرفت لهم ماهياتهم توجهوا للقاء
العدو

مطلبه

مبادرة جيش الامبراطور
الى الحرب

مطلبه

تأخير الحرب بسبب مكر
العساكر وامتناعهم عن
السير الى العدو

مطلبه

اضطرار فرنساوية الى
ترك دوقية ميلان

سنة ١٥٢٣

الاعداء فحصلت عدة مصادمات ذكرها على حقيقتها مؤرخو ذلك العصر ولا حاجة الى ايرادها هنا لانها بمنزلة غرضنا فلا تتوقف عليها الفائدة ولا تنشوق اليها النفس وبعد تلك المصادمات العديدة اضطر الامير بونيويطة الى ترك محطه نفيسة كان قد نزل بها قريبا من مدينة بياغراسه ولولم ير فعل عن هذه المحطة لاعائته كثير على الاعداء فبعد ارتحاله بقليل اختل نظام جيشه لعدم حسن ادارته ولقوة العدو ولانهم كانوا يحملون على جيشه حملة منكرة ويبددون ثمنه بضرب النار ويحاولون أن لا يصادموه وهو مصطفى منتظم وزيادة على ذلك كان للامير بونيويطة ستة آلاف من عساكر السويسيين بالبعد عنه بمرحلة فلما كتب لهم أن يحضروا اليه عصوه وابوا اللعوق بجيشه فاضطر الى الالتجاء والفرار الى فرانسسا وكان سبيله وادي اوسته فها وصل الى شواطئ نهر سيسي عازما على اجتيازه الا وظهر الدوق دي بوربون والامير بيسكير مع طليعة جيش الامير بطور وراقضا على مؤخر جيشه فثبت بونيويطة امامها وابدى العجب العجيب حتى جرح جرحا بليغا جابهه على ترك ميدان الحرب فسلم ساقة الجيش للفارس بيار وكان شجاعا من الابطال الا انه لعدم تعلقه لم يصل الى الرئاسة استقلالاً على جيش ولكن كان يعول عليه في الخطوب الجسيمة ويناط بالوظائف المهمة التي توقع غيره في الخيرة والارتباك فصار امام الخيالة ولاقى الاعداء مع الثبات وقوة الجنان وتأسى به العساكر فحملوا على العدو وحمله صادقة فامكنه بذلك ان يسهل الالتجاء على بقية الجيش الا انه جرح جرحا قاتلا فلم يمكنه ان يثبت على ظهر جواده فامر بعض اتباعه ان يسندوه الى شجرة ويجعل وجهه مقابلا للاعداء ورفع سيفه بيده عوضا عن الصليب وصار ينظر الى مقبضه ويدعو الله تعالى حتى مات على هذه الهيئة التي زاده شرفا في ديانته وشجاعته وكان الدوق دي بوربون امام عساكر الاعداء فلما وجدته قبل موته على هذه الحالة رثى لحاله واطمهر له التأسف والتحسر فاجابه بيار بهذه العبارة لا ينبغي التأسف على مثلي اذ انا اموت شريف العرض في تأدية ما يجب علي وانما ينبغي

مطلب
موت الفارس بيار وانهزم
جيش الفرنسيين

سنة ١٥٢٣

التأسف على شقاوة من خان ملكه ووطنه ونقض عهده * ومزبه ايضا الملتزم
بسكرير ومدح فضائله وتأسف على فقده واطهر له من الشفقة غاية ما يؤمل
من عدوكريم النفس واراد ان ينقله من محله فرأى ان ينقله مشقة وخطرا
فأبقى به هذا المحل ونصب له فيه خيمة وابقى عنده اناسا يقومون بخدمة
ومعاليته لكن لم تنفعه المعالجة بل مات في ميدان الحرب كآبائه واجداده
منذ عدة اجيال فاخذ الامير بسكرير جسمه وصبره وارسله الى اطاربه فانظر
كيف كانوا في تلك الاعصر يحترمون صاحب المعارف في العسكرية حتى
ان دوق سابوة امر بان كل مدينة من اراضيهم تمر بها جنة الفارس بيار
يجب عليها ان تؤدى له من التشرىف ما يجب اداؤه بلنارات الملوك ولما وصل
الى وطنه وهو اقليم دوفينه صنع له فيها محافل عظيمة وشيع جنازته سائر
الناس على اختلاف حرقم ومراتهم

وسار بونيويطة الى فرانسا مع من بقى من جيشه وفي هذا الحرب التصير
المدة جرد الملك فرنسيس عن سائر اراضي ميلاد ايطاليا ولم يبق له
فيها ولي ولا نصير

وحين كانت نيران الحرب مستعلة في عدة من ممالك الاخر فج بسبب معاداة
الاميراطور شرلكان والملك فرنسيس لبعض كانت بلاد المانيا
في صلح عظيم وراحة نامية نعين على تقدم المسيح في الدين واتساع دأثرته * فني
مدة ما كان لوتير محتكما في قصر وارتنورغ حصل ارجلا من تلامذته
يسمى كرلوس تاد كان قد شرب من مشربه وان كان دونه في الحزم والسياسة
مذلل جهده وادخل في اعتقاد العامة امورا باطلة واوهاما عاطلة تصير بمذهب
لوتير وغيره واشربت في قلوبهم مواعطه حتى عصوا في عدة قرى من دوقية
سكس وخرّبوا الكنائس وكسروا صور القديسين التي كانت تلك الكنائس
محفوفة بها ولا شك ان مثل هذه الفعال كانت تغضب الامير فريدريك
منتخب سكس الذي كان يدافع عن لوتير في حماه ولولم يكن منعها على
وجه السرعة لكفت في انصاله وتحليه عن حرب لوتير لان هذا الامير

مطلب
تقدم المسيح في بلاد المانيا

سنة ١٥٢٣

في ٢٦ من شهر اذار
سنة ١٥٢٢

المنتخب كان يحاذر منهما امكن ان لا يغضب الامير اطور وغيره من الملوك الذين كانوا قائلين بتأييد المذاهب الدينية القديمة ولما كان لوتير يعرف ان ذلك يكون به عرضة للخطر ويؤدي الى اضراره وتعطيل مذهبه خرج فوراً من القصر المذكور من غير ان يستأذن الامير فريدريك ورجع الى مدينة ويتيمبرغ وبمساعدة الاقدار كان الناس يحترمون لوتير كل الاحترام ويهابونه حتى انه يجرد وصوله الى العاصمين سكنوا واقبلوا عن الفعّال القبيحة التي ارتكبوها وزعموا انه لم يحتمهم على ذلك احد من البشر وانما سمعوا صوت ملك يناديهم ويأمرهم به

وقبل ان يخرج لوتير من ملجئه كان قد شرع في ترجمة الكتاب المقدس (كتاب العهد القديم والجديد) باللغة الالمانية ومثل هذا كان مشروعا صعبا لكنه رآه مهما اجدا ويعينه حق الاعانة على مقصوده فصمم على ترجمته ولم يكثر بصعوبته ولا شك انه كان مستكملا لجميع الصفات التي بها يكون النجاح في مثل هذا المشروع الصعب وذلك انه كان له المام في الجملة باللغات الشرقية وكان له معرفة غزيرة بالكتب المقدسة وانشأت الاحبار الماهمين وكان يعرف لغة وطنه (اللغة الالمانية) حق المعرفة وكان انشاؤه فيها بليغا ظريفا لا تعلوه بلاغة في تلك اللغة وان كان انشاؤه في اللغة اللاطينية صعبا ركيكا تسأم منه النفوس فلم يكثر اجتهاده ومواطبته واعانة تلميذه ميلختون وغيره من تلامذته الخباء ثم جزأ من كتاب العهد الجديد سنة ١٥٢٢ وكانت اذا عت ترجمه هذا الجزء اكثر نشر الكنيسة رومة من سائر الكتب التي فيها لوتير في هذا المعنى وذلك ان الناس على اختلاف مناصبهم وحرفهم قرؤوه واعتنوا بقرآته كل الاعتناء وتعجبوا حين رأوا ان دين عيسى عليه السلام في الاصل مخالف بالكلية لدين الكنيسة الرومانية ومنافض لسنن الباباوات الذين يزعمون انهم خلفاء عيسى عليه السلام وحفظه امرار دينه وحيث كان يوجد في الانجيل قواعد الدين ظن الناس ان كل انسان له اقتدار على تطبيق تلك الاصول والاحكام الدينية وعلى البحث في مذاهب

مطلب
ترجمة لوتير الكتاب المقدس

سنة ١٥٢٤

مطلب
ابطال المواسم والمحافل
الدينية في عدة مدائن

الوسائط التي استعمالها
ادريان ايمع تقدم مذهب
لوتير

الكنيسة ومعسرة ما هو موافق منها لدين المسيح وما يخالفه فلما رأى احراب
لوتير قبول الناس لترجمته اقتدوا به في ذلك وترجموا الكتاب المقدس بعبارات
يفهمها الخاص والعام ونشر وترجمته في سائر الاقطار الاخرى

وحصل في انشاء ذلك ان مدينة نورمبرغ ومدينة فرنس فورث
ومدينة همبورغ وعدة مدائن اخرى كبيرة من بلاد المانيا قد انبعت
الدين الجديد وابطلت بامر ولايتها القديس وغيره من المناسك الدينية التي
كانت تأمر بها كنيسة رومة وقام كل من الامير منتخب برندبورغ
ودوق برونسويك ودوق لونبورغ وامير انهلته بحماية مذهب
لوتير وتعضيده وامر واتباعه في سائر اراضي دولهم

فصار ارباب ديوان رومة في غم شديد بسبب هذه المصيبة التي كانت كل يوم
في نمو وازدياد وكان البابا اديان بمجرد وصوله الى ايطاليا قد اعتنى
بتحصيل ما يكون به دواء هذا الداء فجمع مشورة الكردينالات ايتذاكر معهم
في هذا الشأن وكان اديان متمكنا من علم اللاهوت الاسكولاستيكي
وامتاز فيه من صغره وكان هذا العلم اصلا في شهرته وفلاحه فلم يزل يحبه ويذب
عنه حتى كان لا يفرق بين الكفر وبين قدح لوتير في العلماء الاسكولاستيكيين
لا سيما قدحه في العالم تومه آين لان آراء هذا العالم كانت تطهره
واضحة مبينة على براهين وادلة قوية لا يمكن نقضها فكان رأيه انه لا يناقض
تلك الا راء ولا يشك في صحتها الا من طمس على بصره وبصيرته وضل في اودية
الجهالة او كان دأبه انه يكتف الحق وان اعتقده وبالجملة فما كان احد من البابا
يدافع عن مذهب الكنيسة كالبابا اديان فان البابا ليون العاشر كان
يدافع عن مذهب الكنيسة القديم لمجرد انه كان يخشى على الكنيسة الضرر
ان حصل في مذهبها تغيير وتديل واما البابا اديان فكان يعضد هذا
المذهب القديم ويرى في الاستدلال على صحته جميع ما يتدر عليه علماء
اللاهوت الاسكولاستيكي من جدل وعناد غير انه لما كان من طبعه الورع
والزهد وكان منزها عن جميع افاسد التي كانت حينئذ بدويان رومة

سنة ١٥٢٤

في تشرين الثاني

سنة ١٥٢٢

كان يعترف ان ديوان رومة مشحون بالمقاسد وكان يسخط باطناء على ارباب هذا الديوان بقدر ما كان يسخط عليهم احزاب لوتير وعماديل على ذلك الفرمان الذي ارسله الى مشورة الديينة التي انعقدت بمدينة نورمبرغ والامور التي اوصى بها القسيس شيريفانو حين ارسله الى تلك المشورة لينوب عنه فيها فن جهة شنع في هذا الفرمان على آراء لوتير تشديعا لم يسبق قبله من البابا ليون العاشر وبنخ فيه امرآه المانيا على كونهم تحملا لامن هذا المبتدع ان ينشر بين الناس آراءه المضرة واهملوا في اجراء امر الامبراطور الصادر الى مشورة الديينة المنعقدة في مدينة ورمس وامرهم ان يحرقوا لوتير ان لم يبادر بالاقلاع عن اعتزاله وضلاله وان لا يعمد لولاه في ابناء النصرانية كعضو قد شل من بدن ولا حرج في ازالته وقطعه كما فعل موسى عليه السلام حين قتل الراض دانان والراض آيرون وكما قتل الحواريون المعتزل أنانياس والكافر سافيرة وكما قتل ايضا بعض الملوك والامراء ابناءهم لهذا السبب * ومن جهة اخرى اعترف في هذا الفرمان ان فساد حال ديوان رومة هو السبب في ايقاع الكنيسة في تلك المصائب ووعد بان سبذل غاية جهده في ازالة تلك المظالم والمقاسد بقدر ما تسوغه له مقتضيات الاحوال وترجي من امرآه المانيا ان يعينوه في اجراء ما يكون به ازالة الاعتزال الموجود في بلادهم

فبعد ان قرأ ارباب مشورة الديينة فرمان البابا انتوا عليه في نظير محبته للكنيسة وشكروه على حسن مقاصده واعتذروا له عن عدم اجراء امر الامبراطور الذي صدر لهم في مدينة ورمس بكونهم لم يسهل عليهم ذلك لكثرة احزاب لوتير وانصاره وبان ديوان رومة كان مبغضا عند الرعايا لشدة ظلمه وعدوانه فلذا كان اجراء ذلك الامر خطرا جدلا كان من قبيل المستحيلات وابدوا انه يلزم الان اتخاذ احتراسات جديدة قوية لشفاء غليل اهل المانيا مما يتشكون منه حيث ان شكواهم في محملها لكونها مؤسسة على مظالم كبيرة لا تطاق كما سيعلم البابا باطلاعه على الجدول الذي سيعرضه

مطلب

استدعاء مشورة الديينة المنعقدة في نورمبرغ بان تعقد مشورة قسيسية عامة لتتناكر في ازالة

اسباب الاعتزال

سنة ٥٢٤ هـ

عليه ارباب مشورة الدييئة فكان رأى ارباب هذه المشورة ان لا دواء يصلح لهذا الداء ويعيد الكنيسة الى قوتها الاولى الا بجمع مشورة قيسية عامة وبناء على ذلك اشاروا على البابا ان يستأذن الإمبراطور ويجمع في اقرب وقت تلك المشورة في احدى المدائن الكبيرة ببلاد المانيا وكل من كان له حق في الحضور بتلك المشورة يأتي اليها آمنًا مطمئنًا ويبدى رأيه كيف شاء والا فبخشى على الدين القديم من الضياع

مطلبه —

تحيل نائب البابا ومحاوَلته
لاجل منع انعقاد تلك
المشورة القيسية

ولكن لما كان نائب البابا اروغ منه واكثر نباهة واعرف بمقاصد ديوان رومة وآراءه السياسية فزع حين سمع انهم يريدون جمع مشورة قيسية عامه لانه كان يعلم انه من الخطر لكنيسة والبابا ان تجمع تلك المشورة في ذلك الزمن اذ كان اغلب الناس حينئذ يعضون البابا ويكررون حكمه عليهم وقل عندهم احترامه واخذوا يخرجون عن طاعته فاستعمل جميع ما في طاقته من التحيل والخداع ليحمل ارباب مشورة الدييئة على مطاردة لوتير ويتركوا مقصدهم من عقد تلك المشورة العامة ببلاد المانيا ولكن حيث ادرل ارباب الدييئة ان نائب البابا يريد بذلك مراعاة مقاصد ديوان رومة لا المحافضة على ابقاء الراحة في الإمبراطورية ولا على ابقاء الكنيسة الرومانية طاهرة منزهة عن الدنس والارجاس لم يتحولوا عن مقصدهم واستمروا على تحرير جداول يتضمن شكواهم ليعرضوه على البابا ولما خاف نائب البابا ان يوكوه بجمع هذا الجدول ليوصله الى ديوان رومة وهو لا يجب ان ينقل الى الديوان مثل هذا الخبر المشؤم عجل بالخروج من مدينة نورمبرغ ولم يستأذنهم

مطلبه —

عرض مشورة الدييئة
على البابا جداول مشتملا
على مائة شكوى

فحرر امرآه الا هالى ارباب المشورة جداول مشهورا في تواريخ المانيا يشتمل على مائة مادة يتشكون منها وبعدونها من مظالم ديوان رومة واما امرآه القسوس الذين كانوا بتلك المشورة فاقصروا على عدم المعارضة في هذا الشأن لانهم رأوا انه لا يليق بهم استحقاق ذلك والرضاء به ولا ينبغي ان اغلب هذه الشكاوى كان غير ما ذكر في الجدول الذي حرر في عهد الإمبراطور

سنة ١٥٢٤

مكسيكيان ولا نذكرها هنا تفصيلا خوفا لاطالة وانما نقول انهم تشكوا من المبالغ التي كانت تضرب على العفو والبراءة والغفران ومن المصاريف الكثيرة التي كان يغرمها من اقيمت له دعوى في ديوان رومة ومن مزينة كانت للقسوس من انهم لا تجرى عليهم الاحكام المدنية كسائر الاهالي ومن الحيل والمخادعات التي كان يستعملها قضاة القسوس ليطلعوا على سائر الدعاوى المدنية ومن قبح سلوك معظم القسيسين وفساد اخلاقهم ومن عدة امور اخرى مستفجة قد ذكرنا اغلبها في ضمن الاشياء التي اعانت على تقدم مذهب لوتير وقبول ارائه بين الناس وختم الامر آ هذا الجدول بقولهم ان لم يبادر البابا بازالة هذه الاشياء الذميمة المضرّة فلا صبر لنا بعد ذلك بل نبذل في انقاذ انفسنا منها جميع ما يبسر الله تعالى لاننا من القوة والطاقة

ومع ان نائب البابا الح على ارباب الديانة ان يطاردوا لوتير واحزابه ويضيقوا عليهم كل التضيق صدر منهم امر كسائر اهالي الايمراطورية ان يبقوا على ما هم عليه حتى تجتمع المشورة القسيسية العامة ولا ينبغي نشر شيء من العقائد والمذاهب الجديدة يكون مخالفا للمذاهب الكنيسة حتى تنعقد تلك المشورة القسيسية وتحكم بما تستصوبه وصدر ايضا امر بان سائر الخطباء والوعاظ لا يتحدون في خطبهم لذكر شيء من الامور الغامضة الجديدة وانما يقتصرون على ذكر حقائق الدين كما هي لمجرد افادة العامة

وكان لاحزاب لوتير نفع عظيم وفائدة كبيرة من هذه الاوامر الصادرة من مشورة الديانة وذلك انها تدل اوضح دلالة على الفساد الموجود في ديوان رومة وتدل ايضا على ان المغارم التي كانت تضربها القسوس على الناس كانت زائدة عن الحد لا تطبقها الانفس وكان لهم في فرمان البابا ما يدل على صحة قدحهم وتشجيعهم على الكنيسة بالنظر لالامر الاول وهو فساد ديوان رومة واما الثاني وهو ضرب المغارم المتجاوزة للحد فاقره وكلاء الجمعية الجرمانية في مشورة الديانة وكان انصار المذهب الجديد في تلك المشورة اكثر عددا من انصار الدين القديم واقوى منهم بأسا وشوكا وجعلوا

مطالب
حاصل ما لم تحط عليه
الاراء في مشورة الديانة
في ٦ من شهر اذار
سنة ١٥٢٣

سنة ١٥٢٤

المظالم التي كان لوتير يشنع بها على الكنيسة الرومانية من جملة الأمور التي كانت اهالي الإمبراطورية تنسكي منها فلذلك صار لوتير واصحابه في سائر المؤلفات الجدلانية التي نشروها بعد ذلك بين الناس يستدلون بقول البابا ادریان والمائة شكوى التي حررها ارباب مشورة الديتة على صحة ما كانوا يقولونه في اختلال ديوان رومة وطلم القسوس وطمعهم

مطلبه
ما كان يلام ادریان على فعله

واما اهل رومة فرأوا ان سلوك ادریان بهذه المثابة محاييل على حقه وعدم حمدا لان ارباب ديوان رومة كانوا قد طبعوا على مثل خست دواوين البابات وتعودوا على اتخاذ قعهم نصب اعينهم في سائر افعالهم ولا يراعون عدالة ولا حقا فتعجبوا كل العجب من البابا ادریان حيث عدل عن نهج الحزم الذي كان يتبعه البابات قبله واعترف بان الكنيسة لا تخلو عن الخلل والفساد واجب من ذلك انه كان يستعين بأراء اناس كان حق ان يأمرهم بمشاه لان يستشيرهم في اموره فكان ارباب هذا الديوان يخشون ان يستند لوتير واحزابه على قول ادریان فلا يزالون على اعتزالهم وعنادهم ورمما أدى ذلك الى ضعف شوكة البابات وترتب عليه سد الابواب التي تأتى منها ايرادات القسوس واموالهم فلذا كانوا يحاولون منع ادریان عن التغيير والتبديل الذي كان يريد احداثه في الكنيسة الرومانية فكان في تعب شديد من جهتين مختلفتين الاولى عناد لوتير والاخرى قبح سلوك اهل ايطاليا وفساد اخلاقهم وطالما تأسف على زمن قضاه في رئاسة دير لوان وان كان هذا المنصب دون منصبه الا انه كان به في راحة تامة لا يرى ما ينقص عليه عيشه وينعه عن تخبير مقاصده الحسنى

مطلبه
الاحتراسات التي اتخذها كيان لا بطل مذهب لوتير

واما البابا كليمان السابع الذي تولى بعد موت ادریان فكان يفوقه في السياسة وفي الحكم بقدر ما كان ادریان يفوقه في حسن الاخلاق وصفاء النية فكان كبقية البابات يكره انعقاد مشورة قسيسية كل الكراهة خصوصا وكان لم يول منصب البابا الا بطريق غير موافقة للتوانين فكان يخشى من

سنة ١٥٢٤

انعقاد تلك المشورة لانهار بما نازعت في قوله فلاجل أن يخرج من تلك الحيرة التي اوقعه فيها عدم حزم اديان الذي كان قبله لزمه ان يحاول كل المحاولة في اجابة اهل المانيا عن الامرين اللذين كانوا يطلبونهما اعنى انعقاد المشورة القيسية وازالة المظالم والمفاسد من ديوان رومة فانتخب رجلا حاذقا فطنا وبعنه ليكون نائبه عنه في مشورة الديانة التي انعقدت ثانيا في مدينة نورمبرغ وهو الكريشال كميجه الذي كان البابا قبل كليمان يفوضون له الامر في انهاء مصالح جسيمة حجة وبت امور صعبة مهمة وكان يوفى بها حق التوفية

فلما حل الكريشال كميجه بمشورة الديانة لم يتعرض لذكر ما حصل في المشورة السابقة بل وعظ الناس بخطبة طويلة موضوعها تحريض ارباب المشورة على اجراء الامر الصادر من الامبراطور الى المشورة التي انعقدت بمدينة ورمس لانه لا يمكن منع اعتزال لوتير الابهذا الامر فاجابه ارباب المشورة بانهم يريدون أولا ان يعرفوا رأى البابا في شأن ماعرضه عليه وهو طلب عقد المشورة القيسية وازالة المظالم التي ذكروها في تقريرهم فحاولهم أن لا يبيحهم عن الغرض الاول وهو عقد المشورة القيسية حيث اجابهم بكلام مجمل مبهم وهو ان غرض البابا البحث عما فيه المصلحة للكنيسة الرومانية واما الغرض الثاني وهو ازالة المظالم المذكورة في تقريرهم فاجاب عنه بان التقرير لم يصل الى رومة الا بعد موت البابا اديان وبناء على ذلك فهو لم يعرض على البابا الجديد حتى يظهر رأيه في هذا الغرض ولكن قال امام ارباب المشورة ان هذا التقرير الذي ارسل الى البابا يستعمل على موافقها اساءة ادب في حقه وان ارباب المشورة قد اساءوا الادب ايضا في حق الكنيسة الرومانية حيث امروا بنشر تلك المواد بين الناس وختم كلامه بطلبه منهم ان يضيءوا على لوتير واتباعه كل التضييق ووافقه على هذا رأى رسول الامبراطور واذا ان الامبراطور يريد تنسيق الكنيسة وابقاءها محترمة مجله ومع ذلك فكان حاصل مذاكرات هذه المشورة عين ما انخطت

مطلب

مداولة نائب البابا

في مشورة الديانة

المنعقدة ثانيا بمدينة

نورمبرغ في شهر سباط

سنة ١٥٢٤

(المقالة الرابعة)

٢٠٣

بتاريخ الامبراطور شرلكان

سنة ١٥٢٤

الآراء في المشورة المنعقدة قبلها ولم يزد عليه شيء من التشديد والتضييق على لوتير ولا على اتباعه واحزابه
وقبل أن يخرج الكردينال كبيجة من بلاد المانيا نشر بين الناس بعض قوانين لطيفة كان غرضه منها استعطفهم واستماله قلوبهم لان هذه القوانين كان فيها ازالة بعض اشياء من المظالم والمفاسد التي كان يرتكبها اسافل القسوس ولكن كانت قليلة فلم تشف غليل اتباع لوتير ولم تجد نفعا في تسكين غيظ الناس لان هذا الكردينال بفعله ذلك كأنه انما قطع بعض فروع من شجرة خبيثة الاصل كان اهل المانيا يريدون قلعها واستئصالها من جذرها

(المقالة الرابعة)

من اتحاف ملوك الزمان

بتاريخ الامبراطور شرلكان

كان اهل ايطاليا يجزمون بانه بعد ان هزم الفرنساوية وطردهم من دوقية ميلان ومن اراضي جمهورية جنويرة لا بد من انقطاع الحرب بين الامبراطور شرلكان والملك فرنسيس ولما رأوا انه لم يبق في ايطاليا بعد طرد الفرنساوية منها ملك ذو شوكة وقوة يمكنه ان يقاوم الامبراطور صاروا يخشون من ازدياد قواه ونمو شوكتهم واخذوا يبذلون غاية جهدهم في ايقاع الصلح بين الفريقين وكان السبب الاصل الذي دعاهم الى المعاهدة مع الامبراطور هو أن يردوا الى الامير سفورس بلاده الوراثة فلما بلغوا هذا العرض لاحظت منهم علامات تدل على انهم لا يريدون من الا ان فصاعد اعانة الامبراطور على خصمه الملك فرنسيس وانه قد حصل لهم باطننا غير من نظر الامبراطور وازدياد شوكتهم وصولاته لاسيما البابا كليمان فانه كان يخاف كثيرا من طمع الامبراطور وبذل غاية جهده في ان يغرس في قلبه حب القناعة وترك الطمع وان يستميله الى الصلح كما استدل على ذلك بمراسلاته التي حررها للامبراطور وبكلام رسله الذين بعثهم اليه لمذا العرض

مطلب

آراء دول ايطاليا في شأن مصالح الامبراطور شرلكان والملك فرنسيس

تصميم شريكان على
الهجوم على مملكة فرنسا

ولكن لنجاح الامبراطور وشدة طمعه وتحرير الدوق دي بوربون اياه
لانه كان يريد الانتقام لنفسه لم يلتفت الى قول كليمان بل اظهر انه صمم على
الحرب وانه لا يمكن ان يرجع عن نيته وانه سيامر جيشه بان يسير من جبال
البنة ليهجم على اقليم برونسة لانه غير حصين وحاول ارباب الخبرة والتجارب
من وزرائه ان يحولوه عن هذا القصد ويبدوا له انه صعب عليه لقلة عساكره
وفساد امواله فلم يجد ذلك شياً لانه كان يؤمل ان ملك انكلترة سيعينه اتم اعانة
وزيادة على ذلك كان الدوق دي بوربون يعد به بانه بمجرد دخول جيشه
في فرنسا يضم اليه طائفة كبيرة من احزابه واصحابه الذين كانوا في قلق
عظيم من طرده من المملكة وبعدده عنهم فلذا استمر شريكان مصمماً على
مقصده ولا يدري انه في غرور واما في باطله وقد التزم الملك هنري ان يدفع
مائة الف دوق (نوع من النقود) على سبيل الاعانة مدة اول شهر من الحرب
وبعد هذا الشهر يكون مخبرين امرين اما ان يستمر على دفع هذا المبلغ
في كل شهر او يهجم على اقليم بيكردي مع جيش عظيم قبل فراغ شهر تموز
والتمز الامبراطور ان يهجم قبل فراغ الشهر المذكور على اقليم غينية مع
طائفة كبيرة من العساكر فاذا نجح رد الى الدوق دي بوربون جميع اراضيه
المسلوبة منه وولاه ملكاً على اقليم برونسة ويكون تحت سيادة الملك
هنري لانه هو الاحق بالملك على فرنسا

ولم يحصل من هذه الامور كلها الا شيء واحد وهو الهجوم على اقليم برونسة
لان شريكان لم تفتره مته ولم يرجع عن هذا القصد وان كان الدوق دي
بوربون لم يراع الاحوال اذ ذلوا بي ان يكون تحت سيادة الملك هنري
وان يقتره بالموكية على مملكة فرنسا فاتخذ الملك هنري ذلك ورجع
عن جميع الاشياء التي كان التزم بها وكان جيش الامبراطور الذي اعده لهذا
المشروع لا يبلغ الا ثمانية عشر الفا وجعل الامير بيكسر رئيسا عليه وامره
ان يمتثل في جميع حركاته واعماله لاوامر الدوق دي بوربون فصار هذا الامير
واجتاز جبال البنة ولم يجد من يقاومه ويصدّه عن الطريق فدخل اقليم

سنة ١٥٢٤

مطلب

دخول جيش الإمبراطور
في إقليم برونسة في ١٩
من شهر آب

مطلب

ما اتخذ الملك فرنسيس
من الاحتراسات المبنية
على الحزم والحذق

مطلب

رفع جيش الإمبراطور
الحصار عن مدينة
مرسيليا في ١٧ من شهر
أيلول

برونسة ووضع الحصار امام مدينة مرسلية وكان مرام دي بوربون ان يسير
الى مدينة آيون لان اراضيها كانت بقرب تلك المدينة فتكون شوكتها
اقوى وكلته اكثر نفوذا ولكن كان الامير بـسكير يعلم ان الإمبراطور
شرلسكان يرغب كل الرغبة في الاستيلاء على ميناء مرسلية لانه اذا استولى
عليها يسهل عليه ان يدخل مملكة فرنسا متى شاء فلم يثقل تلك المرة لقول
بوربون وراى ان اخذ مرسلية هو الغرض الاصل فلما أدرك الملك
فرنسيس مقصد الإمبراطور اخذ يدبر الوسائط والاحتراسات التي بها يمكنه
ان يفسد على الإمبراطور ما دبره وقصد تنجيذه فحرب البلاد التي حول
مرسلية لئلا يجد الأعداء فيها ما يقتاتون به وهدم ضواحيها وانشاء
تحصينات جديدة ووضع في المدينة طائفة كبيرة من المحافظين وجعل عليهم
ضباطا اهل خبرة ودراية وشجاعة عظيمة وانضم الى المحافظين تسعة آلاف
من اهل المدينة خافوا من الوقوع في ايدي اهل اسبانيا فلم يعاؤا بالاطار
والاهوال وتسليحوا وتصدوا لدفع العدو فقاقت شجاعتهم ونشاطهم حقد دي
بوربون ومعارف بـسكير العسكرية وفي انشاء ذلك سهل على الملك
فرنسيس ان يجمع جيشا عظيما تحت مدينة آيون وسار به الى
مرسلية وكان جيش الإمبراطور قد مضى عليه اربعون يوما وهو يكابد
مشاق المحاصرة فتعب كل التعب وضعت قوى العساكر بسبب
الامراض وكان قد اشرف زادهم على النفاد فرفعوا الحصار وفتروا
الى ايطاليا

ولو هجم الإمبراطور والملك هنرى على مملكة فرنسا في مدة ما كان
الجيش في إقليم برونسة حسبا انتقا عليه لكانت تلك المملكة عرضة لاطار
عظيمة الا ان الإمبراطور وجد ان اراده لا يكفيه في تميم ما عزم عليه فاضطر الى
ابقاء نصف ما ربه بدون تميم كما هي عادته من انه كان يصمم على امور كثيرة
ولا ينجزها كلها ولم يساعده الملك هنرى في هذا المشروع لاسباب منها انه
حصل له غيظ من دي بوربون حيث أبى ان يقره بان يكون له الحق في ملوكية

سنة ١٥٢٤

فرانسا ومنها اهل ايقوسيا بحريض ملك فرانسا اياهم عزموا على المسير الى انكلترة لشن الغارة عليها وزيادة على ذلك لايخفى ان الوزير ولسي هو الذي كان يحث ملك انكلترة على اعانة الايمبراطور ليساعده في نيل منصب البابا فلما تولى اثنان قبله على هذا المنصب ولم يعنه الايمبراطور كما كان وعده خاب امله فيه وفترت همته من جهته وصار لا يعتنى بمصالحه ولا يسعى في نفعه حتى يهتم بحث سيده الملك هنري على اعانته في مشروعاته

مطلب

اغترار الملك فرنسيس بهذا النجاح

ولوا كفى ملك فرانسا يحفظ رعاياه وبلادهم من تلك الاغارة الممهولة التي ادخلت في اعتقاد الافرنج ان قواه الداخلية عظيمة جدا حتى امكنها طرد جيش الايمبراطور وان كان معه الدوق دي بوربون واعانته ام الاعانة وهو ذو شوكة عظيمة ومعارف غزيرة ويعرف مملكة فرنساوية حتى المعرفة لكونه من هالم هذا الحرب باثبات الفجر والشرف له ولرعاياه لكنه لما كان شجاعا طامعا يغتر بمساعدة دهره وكان من دأبه الميل الى الخطر لا الى الحزم كان يفرح بما نالته وما حقه او اذا ظهر شجاعه ويغتر بظنهم في كل مشروع خطب يلزمه التثبت والحساسة فلما ساعده الدهر في هذا المشروع تعلقت آماله بما فوق ذلك لاسيما وكان له اذ ذلك جيش جرار يعد من اعظم الجيوش التي سبق جمعها في مملكة فرانسا فابت نفسه ان يسرح هذا الجيش قبل ان يظهر به في حرب كبير وقوام على ذلك انه راى ان جيش الايمبراطور قد تعب من مشاق المحاصرة وفترت همته بعد الهزيمة وان دوقية ميلان لا تجد من يدافع عنها وانه لا مانع من دخولها قبل ان يصل اليها بسكير مع من بقي معه من العساكر بعد الهزيمة وايضا لا تنصل عساكر هذا الامير اليها الا وهم على غاية من التعب والمشقة من سرعة سيرهم لما داخلهم من الخوف والرعب فلا يكون لهم اقتدار على مقاومة عساكر عديدة لم تفتر همتها ولم يكل عزمها فتبادر دوقية ميلان الى التسليم بدون مقاومة كما حصل منها ذلك غير مرة نعم ان هذه الاماني في حدة ذاتها كانت مقبولة لا يستبعد عنها العقل

مطلب

عزمه على الهجوم على دوقية ميلان

سنة ١٥٢٤

الا ان الملك فرنسيس لم يمتدأها من الامور البقية فاولو
الدرية من وزرائه وجنرالاته ان يمنعه عن هذا المشروع وابدوا له انه خطر
يصعب عليه تحييزه وقتئذ كان وقت شتاء وامطار لاسباب وكان معظم جيشه
من السويسيين والالمانيين لامن رعاياه فلا مانع انهم يتحلون عنه فيكون
عرضة لاختار عظيمة ولم يبلغ ذلك والدته لورة عجلت بالسفر الى اقليم
برونسة لتمنعه عن هذا المشروع الخطر ومع ذلك لم يلتفت الى قول وزرائه
ولا اجل ان لا يغضب والدته بعدم قبوله لتصحها سافر قبل ان تصل اليه ولكن
حيث كان ذلك يحل بمقامها على كل حال ويدل على عدم اعتبارها لها جعلها
قبل سفره نائبة على المملكة مدة غيبته هذا وينبغي لنا ان ننسب هنا على ان الامير
بونيو بطة قد بذل غاية جهده في حث الملك فرنسيس على المسير الى
ميلان لانه كان ذات حمة وشدة وكان بين طبعه وطبع الملك فرنسيس شبه
كلى وزيادة على ذلك كان مدة حربه الاولى في دوقية ميلان قد عشق امرأة
من نساء تلك الناحية فكان في قلق من بعده عنها وكان يحب الاجتماع
بها ويقول انه اخبر الملك فرنسيس عنها وبالفعل في حسناتها وجمالها حتى يعلق
بها قلبه واستعمل بها خاطره ولبه وشوق الى رؤيتها فانه كان بمكانة عظيمة بين
العشاق

مطلبه

اقامة امه نائبة عنه
في المملكة مدة غيبته

مطلبه

الحرب الحاصل في دوقية
ميلان

فاجتاز الفرنسيون جبال آلپ من جبل منها يسمى سيفيس واسرعوا
في المسير لانهم كانوا يرون نجاحهم متوقفا على مبادرتهم ووصولهم الى
ميلان فدل وصول بركير مع عساكر الإمبراطور اليها وكان بركير
قد سار من طريق اطول واصعب من الطريق التي سار منها الملك فرنسيس
بجيشه فانه سار من طريق موناكو وطريق فينسال فلما بلغه مقصد
فرنسيس علم ان دوقية ميلان لا تحوم منه الا اذا لحقها بعساكره فحث
السير حتى وصل الى دلبه يوم وصل الجيش الفرنسي الى ورسية
ولما كان الملك فرنسيس يعلم ان واني بونيو بطة وتأخره في الحرب
الاول هو السبب في خذلانه وانهم زامه لم يقف بل سار بدون تراخ ولا مهلة الى

مدينة ميلان فمعجز دظهوره بجيشه العظيم امام تلك المدينة وقع الرعب والخوف في قلوب اهلها حتى ان الامير بسكير حين دخل فيها مع اعظم عساكره واكبرهم شجاعة ومهارة حزم بانه لا يمكنه ان يخرج في المدافعة عنها ولان يتقدها من ايدي الاعداء بوجه من الوجوه فوضع في القلعة طائفة من المحافظين وخرج من باب و كان الفرنساوية اذئذ ليدخلونها من الباب الاخر

فكانت سرعة سير ملك فرنسا سببا في افساد مادبره فريق الایمپراطور في شأن المدافعة وصاروا بعد ذلك في حيرة كبيرة ولم يسبق لاحد من رؤساء العساكر ما حصل يومئذ رؤساء فريق الایمپراطور حيث كان يلزمهم مقاومة جيش جرار وهم على غاية من الضنك والضيق نعم ان دول الایمپراطور شر لكانت كانت كبيرة واسعة لا يحكم على مثلها احد من ملوك الافرنج ولم يكن عنده من العساكر المستأجرة الا الجيش اللنبردية الذي كانت عدته ستة عشر الفا ولكن كانت شوكته ضعيفة وكلته قليلة النفوذ في دوله و كان لا يجوز له ان يضرب على رعاياه مغارم جديدة الا برضاهم وكانوا يظهررون التنجبر والتظلم اذ اضرب عليهم مغرما جديدا غير المعتاد فكنت عساكره بدون ماهية وزادو ملبوس بل كان لا يمكن تحصيل المهمات والمواد الحربية اللازمة لهؤلاء العساكر فكان لا يقوم بهذا الخطب الجسيم الا ان يبذل الامير لانواى غاية حزمه وسداد رايه وان يظهر الامير بسكير غاية شجاعته ومهارته وان يجتهد الاميردى بوربون بقدر ما في قلبه من البغض والحقد للملك فرنسيس وبدون ذلك لا يمكن منع عساكر الایمپراطور من الوقوع في اليأس والقنوط ولا تحصيل المبالغ التي بها يمكن لفريق الایمپراطور ان يخجوا من تلك الاخطار ولا شك انه لم يبق للایمپراطور دول في ايطاليا الا بسبب حزم هؤلاء الرؤساء الثلاثة واجتهادهم لابتكرة رجاله وقواه العسكرية فزهن الامير لانواى اراد مملكة نابلي وحصل بذلك ماصرفه على العساكر في امورهم الضرورية وكان العساكر الاسبانيوليون يحبون الامير

سنة ١٥٢٤

يسير حبا جافتهم على ان يلتزموا بخدمة الایمپراطور في هذا الخطب وان لا يطلبوا ما هيأتهم ليقول الافرنج انهم يقاتلون لمجرد الفخر والشرف وذلك يجعلهم في الاعتبار فوق العساكر المستأجرة فقبلوا منه ذلك عن طيب نفس ورهن الامير دى بوربون حليته وجواهره الثمينة واخذ بذلتها مبلغا عظيما وسافر فوراً الى بلاد المانيا وكان له بها شوكة عظيمة وكلمة نافذة ليجمع منها طائفة كبيرة من العساكر لاعانة الایمپراطور

وقد اخطأ الملك فرنسيس خطأ كبيرا حيث امهل رؤساء عساكر الایمپراطور حتى فعلوا ذلك كله لاسيما وكان عساكر الایمپراطور قد فزوا امامه وذهبوا الى مدينة لودى على نهر العدة وهي مدينة غير حصينة حتى كان الامير يسير قد عزم على تركها فمجرد ظهور العساكر الفرنساوية ودنوا منها لم يكن استحسن الملك فرنسيس رأى الامير بونيويطة وان كان محالفا لرأى بقية الرؤساء ووضع الحصار امام مدينة پاويا الموضوع على نهر تيزان وكانت تلك المدينة مهمة يسهل بالتغلب عليها الاستيلاء على جميع البلدان التي على شاطئ هذا النهر لكنها كانت حصينة منيعة فكان من الخطر الشروع في حصارها في مثل ذلك الوقت اى في اثناء فصل الشتاء هذا وكان رؤساء عساكر الایمپراطور يعلنون ما يترتب على تغلب الفرنساوية على هذه المدينة فجعلوا فيها لحظهم اربعة آلاف من اقدم العساكر المتمكنين من فن العسكرية وجعلوا رئيسهم انتوان دوليو وهو ضابط جليل القدر كبير الاعتبار له من الدراية والشجاعة الحظ الاوفر وله في الادارة اليد الطولى ذو حزم وعزم يحب الشرف والفخار متعود على حسن القيادة والانتقاد فكان يسهل عليه ان يتحمل جميع المشاق ويبدل ما في وسعه لينجح ويربح

وقد شدد فرنسيس في هذه المحاصرة وبذل في تمهينها فوق طاقته فلاجل التغلب على قلعة المدينة استعمل مهندسو ذلك العصر ما في طاقاتهم ولم يبق للعساكر عزم الاجادوبه ولا جهد الا بذلوه ولم يمكن للامير لانواى ولا للامير

مطلب

محاصرة فرنسيس لمدينة
پاويا

مطلب

تشديده في تلك المحاصرة

سنة ١٥٢٤

مطلبه
مدافعة المحصورين

يسكب ان يفعل اشياء مع الملك فرنسيس بل مكثنا في الخزي والصغار حتى شاع في رومة استهزاء بالايمبراطور وحزبه انه قد تعين جعل لمن يجد الجيش الايمبراطوري الذي ضل في شهر تشرين الاول وضاع في الجبال التي تفصل فرنسا من لومبردي ولم يقف له احد على جالية ولا خبر

ولما رأى الضابط انتوان دوليوه ان ابناء وطنه في حيرة عظيمة وكرب شديد ورأى انه لا يمكنهم مقاومة العدو خارج الحصون علم انه لا ينبغي له التعويل الا على ثيقظه وشجاعته وعزمه ومهارته فابدى من ذلك ما يلائم عظم القلعة التي امن عليها للدفاع عنها فكثر ما خرج منها بعساكره واثقظ على عساكر الفرنساوية بقلب ثابت وعزم قوى فعاقهم بذلك عن الدخول منها وما كانت تقفح مدافعهم في الاسوار كان يجدد دورهم استحكامات حصينة متينة كانت تظهر انهم اليست دون الاستحكامات القديمة وكان يدفع الاعداء المحاصرين بقوة عظيمة وعزم مكين وتأسى به في ذلك المحافظون وسكان المدينة فكانوا لا يكثرنون بمكابدة المشاق ولا باقتحام الاخطار ومما اعان الهمام ليوه على مقاومة الاعداء وابعادهم نوازل فصل الشتاء وما يحدث عنها ومن جملة ما فعله الملك فرنسيس ليتغلب على المدينة تحويله لجرى نهر تيزان وكان كالحصن لها من احدى جهاتها الا ان هذا النهر فاض على حين غفلة فيضانا كبيرا فاضاع في يوم واحد ما جرده الملك فرنسيس في عدة اسابيع ومحاربت الجسور التي بناها جيشه وصرف فيها اموالاً جسيمة ومهمات عظيمة

مطلبه
فتح البابا عن القرينين
بموجب مشاركة عقدها

ومع بطي المحاصرة وما حصل للشهير ليوه بحسن مدافعتهم كان من المنجزوم به انه لو بقيت الاحوال على ما كانت عليه لاضطرت المدينة الى التسليم ولو بعد حين لاسيما وكان قد تبين للبابا ان جيش الفرنساوية هو الغالب وكان يغار من الايمبراطور كل الغيرة فجهل بتعوض المشارطات التي كانت منعقدة بينهما وبادر بعقد معاهدة جديدة مع الملك فرنسيس وكان البابا ليون العاشر قبله قد عزم على مشروع خطب وهو انقاذ بلاد ايطاليا من ايدي كل

سنة ١٥٢٤

من الامبراطور وملك فرنسا واما هو فكان يحترس غاية الاحتراس في جميع اموره فلصعوبة هذا المشروع عدل عنه الى مشروع آخر اسهل منه وهو اظهار الميل لاحد الفريقين وسلوك سبيل المداينة ليضعف به قوى الفريق الاخر فاطهر ان احب الاشياء اليه هو استيلاء ملك فرنسا على دوقية ميلان ليقع الامبراطور حيث كان لا يوجد حينئذ بلاد ايطاليا من له اقتدار على قنعه فبذل هذا البابا جهده في عقد صلح به يتم للملك فرنسيس اخذ بلاده في مملكة ايطاليا ولكن كان الامبراطور شرلكان قوى العزم والقلب لا يرد شي عن تنجيز ما ازمع عليه فرفض قول البابا وتظلم منه حيث انه هو الذي دعاه الى الاغارة على دوقية ميلان قبل توليته منصب البابا فلما أبى الامبراطور ان يقبل قول البابا عقد فوراً مع ملك فرنسا مشاركة بانه لا ينصر احد الحزبين على الآخر وكانت جمهورية فلورنسة داخله في ضمن تلك المشاركة بمعنى انها تخلت عن الفريقين

مطابق

اغارة فرنسيس على مملكة

نابلي

فهذه المشاركة تخلى عن فريق الامبراطور ولتسان قوتان اعنى البابا وجمهورية فلورنسة واذن للملك فرنسيس ان يمر بجيشه من اراضيها فلما رأى هذا الملك ان ذلك يعينه اتم اعانه عزم على شن الغارة على مملكة نابلي مؤملاً انه يسهل عليه الاستيلاء عليها لانها ليست محصنة والامبراطور غير ملتفت اليها ولو فرض انه لا يمكنه التغلب عليها فله في الهجوم عليها ما رُب اخرى وهي ان عاملهاى نائب الامبراطور فيها يطلب ان يحضر اليه فريق من العساكر الامبراطورية الموجودة في دوقية ميلان وبناء على ذلك ارسل الى مملكة نابلي ستة آلاف من العساكر وجعل عليهم رئيسا الامير حنا ستوار وهو دوق البانية ولكن ادركه الامير بـسـكـير ان ذلك كله مشاغلة وملاهاة ورأى ان دوقية ميلان هي مركز العمل فامر الامير لانواى بانه لا يلتفت الى ذلك ولا يغتر به لانه خداع ومحاوله بل يجعل قتال الملك فرنسيس مطمح نظره ولا يلتفت الى غيره حيث انه قد اضعف نفسه بنفسه اذ هزق جيشه بدون ثمرة مجزوم بها وفصل عنه تلك السرية التي

سنة ١٥٢٤

مطلب

حاذله كل من الامير بسكير
والامير دي بوروبون من
عظيم الجهد والعزم

ارسلها الى نابلي واستحق بذلك لوم الناس عليه من حيث ان عادته ان يحاطر
بنفسه ويعزم على امور تعد من الاماني الباطلة
ولترجع الى الكلام على مدينة ناويا فنقول ان محافظتها كانوا في كرب شديد
وضنك عظيم حيث اخذت ذخائرهم ولوازمهم الحربية في النقصان وكانت
العساكر الالمانية منهم لم تصرف لها ماهياتها منذ سبعة اشهر كاملة
فقصت وقالت انها تسلم المدينة الى العدو وان لم تدفع لها ماهياتها حتى
ان الامير ليوه مع نباهته وحسن سياسته ونفوذه كثر عليهم عسر عليه
ان يمنعها عن العصيان فلما علم رؤساء عساكر الابطورانية انه في كرب شديد
بادروا بالمسير اليه ليعينوه وكان لا يمكنهم حينئذ ان يفعلوا احسن من ذلك
فسار اليه الامير دي بوروبون ومعه اثنا عشر الفا من الالمانيين وحث
السير حتى وصل في اقرب مدة الى بلاد لومبردية وانضم مع هؤلاء العساكر
الى جيش الابطورانية فكا ديساوي في العدة جيش فرنساوية بعد
ان انفصلت عنه ستة الاف المبعوثة الى نابلي مع دوق البانية خصوصا
وكان جيش فرنساوية قد تعب وكنت همته لطول المحاصرة ومضار الشتاء
ولكن كان جيش الابطورانية كلما ازداد عددا ازداد فيه القحط واحتاج
الى اموال ومصاريف كان لا يمكن تحصيلها فكان لا يتيسر تحصيل الاموال
اللازمة لمصاريف العساكر بل ولا ما يلزم لنقل الاسلحة والمهمات الحربية
والذخائر الا ان مهارة رؤساء الابطورانية مسد ذلك كله حيث ابدوا من
العزم والحزم ما يجمل عن الوصف وشرحوا صدور العساكر بمواعيد
مزخرفة مزينة حتى استمالوا قلوبهم وساروا بهم الى ملاقات العدو من غير
أن تدفع لهم ماهياتهم لاسيما وكانوا قد زخرفوا لهم القول حيث ابدوا لهم
انهم سيسرون بهم الى الاعداء بدون قتور ولا تراخ وانه ستكون لهم النصر
ويغنمون مغنما عظيما من سلب جيش فرنساوية ويأخذون ما يكافئهم حق
المكافئة على تعبهم وبذل جهدهم وزيادة على ذلك كان العساكر يرون
انهم ان عصوا وخرجوا من الجيش ضاعت عليهم ماهياتهم المتأخرة وكانوا

سنة ١٠٢٤

مطلـ
هجوم الجيش الامبراطوري
على عساكر الفرنساوية
في ٣ من شهر سباط

في قلق عظيم ليفوزوا بالكنوز الواسعة التي وعدهم بها الرؤساء فطلبوا بانفسهم
الحرب وملافاة العدو واطهروا من القلق والجزع ما يصدر عادة عن يتصدى
للقاتل لقصد السلب والنهب والاعتنام
فلما طلب العساكر الحرب بانفسهم لم يعلمهم الرؤساء حتى تنزهتهم بل حاذروا
ضياع تلك الفرصة وتوجهوا بهم فورا الى معسكر الفرنساوية فلما بلغ الملك
فرنسيس ان جيش الامبراطور قادم اليه جمع رؤساء جيشه وعقد مشورة
حرب للمذاكرة فيما يلزم عمله فاشخط رأى ارباب الدراية والخبرة من ضباطه
على ان يسافر مع جيشه ولا يتصدى لقتال جيش تعضده سواعد اليأس
والقنوط لان القاتلين بذلك كانوا يرون ان رؤساء الجيش الامبراطوري
اذ لم يجدوا احدا يحاربونه يحتل نظامهم وتعصى عليهم العساكر بسبب
عدم صرف ما هيأتهم فيضطرون الى تسريحهم لانه لم يمنعهم عن العصيان
الاتعلق آمالهم بأخذ سلب اعدائهم اوان العساكر لا يرون ما وعدوا به
فيأخذون في العصيان ولا يلتفت رؤسائهم الا الى ما يأمنون به على انفسهم
وبالجملة فكان رأيهم هو أن اشاروا على الملك فرنسيس ان يتحصن في محل
حصين حتى تأتية العساكر الجديدة التي ارسل يطلبها من مملكة فرانسوا
ومن السويس فانه حينئذ يمكنه بدون مشقة ولا سفك دم ان يتغلب
على دوقية ميلان قبل فراغ فصل الربيع ولكن كان رأى الامير
بونيويطه بخلاف ذلك فكانه قد سبق في الازل انه لا يبدى مدة هذا الحرب
رأيا الا ويكون رأى سوء وشوم على مملكة فرانسوا وذلك انه رأى ان من العار
للكل فرنسيس كونه يترك مدينة باويا بعد أن حاصرها مدة مستطيلة
ويهرب من جيش اقل عددا من جيشه وقال ان الحرب اولى من ترك مشروع
تثبيت الملك شهرة عظيمة تبقى مدى الدهور والايام لاسيما وكان الملك فرنسيس
يحافظ على اسباب الشرف ويراعى مفاخر العرض وكان قبل ذلك قد اخبر غير
مرة بأنه امان يأخذ مدينة باويا او يهلك تحت اسوارها فرآى انه لا يليق به
العدول عما عزم عليه ولم يصغ لقول من اشار عليه بالرحيل والاتجاء

سنة ١٥٢٥

طلبه
واقعة باويا

٢٤ من شهر سباط

في محل حصين بل مكنت تحت اسوار باويا ينتظر قدوم جيش
الايبراطور

فلما وصل رؤساء جيش الايبراطور بعساكرهم الى معسكر الفرنسيين
وجدوه على غاية من التحصين والاحكام حتى انهم مع ما كان لهم من الاسباب
التي تدعوهم الى الحمل على العدو بدون مهلة ولا تراخ مكثوا زمنا طويلا وهم
في تردد وسيرة لكنهم لما رأوا ان المحصورين بالمدينة قد ضاق بهم الحال
واستولى على قلوبهم اليأس ورأوا ان الجيش قد ضج من طول المدة خاطروا
بأنفسهم وشرعوا في القتال وتصادم الجيشان بحمية لم يسبق مثلها في ميدان
حرب ولم يسبق ان جيشين آخرين اظهرا من العزم عند اللقاء ما اظهره كل من
هذين الجيشين ليثبت لنفسه النصر على الآخر ولم تسبق واقعة ترتب عليها
من نتائج النصر والهزيمة ما يضاهاى نتايج هذه الواقعة ولا واقعة اخرى
كان الفرقان فيها يذلان غاية جهدهما لما بينهما من الغيرة والحقد والبغضاء
الملية وغير ذلك من الاسباب الاخرى التي تحمل الانسان على كونه يبذل ما فوق
طاقته من جهة كنت ترى ملكا في عنفوان شبابه تعضده ابطال الامراء
والاشراف الذين يبذلون نفوسهم في محبته ورعايا كانت جميعهم لا تزال
في غم وازدياد من مقاومة العدو ولهم وكان قتالهم لتحصيل الفخر وشرف العرض
ومن جهة اخرى كنت ترى فريقا آخر مؤلفا من ابطال اعرف بفنون العسكرية
من الفريق الاول ورؤساءهم اكثر مهارة وحرما وكانوا جميعا يقاتلون مع الحمية
التي تسلطن على القلب عند اليأس والضرورة ومع ذلك لم يمكن لجيش
الايبراطور في مبداء الامر ان يثبت امام جيش الفرنسيين حتى ان اعظم
اورطة واحكمها انتظاما واصطفافا اخذت في التزلزل والتقهقر الا ان الدهر أدبر
عن الفرنسيين بعد الاقبال وتغير الحال في الحال فان جميع العساكر
السويسية الذين كانوا مع جيش الفرنسيين نسوا ما اكتسبته منهم من الشهرة
والفخر بسبب الامانة والشجاعة وحلهم الجبن على ترك معسكرهم فمذ ذلك
خرج الامير ليوه مع عساكره من المدينة وحمل على ساقه الجيش الفرنسي

سنة ١٥٢٥

حالة منكورة فاختلف نظامها وتفرقت صفوفها وحل ايضا الامير بسكير
مع خيالة الامبراطور على الخيالة الفرنسية وكانت خيالة الامبراطور من
الالمانيين وكان الامير بسكير لحزمه وسياسته قد جعل في خلال هؤلاء
الخيالة جماع غفير من المشاة الاسبانية وولية وكان هؤلاء المشاة متمسكين
بقربانات ثقيلة فاقتحم الامير بسكير صفوف الخيالة الفرنسية بواسطة
طرق حربية جديدة لم تكن تخاطر بها الالفرنساوية فانهم زعم عند ذلك جيشهم من
كل جهة حتى لم تحصل منهم مقاومة الا في المحل الذي كان به الملك فرنسيس
وبالجملة فصار هذا الملك لا يقاتل لتحصيل انشرف ولا للفخر والنصر وانما كان
يقاتل لمجرد الذبح عن نفسه فجر عدة جروح او هنت قواه وسقط من فوق
جواده بعد ان قتل فحمته ومع ذلك لم يزل يقاتل ويدافع عن نفسه مع عزم
الابطال وبطش الرجال وكان قد اجتمع حوله من الضباط عدة افراد وابدوا
العجب والحب وفدوا الملك بارواحهم لكنهم قتلوا حوله واحدا بعد واحد وكان
من جملتهم الامير بونيو بطة الذي كان سببا في تلك المصائب الكبيرة
فلم يتأسف احد على قتله وكاد الملك يكون وحده في المدافعة عن نفسه وكنت
قواه من الطعن والضرب لاسيما والعساكر الاسبانية واليونان الذين كانوا
محدثين به اشتد غيظهم وغضبهم من مدافعته وثباته امامهم وهم لا يستطيعون
الضرب منه ولا يعرفون من هو قربه حينئذ الامير بوميران احد
البيكرز ادات الفرنسية وكان قد دخل في خدمة الامبراطور مع بوربون
وخرج عن طاعة الملك فرنسيس فلما راه متخيرا بين العساكر انقض عليه
ومنعه عن اقسام عليه ان يذهب معه الى الدوق دي بوربون لانه كان
قريبا منه فابى فرنسيس وان كان في خطب عظيم وكرب شديد ورأى
ان ذلك منقصة له وتدنيس لعرضه وموجب لثماته عدوه لكنه رأى الامير
لانواي قريبا منه فناداه وسلم له حسامه على حسب العادة فخر لاواي
ليقبل يد الملك واخذ الحسام مع الادب والاحترام ثم اخرج حسامه ودفعه اليه
قائلا انه لا ينبغي للملك عظيم ان يبق بدون سلاح امام احد رعايا الامبراطور

مطلب

انهزام جيش الفرنسية

مطلب

اسر الملك فرنسيس

وقتل من الفرنسية عشرة آلاف في هذه الواقعة المعدودة من اكبر المصائب
التي نزلت بمملكة فرنسا وهلك فيها معظم الاشراف والبيكرادات حيث
آثروا القتل على الفرار الذي يورثهم الخزي والعار ويدنس عرضهم واسر
مقدار جسيم من جملة هنري دالبير الذي كان سابقا ملكا على نوار وفزت
طائفة صغيرة من ساقه الجيش مع رئيسها الدوق دالنسون وحين وصل
خبر انهم زام الفرنسية الى المحافظين الذين كانوا بجدينة ميلان تركوا
المدينة وولوا مدبرين قبل ان يتعرض لهم احد وبالجمل فلم تضر خمسة عشر يوما
بعد تلك الواقعة الا ولم يبق يلاذ ايطاليا احد من الفرنسية

واما لانواي فكان يعامل الملك فرنسيس معاملة الملوك وابدى
في اكرامه ما يليق بمقامه ويلام طبيعته لكنه كان يحفظه كل الحفظ ويلتفت
اليه غاية الانتفات خوفا ان يفترمه او يقبض عليه عساكر الايمراطور
وبأخذوه رهنا عندهم حتى تدفع اليهم ما هيأهم الباقية لهم ولاجل
الاحتراس من هذين الامرين اخذ الملك فرنسيس في اليوم الثاني من
الواقعة وادخله في قلعة بيرغيستون التي بقرب مدينة كريمون واناط
بمحافظة الامير فرديناند الرسون شر عساكر المشاة الاسبانية
وكان ذامر ووة كبيرة وعرض فعامل الملك بما تقتضيه جلالة قدره وشدد
في محافظته حتى كانه وديعة عزيرة يحاذر ذلك الامير ان يفرط
فيها

ولكن لما كان الملك فرنسيس طيب النفس حسن الظن خطر بباله
ان الايمراطور شر اكان مثله متصف بهذه الاوصاف فكان يود ان يبلغه
ما هو عليه من سوء الحال فظن ان من انه اذا علم بذلك رثى لحاله وخلي سبيله
وكان رؤساء عساكر الايمراطور يودون ايضا ان يخبروه بالنصرة العظيمة التي
حصلت لهم ويستفهموا منه عما ينبغي لهم فعله وفي ذلك الفصل كان طريق
البراقرب الطرق واه منها في توصيل الاخبار الى بلاد اسبانيا فاعطى الملك
فرنسيس للامير باتالوز الذي ارسله لانواي الى الايمراطور ورقة

سنة ١٥٢٥

طريق ليجريها من ارض فرانساً بدون معارضة

فلما وصل هذا السفير الى الاميراطور واعطاه الاخبار تلقاها مع التؤدة والسكون بحيث لو كان ذلك عن نية خالصة وطوية سليمة لا كسبه شر فافغرا اكثر من اعظم نصرة وذلك انه لم يفرح بنظر جيشه ولم يظهر منه امارات كبر وتعظيم ودلائل عظم وشماتة بل ذهب فوراً الى الكنيسة ومكث ساعة كاله وهو يدعو الله تعالى ويشكره ثم عاد الى ديوانه فراه مشحوناً من الكابر اسبانيا واعيانها ومن سفراء الملوك والكل مجتمعون ليهنوه بالنصرة فقبل منهم التهنئة بوجه التؤدة والسكون واظهر التأسف على امر الملك فرنسيس قائلاً انه عبرة عظيمة للملوك والساطين تريهم انه لا ينبغي لاحد ان يأمن من صروف الزمان ونكبات الحداث ومنع ان تقام مواسم وافراح او تجعل زينة في مدآش دوله وبسادرها قائلاً انه لا ينبغي الفرح في مثل هذا الحرب حيث انه بين الملل النصرانية وانما الفرح والسرور سيكون بعد النصر على جيوش الاسلام وبالجمله فشوهه من حاله انه لم يفرح بتلك النصره الا لكونه صار بهماذا اقتدار على تسكين بلاد اورباً في ظل الوية الصلح والامان

ولكن كان شرلسكان يضرخ خلاف ما يظهر اذ كان الطمع نصب عيذه وكان خالياً عن الحلم والكرم والمروءة البشرية فانه بمجرد ما بلغه الخبر بانتصار جيشه في واقعة پاويا حصل له باطناس من الفرح والسرور ما يجبل عن الوصف وتعلقت اماله بمشروعات جليله ومقاصد عظيمة ولكن حيث كان يعلم انه يصعب عليه تتييمها رأى من اللازم الضرورى ان لا يظهر ما انخره مادام يأخذ اهنته ويجهز جميع المواد اللازمة طاناً انه بذلك يمكنه اخفاء اغراضه الباطنية وسترها عن نظرمولك اورباً

هذا وكانت مملكة فرانساً في غم جديد وحزن شديد لانهم زام جيشها واسر ملكها حيث كتب الملك بنفسه الخبر بانهم زامه في كتاب ارسله الى والدته محبة الامير بالالوزة وكان لا يشتمل الاعلى عبارة واحدة وهي (نفيد والوالدة اننا قد لنا كل شيء ما عدا الشرف والعرض) وقد حكى من قرمن العساكر

مطلبه

حالة الاميراطور حين وصلتته الاخبار بنصرة جيشه في عشرة من شهر آدار

مطلبه

مقاصده التي عزم عليها

مطلبه

غم اهالى مملكة فرانساً

سنة ١٥٢٥

ورجع من بلاد إيطاليا جميع ما حصل في تلك الواقعة المشؤومة فخرن
اهالى المملكة كافة مما وقع لعساكرهم وصاروا في غم شديد وكانت مملكة
فرانسا حين اسر ملكها الامال بجزأاتها ولا عساكرها ولا ضباط يحسنون
الادارة الحربية والسياسة العسكرية وكانت في قبضة اعداء عديدين حتى
صارت على شفا جرف ولم ينقذها في الواقع ونفس الامر من تلك النكبة الكبيرة
الامعارف الاميرة لويـرة ام الملك فرنسيس وعزمها وكانت نائبة عن
الملك فيها كما سبق فقد انقذتها تلك المزة وان كانت عرضتها للخطر غير مرة
ايثار الشهوتها وحظ نفسها وذلك ان هذه الاميرة المشهورة بالشفقة على
ولدها لم تترك نفسها لاستيلاء الحزن والغم عليها حتى نفترهم تابل اطهرت
ايضا من السياسة المحكمة وحسن التدبير ما اعجب فحول الرجال في السياسة
وحير عقول ارباب الكياسة والرياسة فجمعت العساكر الذين سلموا من
من واقعة پاويا ودفعت فداء الاسارى ودفعت لهم ما كان متأخر من
ما هيأته وامتد بهم بجميع ما يلزم حتى صاروا مستعدين للعرب والقتال
وجمعت عساكر جديدة وحصنت الضواحي والرساتيق وعرفت بمحزمها
وعزمها ان تحصل المبالغ اللازمة لتتيم هذه الاشياء الجسمية وبذلك غاية
جهدها في استماله هنرى ملك انكلترة الى حزبه ان هذه الحثية اخذ
الرجاء ينعش قلوب فرنساوية

مطلب
حسن سياسة النائبة
في المملكة

واما الملك هنرى فانه لما كان يتعاهد تارة مع الایمراطور واخرى مع ملك
فرانسا لم يتخذ له غرضا سياسيا سياتتهى اليه مشروعه ويكون مطمح نظره
في افعاله بل كان يقتصر عادة على فعل ما تقتضيه الاحوال ولكن قد حصلت
وقائع عرف بها انه من اللازم الضروري نصب ميزان تعادل بين قوى الفريقين
المتحاذين يعنى فريق الایمراطور وفريق ملك فرانسا حتى انه رأى
فيما بعد ان هذا الامر متعين عليه لا يقوم به غيره وانه لا ينبغي له اهماله فجعله
مطمح نظره وجعل ابقاء التعادل بين قوى الفريقين المذكورين نصب عينيه
وذلك ان سبب معاهدته قبل ذلك مع الایمراطور هو انه كان يظن انه يمكنه اخذ

مطلب
ما قام بنفس الملك هنرى
الثامن بسبب نصرة
الایمراطور في واقعة پاويا

سنة ١٥٢٥

بعض اراض من مملكة فرنسا كانت قبله للملوك انكلترة فباغتراره
بهذه الاماني من اخذ تلك البلاد تعاهد مع الايمبراطور وهم باعائته على الملك
فرنسيس لكنه كان لا يظن ان ذلك يؤدي الى انهزام جيش فرنسا وية كل
الانهزام كما حصل في واقعة باويا لان هذه الواقعة جرت الى ضعف قوى
احد الحزبين بل محقتها بالكلية ورأى ان هذه الواقعة يمكن ان تؤدي الى خدش
المذهب السياسي الذي هو اصل في ابقاء التعادل بين ملوك الافرنج فتهير
في امره وحصل له فزع كبير حيث رأى ان بلاد اوروبا صاري يخشى عليها
ان تقع في ايدي الايمبراطور شرلكان اذ هو بعد انتصاره على جيوش
الفرنسا وية صار عظيم الشوكة والبأس لا قدرة لاحد من ملوك الافرنج على
مقاومته وصدته عن المشروعات التي تضر بالملة النصرانية نعم انه بالنظر لكونه
حليف الايمبراطور ومتعاهدا معه كان يسوغ له ان يؤمل مقاسمته في بلاد
الملك المأسور لكنه كان يلاحظ ان الايمبراطور شديد الحرص والطمع وربما
تكون القسمة بينهما ضيزى او انه لا يمكنه حفظ ما يخصه فيها وزيادة على ذلك
رأى انه ان ترك الايمبراطور يفعل ما يبداه مع الملك فرنسيس واخذ من مملكة
فرنسا بعض اراض عظيمة و اضافها الى الممالك الكبيرة الواسعة التي كانت
حينئذ تحت يده يزيد طغيانا وقسوة ويخشى منه على مملكة انكلترة اكثر من
ملوك فرنسا الاقدمين الذين كانوا يشنون عليها الغارات في سائر
الافاق ويؤدي ذلك ايضا الى انعدام ميزان التعادل بين ملوك الافرنج مع
ان هذا الميزان هو اصل شوكة انكلترة ومنشأ صولاتها ونفوذ كلفتها بل
وبدونه لا تأمن على نفسها وزيادة على ذلك رثى الملك هنري لحال فرنسيس
في وقوعه في مثل هذه النكبة خصوصا وقد بلغه انه ابدى في واقعة باويا من
الشجاعة ما لا مزيد عليه فازداد بذلك رافة وشفقة عليه وكان عاده
الميل الى مكارم الاخلاق فطمع ان يثبت لنفسه الفخارين عمالكا الافرنج بكونه
انقذ عدوا مهزوما هذا ولا يخفى ان وزيره ولسي كان يبذل غاية جهده
في اسمائه الى حزب الملك فرنسيس لان هذا الوزير لما خاب امه في نيبل

منصب البابا وتولاه اثنان غيره مع ان الايمبراطور كان قد وعده بأنه عند خلوه لا يولى عليه احد سواه غضب من الايمبراطور واعتقد انه هو السبب في عدم توليته لذلك المنصب وكان ينتظر حصول فرصة تعيينه على الانتقام منه فلما طرأت تلك الاحوال عدها من اعظم الاشياء موقعا لتجهيز ما كان عزم عليه لاسيما وقد ارسلت الاميرة لويـرة والددة الملك فرنسيس الى هذا الوزير والى الملك هنرى تستعطفهما وتدعوهما الى اعانتها على الايمبراطور فوعدها الملك هنرى سرّانه من الآن فصاعدا لا يعين الايمبراطور على ايداء مملكة فرانسوا وانصرارها ما دامت على حالتها المشؤومة التى آلت اليها بعد انهزام جيشها فى واقعة پاويا لـكنه طلب منها ان تعدّه بان لا ترضى بتزيق مملكتها وتشتيت بلادها عن بعضها ولو كان ذلك بقصد انتقاد ابنها من الاسر والرق

ولكن بسبب المعاهدة التى كانت بينه وبين الايمبراطور لزمه ان يسلك سبنا بحيث لا تظهر عليه آثار ما وعده الاميرة لويـرة فامر ان تجعل فى بلاده مواسم واعياد عامة لادخال السرور والفرح على كافة الناس لنصرة الايمبراطور حتى ~~كانه~~ يود ان تحصل فرصة تعيينه على تخريب مملكة الفرنساوية وتدميرها بالكلية وبعث سفراء من طرفه الى مدينة مدريد كرسى اسبانيا بقصد تهنيئة الايمبراطور بالنصرة وليذكروه بان الملك هنرى له الحق فى اقتسام ثمراتها لانه حليفه ومعاهده وكتب له ايضا ما معناه انه بموجب ما انحط عليه رأى وتقرر فى المشاركة يلزم ان يسير الايمبراطور مع جيش عظيم ليتغاب على اقليم غينية ويسلمه اليه وانه يريد ارسال بنته الاميرة مارية الى بلاد اسبانيا او الى مملكة البلاد الواطية لتكون تربيتها بعرفة الايمبراطور حتى يعقد نكاحا بموجب ما هو مقرر فى المشاركة ويطلب من الايمبراطور ايضا ان يبعث اليه الملك فرنسيس لانه بموجب المشاركة المنعقدة بمدينة ابروجه يجب على كل من المتعاهدين ان يسلم الى المظلوم من ظلمه او تعدى على حقوقه * هذا مضمون ما كتبه الملك هنرى الى

سنة ١٥٢٥

الى الامبراطور وبعبته اليه مع السفر آت المنقذم ذكرهم ولكن كان يعلم انه لا يجيبه في شئ من ذلك كله لانه يسان مزاج مصالحة بل ولا يستطيع الاجابة لان ارباب دولته يمنونه عن ذلك فلذا قيل ان الملك هنري لم يطلب ذلك من الامبراطور الا ليرده فيتعلى عليه ويتعاهد مع مملكة فرانس على حسب ما تقتضيه الاحوال

مطلب
ما قام به قوس اهل دول
ايطاليا بسبب نصرته
الامبراطور

وبعجز ما بلغ دول ايطاليا ان جيش الامبراطور قد انتصر في واقعة باويا حصل فيها فزع كبير وغم شديد لكافة الناس لان هذه النصره ترتب عليها اعدام تعادل قوى الفريقين وكان هذا التعادل نصب اعينهم في جميع اداراتهم وسياساتهم اذ هو اصل اطمئنانهم وامنهم على دولهم وبلادهم فبعد نصرته الامبراطور على الملك فرنسيس رأوا انهم صاروا عرضة اكثر من غيرهم لان يلحقهم بطش الامبراطور الذي كانت اطماعه دائما في النمو والازدياد خصوصا بعد هذه النصره وقويت شوكتها عما كانت عليه قبل ذلك لاسيما وكان قد ظهر لهم فيه علامات كثيرة دلتهم على انه بوصف كونه امبراطورا او ملكا على بلاد نابلي لا مانع ان يدعى دعوى عريضة بتطاميه لمعظم بلاد ايطاليا ويسهل عليه ان يظفر بمرامه فيما يدعى به فيخشى منه ان يضر ببلادهم كل الضرر وواقعهم ذلك في الحيرة والرعب فاخذوا يبحثون عن وسائط بها يمكنهم ان يعرضوا له قوة عظيمة فيها كفاءة لمنعه وصدته ولكن لم يسلكوا في ذلك مسلك الحزم وسماد الرأي فلم يحصل لهم فلاح ولا نجاح وذلك ان البابا كليمان لم يجر على ما اتفق عليه مع اهل البنادقة في شأن حفظ بلاد ايطاليا وابقاء حريتها بل جعله الخوف من الامير لانواي او غروره بالمواعيد المزخرفة التي وعده بها على ان يعدل عما صمم عليه مع البنادقين وعقد مشاركة خصوصية بينه وبين هذا الامير والتزم فيها ان يدفع في الحال مبلغا جسيما من المال في نظير بعض شروط طلبها فلما دفع اليه ذلك المبلغ وارسل تلك المشاركة الى الامبراطور أبى ان يقرها فاستوجب البابا منعه الناس عليه بكونه آثر مصلحة نفسه على المصلحة العامة وبكونه ارتكب من

في عزرة شهر نيسان

مطلب

قيام جيش الامبراطور
وخروجه عن الطاعة

الدناءة مما كسبه الخزي والعار من غير ان يعود عليه ثمرة من ذلك
ومع ان هذا المبلغ قد اخذ من البابا بطريق التحيل والخذاع الذي يدنس العرض
وبورث المعرفة لصاحبه نقول انه كان له عظيم نفع حيث ان وقوعه في يد الامير
لاواى قد وافق وقوع قسنة بين الجيش فصرفه على العساكر وسكن به هذه
القسنة فكان ذلك سببا في نجاته من الخطر وذلك انه بعد ان زام جيش الفرنسيين
ظن العساكر الالمانيون الذين دافعوا عن مدينة باويا حق المدافعة
انه بغزارهم الذى اكتسبوه بشجاعتهم حق لهم ان يطغوا ويغفوا ويفعلوا
مالا ترضاه النفوس الشريفة من السفه والوقاحة فطلبوا اوفاء ما كانوا وعدوا به
قبل الحرب فحصلت لهم محاولة من جهة حكاهم فاستولوا على مدينة باويا
وصمموا على ابقائها بأيديهم على سبيل الرهن حتى تصرف لهم ما هيأتهم وكان
يظهر من باقى الجيش انه يجئ الى اعانتهم لالى قعهم ولكن سكن الامير لاواى
هذه القسنة بصرفه عليهم المبلغ الذى اخذه من البابا ولما رأى انه ربما يعذر
عليه فيما بعد ان يصرف لهم ما هيأتهم شهر اشهر بدون تعويق فيعصون عليه
ثانيا ورأى من الجانب انهم حين عهياهم ربما قبضوا على الملك فرنسيس
الذى كان اسيرا عنده استحسن ان يسرحهم جميعا المائتين وايطاليين
ولا يبق منهم احدا في خدمة الامبراطور ومن العجيب وان كان ملايما
لما كان جاريا في معظم الممالك الافرنجية في القرن السادس عشر ان اغلب
ملوك الافرنج كانوا يخشون ان يهجم الامبراطور عليهم ويأخذ بلادهم وكان هو
في الحقيقة معهما على ذلك مع ان ايراداته كانت قليلة جدا بحيث لا تفي
بمصاريف هذا الجيش الذى لا يزيد على اربعة وعشرين الفا

مطلب

مذاكرة الامبراطور
فيما يكون به تحصيل
قوائد جليله من نصرته
على الملك فرنسيس

هذا ولا يخفى ان الامبراطور شرل كان لم يبق على ما كان يتكلفه اولاً من
اظهار التؤدة وعدم اظهار الفرح حين بلغه نصرته جيشه بل عدل عن ذلك
وصار يذلل غاية جهده حتى يستفيد من مصائب خصمه القوائد الجليله
وقد اشار عليه بعض ندائه وارباب ديوانه ان يعامل الملك فرنسيس معاملة
اهل العفو والحلم وان يترك دأب الشامتين عند الثواب ولا يكافئ الملك

سنة ١٥٢٥

فرنسيس بامور صعبة بل يطلقه لتكون بينهما روابط المحبة الا كيداً لان روابط حسن الصنيع اعظم واثبت من كل رابطة تكون ناشئة عن الموائيق التي تحصل ببعض الارام والاكراه لكن ربما كان مثل هذا الحلم لا يوافق الاغراض السياسية خصوصاً وكانت هذه الصفات لا تلايم طبيعة هذا الإمبراطور فمن ثم شق عليه ان يقبل نصيح هذا الفريق واما الفريق الآخر وهو الجمهور فكان رأيهم موافقاً لرأيه فلذا قبله منهم بدون توقف الا انه لم يجز في مقاصده على منج العرم والهمة وذلك انه فضلا عن كونه يسذل جهده ويدخل في مملكة فرانساً مع العساكر الاسبانية لولية وعساكر البلاد الواطية وبغير على دول ايطاليا قبل ان تغيق من الدهشة التي اوقعها فيها نجاح عساكره في واقعة باويا سلك سبيل التحميل والخذاع واضاع وقته في المذاكرات والمداولات التي لا تجدى نفعا ولكن لم يكن الحامل له على سلوك هذا السبيل هو مجرد ميله الى ذلك بل الجأته اليه الضرورة ايضا وذلك انه اقله امواله كان لا يمكنه تحصيل المواد والمهمات اللازمة لتجديد جيش عظيم لاسيما وكان لم يذهب ابدامع جيوشه في الحروب والوقائع بل كان يجعل علماء اسر عسكر ينوب عنه فكان لا يميل الى الحرب كل الميل ولا يعجل به وانما كان يعول على المذاكرات وآراء المشورات لانه كان في ميدانها بمكانة عظيمة وزيادة على ذلك اغتر بنصرته في واقعة باويا كل الغرور حتى كان يترأى منه اعتقاد انه دمر قوى مملكة فرانساً واخذ خراستها وانه عن قريب ستقع تلك المملكة بين يديه كما وقع ملكها

ولما كان عروره يزير له تلك الاحمال صمم على ان لا يبيع حرية الملك فرنسيس الابا على ثمن وعزم على عدم اطلاقه من الاسر الا اذا املى عليه ما شاء من الشروط فامر القوتة روكس ان يذهب الى الملك فرنسيس في صحنه ويخبره على لسانه انه لا يطلق من الاسر الا اذا قبل هذه الشروط وهي ان يرد الى الإمبراطور اقليم بورغونيا لانه اخذ من آباءه واجداده ببعض الاقنيات والتمدى وان يتخلى عن اقليم برونسة ودوقية دوفينة لتتكون منها

مطلب

الشروط الصعبة التي طلبها من الملك فرنسيس

مملكة مستقلة تعطى للدوق دي بوربون وان يسلم الملك انكلترة في جميع ما كان يطلبه منه وان يبطل من الآن فصاعدا جميع ما يدعى به من الحقوق في مملكة نابلي ودوقية ميلان وغيرهما من دول ايطاليا هذا وكان الملك فرنسيس يظن ان الامبراطور سيعامله معاملة الملوك ويطلقه على احسن الوجوه فلما عرضت عليه تلك الشروط غضب غضبا شديدا وسل حسامه قائلا الايق بالملك ان يموت ~~هكذا~~ واخذ يقتل نفسه واذا بالامير الرسون قام فرعا وقبض على يد الملك حتى سكن غضبه وعاد الى عقله وافاد انه يؤثر الاسر على شراء حريته بهذا الثمن الذي يخس بمقامه مدة حياته ويدنس عرضه

ولما وقف الملك فرنسيس على حقيقة ما رب الامبراطور اخذت الامة في الزيادة وشق عليه ان يمكث اسيرا عند الامبراطور ولولا ما كان يتسلى به ليأس كل اليأس وجزم ان لامناص وهو انه اعتقد ان الشروط التي عرضها عليه القوتة روكس لم تكن صادرة من نفس الامبراطور وانما حكم بها ارباب ديوان اسبانيا وانه اذا قابل الامبراطور بنفسه يطلقه من الاسر بخلاف ما اذا كان الوزراء هم الواسطة بينهم فاطول عليه المدة وبناء على ذلك طلب ان يسافر الى مدينة مدريد ليقابل الامبراطور وان كان هذا يفضي به الى ان يكون كالعجوبة يتفرج عليها الخصاص والعام من الاسبانويولين فاقره الامير لانواي على ذلك بل رغبه فيه واره كيف يسلك في هذا الامر وكان الملك فرنسيس في قلق عظيم حتى اتى من عنده بالسفن اللازمة للسفر لان الامبراطور شر لكان لم يكن حينئذ له اقتدار على تجهيز دوخمة اياها كانت فسادا لالامير لانواي مع الملك فرنسيس الى جنويرة ولم يجبر بقصده الامير دي بوربون ولا الامير بسكير وانما عمل بكونه يريد ان ينقل فرنسيس الى نابلي فبمجرد ان اقلعت السفن امر الملاحين ان يتوجهوا الى اسبانيا وكانت الريح مساعدة ففقدت السفن الى نواحي مملكة فرانسفا فصار فرنسيس يلفت اليها مع التحسر والتأسف ويرجع بصره

سنة ١٥٢٥

٢٤ شهر اب

مطلب

المشارطة المنعقدة بين
مملكة فرانس وملاك انكلترة
واعانة هذا الملك للمملكة
المذكورة

واحشاؤه تتلظى وبعد ايام قليلة رسوا على مدينة برسلونة فصدر امر من
الامبراطور بوضع الملك فرنسيس في السراية الملوكية التي بمدينة مدريد
وامر الامير الرسون بحفظه وخفوه فقام بذلك مع التيقظ الذي كان عليه
في السجن الاول وبعد وصول ملك فرانس الى مدينة مدريد ببعض ايام
علم انه لا ينبغي له ان يعتمد على حلم الامبراطور وكرم نفسه واتمانى الى
بالمشارطة التي انعقدت بين امه الاميرة لويزة والملك هنري الثامن
مؤملا ان يطلق بهما من اسره وذلك ان الامور التي طلبها ملك انكلترة من
الامبراطور الغاها في مدينة مدريد لان الامبراطور اغروره بالنصرة صار
لا يظهر ملك انكلترة الاحترام والتبجيل الذي كان يظهره له سابقا وكان
الوزير ولسي متكبرا كسيده يحب من يتلق له ويداهنه فاغتاط كل الغيظ
من الامبراطور حيث قطع المودة وعلائق المحبة التي كان يظهرها له سابقا وهذه
الاسباب قوت الاسباب التي ذكرتها آفا حملت الملك هنري على
عقد مشارطة مع الاميرة لويزة التزم فيها بالدفاع عن مملكة فرانس
وحمايتها من الامبراطور وبذلك زالت جميع الاسباب التي كانت توجب العداوة
بين انكلترة و فرانس و وعد الملك هنري ان يختص فرنسيس من
ورطة اسره

وبينما كان الامبراطور في حيرة عظيمة بسبب تخلي ملك انكلترة عن حربه
اذ حصلت حادثة اخرى مشؤومة زادت بها حيرته وذلك ان مورون قنجليير
ميلان كان يدبر سراقة كبيرة لاعدام حكم الامبراطور من بلاد ايطاليا
لان مورون وان كان يعض الفرنساوية الا ان تلك البغضة زالت من قلبه
بعد طردهم من بلاد ايطاليا وحصل له ايضا سرور من جعل الامير
سفورس حاكما على دوقية ميلان لكنه اغتباط حين توقف ديوان
الامبراطور في تولية سفورس المذكور على دوقية ميلان وابدى عللا
كثيرة في عدم تعجيله بتولية هذا الامر وكانت هذه العلل طاهرها المحاولة
والمخادعة فظن مورون ان قصدا لامبراطور وارباب ديوانه من هذه

مطلب

القننة التي اوقعها مورون
لاعدام حكم الامبراطور
من بلاد ايطاليا

المحاولة ان يسلموا من الامير سفورس دوقية ميلان مع انها اخذت من
ايدى الفرنسيين لاجله وكان البابا واهل البنادقة يظنون ذلك ايضا
فاراد شريكان ان يزيل ذلك من قلوبهم فجعل باعطاء حكومة ميلان
للامير سفورس لكن بشروط صعبة واحتراسات بموجها كان يرى ان الامير
المذكور صار من رعايا اليمبراطور لامن خراجي اليمبراطورية وصار اعتماده
على بقاء هذه الدوقية بيده متوقفا على ارادة سيد طماع اعنى اليمبراطور
فكان من الحماثر ان اليمبراطور يأخذ منه تلك الدوقية وكان مورون يعلم
انه اذا اخذها وضمها الى مملكة نابلي يخشى على حرية بلاد ايطاليا
باجتماعهم بل ويخاف أن يقدما كان له حينئذ من الشوكة ونفعوا الكلمة وحيث
كانت هذه الامور المرجحة قائمة بذهنه لاتنقل عنه اخذ يدبر ما يكون به
انقاذ بلاد ايطاليا من حكم اليمبراطور وهذا الغرض كان يميل اليه
ارباب السياسة من اهل ايطاليا في ذلك العصر وكانوا يرغبون فيه
كل الرغبة فرأى مورون انه اذا كان سببا في خلاص مملكة نابلي من ايدى
اهل اسبانيا يثبت له فخر كبير وشهرة عظيمة لاسيما وقد كان سببا ايضا في
طرد الفرنسيين من دوقية ميلان فبجزم ما تعلقت آماله بتنجيز هذا الغرض
سخر بذهنه طريق يسلكه في هذا المعنى فاستحسنه وصمم عليه وان كان صعبا
جدا لانه كان جسورا ما هرا لا تعوقه خطوب ولا تصده اخطار

فظل
مذاكرته مع الامير بيسكي

هذا ولا يخفى ان كلاما من الامير دي بوربون والامير بيسكي كان قد حصل له
غيط شديد من كون الامير لانواي توجه بملك فرنسا الى اسبانيا
من غير أن يخبرهما اما الدوق دي بوربون فخشى ان يحصل بين اليمبراطور
والملك فرنسيس عقد مشاركة تضر بمصالحه فسافر فورا الى مدينة
مدريد ليأمن من وقوع ذلك وبعد سفره بقي الامير بيسكي وحده منوطا
بحكم الجيش فلم يمكنه أن يترك بلاد ايطاليا لكنه كان في كل وقت يظهر
الغيط من الامير لانواي ويتكلم في حقه بامور تدل على بغضه وكرهته له
وبعث الى اليمبراطور كتابا يذكر فيه ان لانواي لم يتفق وقت الحرب ولم يظهر منه

سنة ١٥٢٥

سوى الجبن كما انه بعد الحرب لم يظهر منه سوى الوقاحة وقبح السلوك وزيادة على ذلك كثيرا كان الامير بسكرير يتظلم من الامبراطور ويخبرانه لم يكافئه ولم يجزه على خدمه واشغاله حتى ان مورون المتقدم اسس ما كان شارعا فيه على غيظ الامير بسكرير وذلك انه كان يعلم ان طمعه رائد عن الحد وله فضل شهر وباع طويل في الحرب والصلح وله نفس شريفة وهمة غلبة يقدم على ما لا يمكن الاقدام عليه فيعود رافلا في حلال الظفر والنجاح وكان معسكر جيش اسبانيا قريبا من مدينة ميلان فسهل على مورون ان يتقابل مع الامير بسكرير فقابله عدة مرات وفي كل مرة يكلم معه في شأن الحوادث التي اعقبت واقعة باويا لان الامير بسكرير كان يكثر دأتما من ذكر هذا المعنى فلما رأى مورون انه يظهر الغيظ والتظلم من فعل الامبراطور اخذ يذكره جميع الامور التي يمكن ان تزيد في غيظه وغيظه فكان يبائع له في ظلم الامبراطور وعدم انصافه معه حيث اثر عليه الاسير لانواي وفوض له امر ملك فرانسا فاخذه وسافر به الى اسبانيا ولم يشاوره مع انه هو السبب في نصرة جيش الامبراطور فكان حقه ان يفوض له لاجل هذه امور الملك فرنسيس مادام اسبر او هذا القول طس انه قد قورى غيظ الامير بسكرير واخذ يفيد بطريق التلويح والتلميح ان الوقت يساعد اذا اراد الانتقام من الامبراطور في نظير هذه النعال القبيحة بل ويمكنه ان ينبت لنفسه فخرا مؤبدا وفضلا مخلدا يبقى مدا الاعصار والدهور بكونه يتقذوطنه من ظلم الغرباء واجحاف الحكام الاجانب لاسيما ودول ايطاليا كانت قد سئمت من حكم الاسبانويين لغفلتهم وسوء فعالهم فهي متأهبة لان تجتمع مع بعضها وتطلب استقلالها واهاليها كلهم متطلعون اليه ولا يرون احدا سواه له عقل ونهى وقرينة واسعة ودهى يقدر على تخير هذا المقصد المهم وتقييمه مع النجاح وابدى له ان تقييم هذا الغرض موقوف على ارادته حيث ان الامبراطور ليس له من العساكر في بلاد ايطاليا الا طائفة من المشاة الاسبانوية فاذا وزعهم في قري ميلان يقتلهم الاهالي في ليلة واحدة لانهم في غيظ شديد منهم بسبب

ظلمهم وافعالهم القبيحة وبعد ذلك يمكنه بدون صعوبة ان يستولى على كرسى
مملكة نابلي وواقع في ذهنه ان الدهر اعذله تاج هذه المملكة مكافأة له على
انقاده لبلاد انطاليا من ايدي الغرباء لاسيما والبابا الذي هو سيد مملكة
نابلي حيث انه طالما تصرف فيها البابايات قبله كيف شاؤا يحصل له غاية
السرور من جعله ملكا عليها وافاده ان اهل البنادقة و فلورنسة ودوق
ميلان بلغهم هذا الخبر وانهم سينضمون الى مملكة فرانسسا ويقومون مع
الفرنساوية بانسبات حق الملوكية له في نابلي وان اهل نابلي انفسهم
يودون ان يكونوا تحت حكمه لانه من انشاء وطنهم ويعزونه كثير الفضله
ومعارفه وان نفوسهم قد سئمت من حكم العرباء الذين اتعجبوهم بظلمهم
وشدة قسوتهم وان الامبراطور اذا ظهر له ذلك على حين غفلة يقع في الورطة
والارتباك ولا يمكنه مقاومة هذه العصبية الكبيرة لاسيما وهو قليل الاموال
والرجال

وفي مدة هذه الحكاية كان الامير بسكير يصغي الى قول مورون وهو
في عجب رآ ندم من صعوبة هذا المشروع كأنه يفكر في امور جمة ومقاومة مهمة
فكان من جهة ينقر من قول مورون حيث كان يحثه ويدعوه الى القيام
على الامبراطور وقد استأمنه وجعله رئيسا على عساكره وكان من جهة اخرى
تحسن له نفسه اتباع مورون حيث كان يغره بقوله انه هو الذي يتولى ملكا
على بلاد نابلي فكث بسكير مدة وهو يتردد بين هذين الامرين ثم جنح
الى ما يكسبه المعزة منهما وحسنت له نفسه الطماعة ان يغدر بالامبراطور
ليستولى على مملكة نابلي وكثر ما حصل ان اناسا عند تخييرهما بين ما فيه
نفعهم وما فيه شرف عرضهم بوثرون الاول لكنه اراد قبل خيانتته وغدره
ان يبحث له عن علة يتعلل بها وحجة يستند اليها فالزم مورون ان يسأل بعض
علماء الدين هل يجوز لشخص من الرعايا ان يعصى ملكه الذي فوقه مباشرة
ليطبع من له الحق والسيادة في الدولة التي هي الغرض من العصيان والخروج
فاجابوا بالجواز واستمرت من ذلك الوقت المداولات والمذاكرات بين مورون

سنة ١٥٢٥

مطلب
غدر بسكبير بالقنجليير
مورون وقبضه عليه

والامير بسكبير حتى بذلا كل الجهد في تحصيل ما يلزم لتخيز هذا الغرض المهم ولكن الامير بسكبير اما لكونه استعظم هذا الامر وارنعدت فرائضه من الغدر بسيد الذي له عليه خيرات جزيلة او لكونه رأى ان الدهر لا يساعده في ذلك وتيقن عدم النجاح اخذ يفكر فيما يتعلل به في نقض الشروط التي انعقدت بينه وبين مورون وكان اذذاك الامير سفورس قد اعتراه مرض ظن انه يفنى به الى الهلاك فرأى الامير بسكبير انه ان كشف سر هذه الفتنه وقبض على مورون الذي يريد ان يساعدها يسر منه الاميراطور ويجعله حاكما على دوقية ميلان مكافأة له على اماته وصدقه وان هذه الوسيلة اكثر حزمًا واقرب للنجاح مما اذا بحث عن اخذها بطريق الغدر والخيانة الا ان هذه النية الجائنة الى ارتكاب امور قبيحة ترزى ايضا بالروعة وتدنس العرض وكان للاميراطور المام بامر هذه الفتنه حين اخبره بها بسكبير فطمع منه انه قد حصل له غاية السرور من هذا الامير لاماته وصادقته وأمره ان يستتر على ما هو عليه من المذاكرة مع البابا والامير سفورس حتى يختبرهما ويعرف بواطنهما ويعسك عليهم اذلة واضحة تثبت خيانتهم ما ولما كان بسكبير يعلم من نفسه ان مذاكرته اول ما تكن عن خلوص طوية بالنسبة للاميراطور وان سكوته على ذلك مدة لا بد وأن اوقع في قلوب اهل ديوان مدريد سوء الظن به واتهامه بالخيانة وعد الاميراطور بتخيز ما امره به ليبرى نفسه عند الماس حتى لا يسوء الظن به فلذلك اضطر الى ارتكاب ما يدنس مدي الايام والدهور وهو مداهنة قوم للغدر بهم واذا انتفت الانسان الى سعة قرآن من خادعهم بسكبير رأى ان مداهنته لهم ليست في الصعوبة دون ما ينشأ عنها من تدنيس العرض ومع ذلك سلك فيها سلكا غريبا حتى امكنه ان يدخل حيله وخداعه على مورون وكان بمكان من الدكا والفتنة وذلك ان مورون لما كان يعتقد صدق الامير بسكبير ويثق به ذهب اليه في قصر توروليم معه ما اتفق عليه في هذا الخصوص فلتقاه بسكبير بحمل كان الامير ليوه حينئذ مخفيا فيه

ليسمع قول مورون مع بسكير ويكون شاهدا عليه فبعد ان قضى مورون امره وهم بالخروج من القصر ليرجع الى داره اذ فرغ فزعا شديدا وتحير في امره حين رأى الامير ليون قد قبض عليه بطريق النسيابة عن الامبراطور وذهب به الى قلعة مدينة باويا وبعد ان كان بسكير شريكه في الفتنة صار يسأله ويقضى في دعواه وصدر امر من الامبراطور بحرمان الامير سفورس من جميع حقوقه في دوقية ميلان لانه كان من ارباب الفتنة وامر باخذ جميع قلاع دوقية ميلان ومدها فاخذها بسكير ماعدا مدينتي كريمون و ميلان لان الامير سفورس يادر بالمدافعة عنهما وبادر عساكر الامبراطور بحصارهما

ثم ان هذه الفتنة التي كان الغرض منها تجريد الامبراطور عن اراضيه التي يبلاد ايطاليا لم تنجح بل ترتب عليها تكثير اراضيه في البلاد المذكورة ومع ذلك رأى الامبراطور ان من الضروري اللزم له ان يتفق مع ملك فرنسا ويصالحه ويحتل سبيله وانه ان لم يفعل ذلك عادى سائر دول اوربا وتتعصب عليه لما رأى منها انها كلها قد فرغت من نجاح جيشه في واقعة باويا ومما ظهر من شدة الطمع والشه حيث كان لا يتكلف اخفاء ما كان قائما بنفسه وكان الى ذلك الوقت لم يعامل فرنسيس المعاملة اللائقة بالملك بل ولم يحترمه الاحترام اللائق بمقامه فعوضا عن كونه يسلك معه مائسلكه الملوك العظام مع المصائب بالنكبات سلك معه مسلك ارباب الصيال وقطاع الطرق الذين يطعمونهم باساة من وقع في ايديهم يجبرونه على فداء نفسه منهم بما تملكه يده وذلك انه سجن الملك فرنسيس بقصر عتيق ووضع عليه خفرا كان يشده عليه كل التشديد حتى تنغص عيشه وسئمت نفسه وعند الفسحة كان لا يؤذنه الا بركوب بغلة وتحديق به خيالة متسلحة ولم يذهب اليه الامبراطور بل تغلل بانه لا يمكنه ان يغيب عن المشورة العامة المنعقدة بمدينة طليطلة وذهب بدويانه الى تلك المدينة فاصدا بذلك ان لا يقابل الملك فرنسيس فاضت عدة اسابيع من غير ان يذهب اليه في السجن مع ان فرنسيس كان

مطلبه

ما قاساه فرنسيس من سوء
المعاملة في بلاد اسبانيا

يطلب ذلك بنفسه ويجتد في طلبه فهذه الفعال القبيحة التي لا تطيقها نفوس
الملوك سئمت نفس الملك فرنسيس ولحقه غم شديد حتى كره الدنيا وما عليها
لما انه كان ذا شرف نفس وفقد الميل الى اللذات وزالت بشاشته الطبيعية
وبعد ان مكث زمنا طويلا وهو آخذ في الضعف والهزال اصيب بجمي شديدة
حتى اشرف على الهلاك وفي شدة مرضه كان لا يتسكى الامن تشديد هم عليه
وسوء معاملتهم اياه وكان يلهمج غالباً بقوله ان الامبراطور سيحصل له غاية السرور
من كون عدوه مات في السجن تحت قبضته من غير ان يتفضل عليه بعيادته
ولومرة واحدة فلما عجز الأطباء عن معالجته وندسوا من حياته اخبروا
الامبراطور بانه لا يرجي له شفاء من هذا المرض الا اذا انعم عليه بما يتناه ويلهمج به
في اغلب اوقاته وهو ان يذهب لعيادته وكان الامبراطور يود حفظ حياة الملك
فرنسيس حتى تحقق له الفوائد الجليلة التي كان يأملها بعد انتصار جيشه
في واقعة باويا فجمع فوراً وزراءه ليتذاكر معهم في شأن ما ينبغي فعله
وكان اعظمهم علماً ودرية التخليير غاتيناره فابدى للامبراطور انه من عدم
المروءة ان يعود الملك فرنسيس ان لم يكن عازماً على التسهيل معه وتخليته
بيله بموجب شروط مقبولة وافهمه ان من العار في حقه أن يعود له مجرد
الطمع والحرص على عدم ضياع مصالحه حيث انه قبل مرضه واشرافه على
المهلك طالما طلب منه ذلك مع الالاح فلم يجد ذلك شياً ولما الامبراطور فكان
دون هذا الوزير في المروءة والعرض فلذا لم يلتفت لقوله وسافر الى مدريد
لمجرد نظراً سيره ومقابلته لكن لم يمكث معه الا برهة يسيرة لان الملك فرنسيس
لشدة مرضه كان لا يستطيع التطويل في المحادثة الا ان الامبراطور في تلك
البرهة التي مكثها معه خاطبه مع الاحترام والتعظيم ووعده ان يعامله
المعاملة للثقة بالملوك وانه يخلى سبيله عن قريب ولو كان هذا القول
من الامبراطور صادراً عن صدق وخلص نية لكفاه ذلك شرفاً وفخراً
الان فرنسيس كان في حالة رديئة من شدة مرضه فاعتقد صدق قول
الامبراطور وداخلته العافية لانشراح صدره بما وعده به ومن وقتئذ اخذ

سنة ١٥٢٥

في الانتعاش والشفاء حتى استقامت صحته بعد مدة قليلة ورجعت له قواه

مطلب

وصول الدوق دي بوربون
الى مدينة مدريد

ولكن بعد أن شفي وتنبه داخله الندم والحسرة حيث اعتقد صحة كلام
الامبراطور واعتبر زخرف قوله مع ما سبق له منه هذا وما الامبراطور فانه بعد
خروجه من عند فرنسيس توجه فوراً الى مدينة طليطلة وأحال
الامور على وزرائه فصار الملك فرنسيس من تشديد انظر آء عليه في ضنك
وضيق اكثر مما كان فيه اولاً وحصلت حادثة اخرى ازدادت به الامه واحزانه
وهي ما حصل من المراجعة ومزيد الاحترام لاحداث باعه وذلك ان الدوق
دي بوربون حين دخل بلاد اسبانيا قابله الامبراطور بالتبجيل
والاحترام ومزيد التعظيم والاکرام مع انه اى فرنسيس مكث مدة طويلة
وهو لا يرضى ان يعود في سجنه وذهب لمقابلة الدوق دي بوربون خارج
مدينة طليطلة وعانقه معانقة الاحباب وجعله على يساره وسار معه
في محفل عظيم وموكب مبتهج حتى وصل به الى قصره فادع ذلك في قلب
فرنسيس حسرة كبيرة الا انه تسلى بمحادثة اخرى اعقبت تلك الحادثة وهي
ان ظهر له ان مروءة اهل اسبانيا مباينة لطبع سيدهم وذلك انهم كانوا
يغضون الدوق دي بوربون لخيانته حتى ان اشراف تلك الملة كانوا
يتباعون عنه ويتجنبون معاشرته والمخاطبة معه وان كان ذا معارف
جليلة ونفع وطنهم كل النفع في مواطن مهمة وقد حصل ان الامبراطور اتس
من الملتزم ويلونه ان يسكن بوربون في قصره مدة اقامة الديوان
الامبراطوري بمدينة طليطلة فاجابه الملتزم المذکور مع الادب بانه لا يستطیع
مخالفة الامبراطور لكن المأمول منه ان لا يحجب اذا حرق القصر بعد خروج
بوربون منه وجعل عاليه سافله لان البيت اذا تدنس بسكنى اهل الغدر والخيانة
فيه لا ينبغي ان يسكنه احد من اهل شرف العرض والامانة

مطلب

جعل بوربون سر عسكر
الجيش الامبراطوري الذي
كان يلا د ايطاليا

ومع ذلك لم يعبا الامبراطور بذلك بل مازال مصمماً على مكافأة بوربون على
خدمه حق المكافئة الا انه كان متحيراً فيما يكافئه به وكان بوربون يطلب من

سنة ١٥٢٥

شهر كانون الاول

الإمبراطور ان يوفيه بما وعده به وهو ان يرثه اخته الـيونورة ملكة
البورنغال وقال له ان هذا الامر هو الذي دعاني الى القيام على الملك
فرنسيس وكان فرنسيس المذكور قبل سفره الى بلاد ايطاليا قد طلب
ان يتزوج بهذه الاميرة منعاً لتزوج الدوق دي بوربون بها وكانت الاميرة
المذكورة توثران يتزوجها ملك ذوصولة وشوكة على الزواج برجل من رعيته
مطروود عن بلاده فلذا كان الإمبراطور متحيراً في امره لا يدري ما يصنع الا انه
في اثناء ذلك مات الامير يسكيير عن ست وثلاثين سنة بعد ان اشتهر وعُد من
اعظم جنرالات عصره وامهر ارباب السياسة في دهره فكان موته سبباً في انقاذ
الإمبراطور من تلك الحيرة وذلك انه قام مقامه الدوق دي بوربون حيث
جعل رئيساً على جيش ايطاليا وزيادة على ذلك جعله حاكماً على دوقية
ميلان بدلا عن الامير سفورس واشترط عليه ان لا يطلب التزوج بالاميرة
اليونورة ملكة البورنغال وكان الدوق دي بوربون لا يستطيع
مخالفته فرضي بذلك

مطلب —
المذاكرة التي حصلت
في شأن تخليّة سبيل الملك
فرنسيس

واعظم الاشياء التي كانت تمنع من تخليّة سبيل الملك فرنسيس هو انه كان
لا يرضى ان يعطى اقليم برغونيا للإمبراطور وكان الإمبراطور يشدد في ذلك
وينظره انه لا يخلى سبيله الا بعد رضائه بهذا الشرط وكان الملك فرنسيس يظهر
انه لا يرضى بذلك ابد الا ان فيه تمزيق مملكته وانه ان نسي ما يجب عليه من حيث
كونه ملكاً وقبل هذا الشرط فقوانين مملكته تنبذ ذلك كل المناسبة وانما
رضي انه من الآن فصاعداً يترك حقوقه في بلاد ايطاليا والبلاد الواطية
للإمبراطور ولا ينزاعه فيها ابداً ووعد ايضا انه يرد الى الدوق دي بوربون
سائر الاراضي التي اخذت منه وانه يتزوج بالاميرة الـيونورة وان يدفع مبالغاً
عظيماً في فداء نفسه لكن لم يحصل بينهما اتفاق بل صار كل منهما من وقتئذ
لا يراعي الا آخر ولا يثق به ونزع ذلك من قلوبهما الى الابد ونشأت بينهما العداوة
والبغضاء ولم تزل تتمكنة من قلوبهما حتى فارقا الحياة وفي تلك المرة لازالا
في جدال ونزاع وعرض ونقض حتى رأى للناس ان لانتهاى لتلك المذاكرة

وانه لا يحصل توافق بين الجانبين فان احدهما كان طماعا مصمما على ان يفتنر
هذه الفرصة ويغتنم فيها جميع ما يساعده عليه دهره من الفوائد والمصالح واما
الجانب الآخر فكان على غاية من الاحتراس لما سبق له وعهده من خصمه وكانت
الدوقة داللسون اخت الملك فرنسيس قد ذهبت اليه لتعوده فاذن
لها الايمبراطور ودخلت عند اخيها في السجن وبذلت غاية جهدها في فكها من
ربقة الاسر بشروط مهملة لطيفة لا ترضى بالعرض كالاولى واعتنى بذلك ايضا
هنرى ملك انكلترة لكن لم ينجح في ذلك حتى ان الملك فرنسيس ينس
كل اليأس وعزم على ان يخلع نفسه من مملكته ويتنازل عن حقوقه ويتقلها
الى ابنه ويمكث هو في السجن حتى يقضى الله امره اكان مفعولا ورأى ان ذلك
اوفق به من كونه يقضى نفسه بشروط لا تليق بالمقام الملوكي فكتب حجة بهذا
الامر ووضع عليها امضاءه وامر اخته ان تذهب بها الى مملكة فرانسوا
لتقيد في دقائر دواين المملكة ويعمل بمقتضاها واخبر الايمبراطور بذلك
وترجاه ان يعين لسجنه محلا ويعمل له بيتا لاثما بمقامه ليقضى فيه ما بقى
من عمره

مطالـ
حيرة الايمبراطور

فان ذلك تأثير اعظم في قلب الايمبراطور وواقعه في حيرة كبيرة فغشى انه
يتشديد في الشروط يخيب سعيه ولا يظفر بجرامه ويؤول الامر الى كونه يرى
بين يديه ملكا لا بلادله ولا يراد لاسيما وقد حصل في انشاء تلك المدة ان بعض
اتباع ملك نوار بذل جهده حتى اخرج سيده خفية من السجن الذى وضع به
بعد واقعة باويا فغشى الايمبراطور ان الملك فرنسيس او اتباعه يمكنهم
بالرشوة وغيرها ان يخرجوا ملكهم من السجن مع تيقظ الضباط المأمورين
بحفظه واذا حصل ذلك خابت آماله وضاعت جميع فوائده فلم هذه الاسباب
رأى ان الاحسن والاوفق للصواب والحزم ان يتساهل في المشاركة ولا يلزمه
بشروط صعبة هذا ما كان من امر الايمبراطور واما الملك فرنسيس فكان
قد سئم من السجن وطول المدة وكان قد اتت اليه اخبار من بلاد ايطاليا
بان هنالك من يدبر امر عصابة كبيرة على الايمبراطور فضمهم على ان يتساهل

سنة ١٥٢٥

سنة ١٥٢٦

مطلب —

المشاركة المنعقدة بمدينة

مدريد

ايضا في المشاركة ويقبل ما يلزمه به الامبراطور وبعد ان يخلص من السجن ويحلى سبيله يمكنه ان يأخذ ثانيا جميع ما سلم فيه بطريق الاكراه والقهر وبهذه الاسباب تساهل كل من المملكين في اشياء وانعقدت مشاركة اطلاق الملك فرنسيس بمدينة مدريد في اربعة عشر من شهر كانون الثاني سنة ١٥٢٦ من الميلاد وما اقليم بورغونيا الذي كان سببا في تأخير عقد المشاركة الى ذلك الوقت فانخط الرأي على ان الملك فرنسيس يترك الى الامبراطور مع سائر ما يتعلق به من الاراضي والبلدان ولكن حيث رضى الامبراطور باطلاق الملك فرنسيس وتخليه سبيله قبل وضع يده على هذا الاقليم وغيره مما تضمنته المشاركة وقع التراضي ايضا على ان الملك فرنسيس يسلم للامبراطور على سبيل الرهن اكبر اولاده الذي هو ولي عمره وابنه الثاني دوق اورليان وابنه الاكبر واثني عشر من امراء فرنسا يختارهم الامبراطور ويعين اسماءهم ويقيمون تحت يده حتى يوفي الملك فرنسيس بما حوته المشاركة وكان في تلك المشاركة شروط اخرى صعبة جدا وان كانت دون الشروط المذكورة في الاهمية منها ان الملك فرنسيس يترك دعواه في شأن بلاد ايطاليا ويترك حقوقه المملوكية في بلاد الفلمنك واطليم اربوازه وانه بعد اطلاقه بستة اسابيع يرد الى الدوق دي بوربون وسائر اخزائه واصحابه جميع املاكهم وامتنعهم وعقاراتهم ويعطيهم اشياء عظيمة في نظير الاشياء التي تلقت عليهم بسبب اخذ املاكهم وامتنعهم منهم ويجبر الامبراطور هنري دالبطة على ان يترك دعواه في حق المملوكية على بلاد نوار وان لا يعينه من الان فصاعدا على الاستيلاء على تلك المملكة وان يكون بين الامبراطور والملك فرنسيس محبة اكدية ومعاودة لا تنقض على مدا الدهور والايام وان يعين كل صاحبه عند الحاجة ولاجل تمكين تلك المحالفة وتقويتها انخط الرأي على ان الملك فرنسيس يتزوج بالاميرة اليونورة اخت الامبراطور شرلكان ملكة البورغغال والتزم فرنسيس ان يضع

سنة ١٥٢٦

على تلك المشاركة مع ما تضمنته من الشروط اقرار ارباب مشورة وكلاء
مملكة فرنسا ويقدمها في سائر دواوين مملكته والتزم الايمبراطور ايضا
انه يجزء وصول هذا الاقرار اليه بخلي سبيل ولدى الملك فرنسيس المهرولين
عنده ولكن يرسل اليه بدلا عنهما الامير كرلوس دوق انغوليم ثالث ابن
ملك فرنسا ليتربى في ديوان الايمبراطور ويكون به تمكين المحبة ودوامها
بين ابيه الملك فرنسيس والايمبراطور ووعد فرنسيس وأ كد وعده
بالقسم انه ان لم يوف بما تضمنته المشاركة في المدة المعينة يرجع ثانيا الى بلاد
اسبانيا فيمكث اسيرا تحت يد الايمبراطور كما كان

مطلب
ما قارن هذه المشاركة من
مقتضيات الاحوال

فقط الايمبراطور شره كان انه بتلك المشاركة قد ارغم انف عدوه وسد عليه
كل باب حتى لا يمكنه ان يعود الى صولته الاولى فيحشى بأسه ولكن ادرك اعظم
ارباب السياسة من اهل عصره ان هذه المشاركة لا يمكن العمل بمقتضاها
وان الملك فرنسيس بعد اطلاقه وتخليه سبيله تستكشف نفسه ان يعمل بموجب
شروط رفضها عدة مرات ولم يقبلها الا لضيقة من السجن واسره فقالوا
ان الطمع والحق قد سيجملا منه من غير شك على تقض تلك الشروط التي لم يقبلها
الا بجزء القهر والاكراه ويسهل عليه تحصيل ما يستند اليه في هذا المعنى
ويبرهن به على انه لا يجب عليه الوفاء بشيء مما ذكر في المشاركة لانه انما قبلها
بالاكراه والاجبار لا بالطوع والاختيار ويجد من يعضده اذا اعتذر حيث
ان الضرورات لا يقاس عليها ولواطع على ما ضميره فرنسيس حين عقد
المشاركة لقليل ان هذا الرأي في محله وانه عين الصواب لا محالة لان الملك
فرنسيس قبل ان يضع امضاءه على المشاركة المذكورة ببعض ساعات جمع
من كان معه من ارباب ديوانه ومشورته بمدينة مدريد وحالفهم ان يكتموا
السرو ولا يفشوه ابدا ثم قص عليهم ما فعله الايمبراطور معه من الخيل بقصد
مخادعته وسوء المعاملة التي لا تليق بالملوك تهديده وتخويفه وبناء على ذلك
فهم من الشاهدين على ان المشاركة التي هو مطالب بوضع امضاءه عليها ليست
صحيحة بوجه من الوجوه ولا يعمل بها لانها بمحض الازام والاكراه * وبهذه

مطلب
انكار الملك فرنسيس
للمشاركة المنعقدة سرا

سنة ١٥٢٦

الطريقة التي ليست من شروط الصدق وخلوص الطوية ولا يقبل اعتذاره فيها بما ابداه من مخادعة الامبراطور له واساءته اياه ظن انه قد فعل ما فيه شرفه ورضاء نفسه فلم يضع امضاءه على المشاركة الا وهو مصمم على نقضها وعدم العمل بها

ولكن كان كل من الامبراطور والمملك فرنسيس يظهر لصاحبه الصداقة والمحبة التامة فكأنما يخرجان مع بعضهما امام العامة والخاصة ويكثران المحادثة والمسامرة ويسافران معا في عربة واحدة وكانت نزهتهما وحظوظهما واحدة الا انه في انشاء ذلك كان الامبراطور مشغول البال موسوس الخاطر فانه مع تجهيز الشروع في اشهار نكاح الملك فرنسيس للاميرة اليونورة عقب المشاركة لم يرض الامبراطور بتتيم هذا الزواج بل ابقاه حتى يأتي اقرار المشاركة من مملكة فرانسوا واما الملك فرنسيس فكان لم يخلص من أسرته بالكلية بل كان الخفر ملازمه في سائر الاوقات فكانوا يراعونه ويكرمونه بوصف كونه صهرا للامبراطور وكانوا يحقرونه ويلاحظونه كل الملاحظة بوصف كونه اسيرا ومن ثم ادرك الحازمون من ارباب السياسة والفطنة ان تلك المحبة ليست صادقة ولا دوام لها حيث انها من مبدئها مشوبة بالغش والخيانة

وبعد مضي شهرات المشاركة من مملكة فرانسوا عليها اقرار الملكة لويورة ام الملك فرنسيس وكانت حينئذ نائبة عنه في المملكة ولحزم الملكة المذكورة آثرت في هذه الصورة المصلحة العامة على مصلحة نفسها حيث ارسلت تخبر ولدها فرنسيس بانها عواضعن ارسال الامراء الاثني عشر المذكورين في المشاركة قد ارسلت الدوق دورليان واخاه الى بلاد اسبانيا لما رأته من ان المملكة لا تتوقف مصالحها على غيبة ولد صغير وتعطل امورها وتبقى بدون من يقوم بحمايتها والذب عنها اذا غاب عنها الابطال والجنرالات اولو الفضل والمهارة الذين عينهم الامبراطور في المشاركة لياخذهم عنده رهينة عوضا عن الدوق دورليان

مطلب

اقرار المشاركة ببلاد

فرنسا

وبعد ذلك كله وقع الوداع بين الملك فرنسيس والامبراطور وكانت وسوسته دائماً في نمو وازدياد حتى انه لاجل تا كيد المشاركة اشترط شروطاً جديدة وقبلها الملك فرنسيس بدون توقف وعطفها على الاولى ولا حاجة الى بيان ما لحق فرنسيس من المسرة والفرح حين خروجه من مدينة مدريد لانه غنى عن الوصف وانما يكفي التأمل فيما لحقه بتلك المدينة من الضنك والضييق فيعرف به مقدار كراهته لها ودرجة سروره حين خروجه منها ثم سافر فرنسيس ومعه جماعة من الخيالة تحفزه وكان رئيسهم الامير ارسون فكان هذا الامير كلما قرب من اطراف مملكة فرانسوا يزداد التفاته وتنبيهه للملك فرنسيس فلما وصل به الى نهر بيداسواه الفاصل بين مملكة فرانسوا وبلاد اسبانيا رأى على الشاطئ الآخر من هذا النهر الامير لوتريك ومعه جماعة من الخيالة تساوى في العدد والجماعة التي معه ركان هناك سفينة خالية واقفة في وسط النهر فاصطف الجماعة امام بعضهم على الشاطئ وتقدم الامير لانواي من شاطئ الاسبانيولين ومعه ثمانية من البيكزادات وتقدم الامير لوتريك من شاطئ فرنساوية ومعه ايضا ثمانية وكان الملك فرنسيس في سفينة لانواي وكان ابنه البيكري وابنه الثاني وهو دوق دورليان في سفينة لوتريك فتلاقى السفينتان عند السفينة الخالية فعد ذلك عائق فرنسيس ولديه ثم وثب من سفينة لانواي الى سفينة لوتريك وانتقل ولدا الى سفينة لانواي وانفصل السفينتان حيث ذووجهت كل سفينة منهما الى حيث أتت فمجرد ان وصلت سفينة الملك فرنسيس الى شاطئ فرانسوا وثب منها طائرا من القرح وركب فرسانكيا وركضه وهو يطوح يده فوق رأسه وصاح عدة مرات وهو يقول (ها أنا الآن ملك) ووصل في اقرب مدة الى مدينة سجان دلولز ولم يستقر بها بل توجه الى مدينة بايوتة * وقد وافق حصول هذا الامر الذي كان يتناه الفرساوية كما كان يتناه الملك نفسه الثامن عشر من شهر اذار بعد واقعة باويا بسنة واثنين وعشرين يوما

* (المقالة الرابعة) *

٢٣٩

بتاريخ الإمبراطور شرلكان

سنة ١٥٢٦

مطلب

تزوج الإمبراطور بالاميرة
إيراييه البورنغالية

وأما الإمبراطور فبجرت أن ودع الملك فرنسيس وأذن بإطلاقه فوجه إلى
مدينة اشبيلية ليتزوج بالاميرة إيراييه بنت المتوفى ابنويون ملك
البورنغال واخت الملك حنا الثالث الذي خلف ايمويل المذكور
في الحكم وكانت الاميرة المذكورة نادرة في نفسها ذات جمال فائق
وبهاء رائق وكانت بمكان من الفضل والمعارف وكان ارباب مشورة مملكة
قسطيلة ومملكة اراغون منذ زمن طويل يحثون الإمبراطور على الزواج
فلما اختارت لك الاميرة ليتزوج بها وكانت من نخذ العائلة الملوكية الحاكمة
بمملكتي اراغون وقسطيلة استحسن الرعايا رأيها واستصوبوه وفرح
البورنغاليون كل الفرح بتزوج الإمبراطور لاميترهم وكان اعظم ملوك الافرنج
فاعطوها جهازا عظيما يساوي تسعمائة ألف كورون (نوع من النقود تقدم
ذكره) وبالنظر لحالة الإمبراطور اذ ذلك كان له ذالمبلغ موقع عظيم عنده فانه قد
التكاح وانتشرت المسرات والافراح وعاش الإمبراطور في رغد عيش
واحسن مشواها وابدى لها ما لا مزيد عليه من المعزة والكرام والتعظيم
والاحترام

مطلب

مصالح بلاد المانيا

ولما كان الإمبراطور شرلكان مشغلا بهذه الامور في بلاد اسبانيا
كان لا يمكنه ان يلتفت حق الالتفات الى مصالح الإمبراطورية الالمانية مع انها
وقتشذ كانت عمزقة كل ممزق بما حدث فيها من الفتن والتكيرات حتى كان يخشى
ان تنفضي بها الى عواقب مشؤمة تضر بها كل الضرر لان القوانين الالتزامية
والرسوم السيادية كانت اذ ذل الباقية على اصلها في تلك الإمبراطورية فكانت
الاراضي والضياع ملكا للبارونيين وكانوا يعطونها لاتباعهم ويكلفونهم
بامور تشترتها النفوس وكان باقي المه في حالة سيئة لافرق بينها وبين حالة
الرق والاستعباد حتى انه في بعض بلاد المانيا كان رعاا الناس في استرقاق
شخصي ومنزلي بمعنى ان اشخاصهم ومنازلهم وما ملك ايمانهم ملكا لساداتهم
وفي بعض بلاد اخرى منها لاسيما اقليم بوهيمية وهي جهة واقليم
لوزاس كان الفلاحون تابعين لاراضي ساداتهم بمعنى انهم يعدون في ضمن

مطلب

الحالة السيئة التي كان
عليها الفلاحون

الارض ان اتلت ببيع او غيره ملتزم آخرو في اقليم سوابه وغيره من الاقاليم
التي على شواطئ نهر الرين كان يجب على الفلاحين مع انهم في تلك البلاد
احسن حالة من غيرهم ان يدفعوا الى ساداتهم وملزميهم محصولات الاراضي
بتمامها بل وكانوا اذا اراد احد منهم أن يغير مسكنه او يحترف بمعرفة اخرى غير
الزراعة والفلاحة لا يرخص له في ذلك الا اذا دفع لسيده او ملتزمه مبلغا معلوما
واما الفلاحون الذين كانت تعطى لهم بعض اراض فكانوا لا ينتفعون بها
الامدة حياتهم ولا تنقل بعدهم الى ذرارهم بل كان للملزم بعد موتهم الحق في
اخذ ماشاء من امتعتهم وأثاثهم وكان ورثتهم اذا ارادوا أن يتقروا في تلك
الاراضي دفعوا مغراما جسيما ومع ذلك كان الفلاحون لا يتشكون ولا يتظلمون
من هذه المظالم الكبيرة لانهم كانوا قد تعودوا عليها وتمكنت من طباعهم لكن لما
حصل التقدم في التمدن والرفاهية وتغيرت الاحوال وصارت الحروب تستلزم
مبالغ جسيمة اتسعت مصاريف الدول واضطر الملوك الى ضرب مغارم كبيرة على
رعاياهم لاسيما وكانت اغلب تلك المغارم على البوطة والبيذ وما شبههما مما تكثر
الحاجة اليه فضج الناس من ذلك حيث اشتدت ازمتهن وساءت حالتهن وكان
اهل السويدية قبل ذلك اى في القرن الرابع عشر قد سئمت نفوسهم من مثل
هذه المغارم فخرجوا عن الطاعة واثبتوا لانفسهم بشجاعتهم الحرية التي يتمتعون
بها الآن وبذلك الاسباب خرج الفلاحون عن طاعة ساداتهم في عدة اقاليم
اخرى من بلاد المانيا في اواخر القرن الخامس عشر واول ثل القرن
السادس عشر نعم لم يترتب على عصيانهم ما ترتب على عصيان اهل السويدية
الا انه لم يكن اطفاء تلك الفتنة الا مع مشاق كبيرة وسفك دماء كثيرة تفوق
على ما حصل في عصيان السويديين

ولكن بعد دفع الفلاحين في تلك المزة لم تقهرهم ثم بل كانت آمالهم لم تنزل متعلقة
باتقاد انفسهم من الظلم والجور لاسيما وكان الظلم يتجدد كل يوم ففعل صبرهم
وهموا بالعصيان ثانيا واولوا اسلحتهم وقد بلغ منهم الغضب منتهاه فانتشرت
في سنة ١٥٢٦ اعلام الفتنة باقليم سوابه قريبا من مدينة اوله فبادر

مطلب
عصيان الفلاحين
في سوابه

سنة ١٥٢٦

الهم الفلاحون افواجا فواجا من سائر الميادين التي حولها ليدتهروا تلك الفرصة
ويستقذروا انفسهم من المطالم الكبيرة التي هم بها في ضنك و كرب شديد منذ زمن
طويل وانتقل خبر هذه الفتنة من اقليم الى آخر حتى انتشر في سائر بلاد
المانيا وتغصب جميع الفلاحين بتلك البلاد وصاروا يطوفون في البلاد
المانسية كالمجانين وكلما دخلوا بلدة نهبوا اديارها وكنايسها وغربوا اراضي
المترمين وهدموا قصورهم وذبحوا من وقع تحت ايديهم منهم
ولما ظنوا انهم بهذه الفتنة قد اوقعوا الخوف والرعب في قلوب المترمين والحكام
الذين كانوا يظلمونهم اخذوا في السكون والهدوء وصاروا يجشون عن الوسائط
التي يأمنون بها في المستقبل من المطالم والجور وتعدى المترمين والحكام
فخرروا بهذا الغرض تقريرا مستملا على الامور التي يتظلمون منها وذكروا فيه
انهم لا يلقون السلاح الا اذا انصفهم الاعيان طوعا او كرها في هذه الامور كلها
وكان اعظمها هو طلبهم الحرية في شأن الخوريين بحيث يكون لهم حق
انتخابهم وان لا يدفعوا الا عشر الا في محصولات القمح فقط وان لا يكونوا
كالارقاء للمترمين وان لا يساح لهم صيد البر والبحر كاصحاب الشرف فلا تكون
الغابات والاجابات من خصوصيات الاشراف والمترمين بل يكون
لسائر الناس حق فيها وان يرفع عنهم ما حدث من المعارم وان تجنب
الاغراض في الحسب والقضاء وينسأهله عن الحسالة التي هو عليها
وان لا يقتات المترمون على الغيطان والخلوات وعلى حقوق الجمعيات
البلدية

مطلب

تسكين الفتنة السابقة

ولاشك ان طلبهم لا غلب هذه الاشياء كان في محله وكان منهم جم غفير حاملا
لسلاحه حتى كانت حالتهم تقضى بانهم لا بد ان يفوزوا بما طلبوه لكن كان هؤلاء
الفلاحون لا ضبط ولا ربط عندهم ولا معرفة لهم بفن الحرب وكانوا متشتتين
عن بعضهم في عدة محال فكانوا في قتالهم خالين عن الانتظام وكان رؤساءهم
من رعاة الناس لا معرفة لهم بفن الحرب ولا مجال لهم في الوسائط التي
توصلهم الى مقاصدهم فلم يكن قتالهم الا بمحض الشجوة خالي عن الانتظام

سنة ١٥٢٦

وحسن الترتيب فجمع اشرف سوابه واشرف البلاد التي على اسفل نهر
الرين اتباعهم وساروا للقضاء هؤلاء العصاة الذين كانوا يخربون الاقاليم
فهجموا على بعض هؤلاء الفلاحين في السهول وانقضوا على البعض الآخر
في المحال التي كان كامناهم فمزموهم ومزقوهم كل ممزق وبددوا شملهم وبعد
أن خرب الفلاحون جميع البلاد الغير المحصنة وهلك منهم في القتال اكثر من
عشرين الفارجعوا الى مساكنهم وهم في القنوط والياس لا يرجون فكاكا
من شقوتهم وكروبهم

وكان مبدء هذه الفتنة في الاقاليم الالمانية التي كان مذهب لوتير لم تكن منها
كغيرها وحيث كانت اغراض الفلاحين من هذه الفتنة سياسية محضة كما ترى
لم يتعرضوا الى شيء من الاحكام الدينية التي كان النزاع حاصل فيها اذ ذلك بين
لوتير والكنيسة الرومانية ولكن لما حصلت الفتنة في البلاد التي كان مذهب
لوتير قد تمكن منها ازداد غضب اهل تلك البلاد حتى تجاوز الحد ودلن النسخ
الديني كان كلما دخل في بلدة يطبع الجسارة والمخاطرة في قلوب اهلها فتشوق
نفوسهم الى احداث امور جديدة ولا تفترلهم هممة ولا شك ان من تجاسر على
ابطال مذهب الكنيسة مع علوانه واحترامه لا يخشى صولة ولا يخاف بطشا
وذلك انهم لما كانوا يرون انفسهم حكاما على المواد الدينية المهمة وتعودوا على
رفض ما ينظر لهم خطأ في الدين كان لا يصعب عليهم التعرض الى اصول
الحكومة وازالة ما يستحقونه منها ويرونه من قبيل الظلم والجور بل جسارتهم
راوا ان ذلك من حقوقهم لاسيما وكانوا قبل ذلك قد ازالوا مظالم الدين
وما استحقوه فيه من غير ان يستعينوا بالحكام المدنية فتقويت بذلك قلوبهم
حتى شرعوا في ازالة المظالم السياسية كما فعلوا بالمظالم الدينية

وبناء على ذلك لما ظهرت الفتنة في اقليم طورنجه وكان عليه منتخب سكس
وكان اهله قد تمسكوا بمذهب لوتير وتمكنت آراؤه من قلوبهم كل التمكن
صارت تلك الفتنة كبيرة مهولة لم يسبق مثلها لاسيما وكان يومه مونسير احد
اصحاب لوتير مستوطنا بهذا الاقليم وصار له موقع عظيم في قلوب اهله وكان

مطلبه
الفتنة الحاصلة في اقليم
طورنجه

مطلبه
ازداد الفتنة الحاصلة
باقليم طورنجه

(المقالة الرابعة)

بتاريخ الإمبراطور شرلسكان

٢٤٣

سنة ١٥٢٦

قد طبع في عقولهم عقائد باطلة وآراء عاطلة الا انها كانت تستلزم الحث على
العصيان وايقاع الفتن حيث كان يعظمهم بقوله (اعلموا ان اضرار لوتير
بالدين اكثر من نفعه له فانه وان انقذ الكنيسة من مظالم الباباوات ومفسداهم
الا ان مذهبه يعين على فساد الاخلاق حسبما يشهد به انهما كد على المعاصي
والمحارم فينبغي للناس لاجل منع ذلك ان يسلكوا في معيشتهم مسلك التقشف
والتخشع وان يكون الانسان على هدى وتقوى ملازما للتؤدة لا يتكلم الا بقدر
الحاجة ويلبس الملابس الخشنة ولا يفتك ولا يمزح ويراعى شعائر الزهد
والتقشف في جميع اموره الظاهرة فثمن فعل ذلك طهر قلبه وباطنه ورأى الله
معه اينما توجه وافاض عليه من بحار جوده وحلمه فاذا جرده عن نعمته وهو
على تلك الحالة فله ان يث اليه الشكوى ويرجو وجهه الكريم في ايفاء ما وعده به
وازالة البؤس عنه فيقبل الله شكواه ويحقق رجاءه ويحفظه بقدرته كما حفظ
الانبياء السالفين وينبغي لسان نحافظ ونحذر كل الحذر حتى لا نستوجب
سخطه بذنوبنا وسيء اعمالنا ولنملنا لانفسنا لان الله سبحانه وتعالى قد خلق
الناس على حد سواء فيستوى عنده الغني والفقير والخطير والحقير فليرجع
الناس الى تلك الحالة التي هم عليها من اصل القطرة ولتكن جميع الاموال
والخيرات الموجودة في الكائنات مشتركة بينهم على سبيل الشيوع لا يختص بها
انسان دون آخر واية يشوا اخوانا مع بعضهم حتى لا يكون فيهم اعلا وادنى
انتهى كلامه)

ثم ان هذا الكلام وان كان من بعض الوجوه من قبيل الهذيان الا انه يلام
الطباع البشرية ولذا كان له موقع عظيم في قلوبهم واثري في عقولهم كل التأثير
حتى انهم لم يصمموا على مجرد دفع الاشراف وخفض شوكتهم بل رأوا ذلك امرا
واهيلا لا يستحق ان يهتموا به فصمموا على ازالة درجات التفاوت في الجمعية حتى
يكون الناس جميعا على حد سواء وان يطلوا حق التملك على العقارات
والاراضي حتى يعود الناس الى ما كانوا عليه من النسوى من اصل القطرة
وتكون الاراضي مشتركة بينهم على وجه الشيوع لا يختص احد بها دون آخر بل

كل انسان يستخرج منها ما يحتاج اليه من اسباب المعيشة وافهمهم مونسير
المتقدم ان الله سبحانه وتعالى يريد منهم ذلك حيث رأى في المنام انه جل وعلا
وعده بالنجاح والظفر فعند ذلك زاد تصميم الفلاحين على مقصدهم وابوا
الاتميمة ونخبه وكان هنالك بين بعيد بين حبيتهم وحبيته الفلاحين الذين عصوا
في بلاد اخرى من الايمراطورية الالمانية حيث كانت حبيتهم ناشئة عن تولع
ديني فعزلوا القضاة والحكام في سائر المدن التي تغلبوا عليها واستولوا على
اراضي الاشراف وجبروا من وقع في ايديهم من هؤلاء الاشراف والمتميزين
على ان يلبسوا ملابس الفلاحين ويتنازلوا عن جميع خصوصياتهم ومن اياهم
والقاسم ويكتفوا من الالقاب بما كان يقال اذ ذاك لبقية الاهالي فكنت ترى
من كل جهة افواجا من الناس يمدرون الى الدخول في هذا القتال
الا ان مونسير الذي كان كاهنهم وقائد كتابهم لم يكن مستكملا للشروط
اللازمة لمن حقه القيام بقيادة العساكر والرياسة عليهم نعم انه كان جامعا
لضلالات اهل البدع وخرعبلاتهم لكنه لم يكن موصوفا بشجاعتهم وثبات قلوبهم
وعسر عليهم ان يفهموه انه لا بد من البروز الى الاعداء ومحاربتهم فلم يزل
في تردد واهمال حتى احاطت به فرقة من الخيالة يقودها الامير منتخب سكس
والامير حاكم هيسه والامير دوق بروا سويك مع ان عساكره كانوا ثمانية
آلاف ولكن حيث كان هؤلاء الامراء الثلاثة لا يهون عليهم سفك دماء
وعاياهم لكونهم لم يخرجوا عن الطاعة من تلقاء انفسهم بل اغراهم على ذلك
رجل لا عقل له بعثوا اليهم احد البهكرادات يعرض عليهم انهم ان القوا السلاح
وقبضوا على من كان سببا في القتلة عني عنهم فلما عرض عليهم ذلك ووقف عليه
مونسير فزع كل الفرع واخذ يعظمهم مع الحماسة التي هي عادته في الوعظ
ان لا يصغوا الى قول هؤلاء الظلمة الجبارين وان لا يجمعوا عن شيء اراده الله
وبه تكون نجاتهم النصرانية وثبت حريتها

ولكن خوف هؤلاء الفلاحين من الاخطار التي كانت قريبة الوقوع بهم
أثرفهم اكثر من قارع وعظ مونسير فوصيحيه بانه كانوا يترددون

مطلبه
انهم زام الفلاحين

سنة ١٥٢٦

١٥ من شهر اذار

في هذا المشروع ولا يستطيعون الاقدام عليه اذ سطع في السماء قوس من النور
كان قد رسم الفلاحون المذكورون صورته على يبارقهم فاعان ذلك مونسير
على احياء قلوبهم حيث رفع يديه ورأسه حالاً الى السماء قائلاً باعلى صوته
هاهي العلامة القاطعة التي اظهرها الله لنا كي نطمئن ونحقق انه خصنا
بالنصر على اعدائنا وانهم هم المغلوبون الاشقياء فعند ذلك صاح الفلاحون
فرحاً وسروراً حتى كأن النصر ثبت لهم لا محالة وقتلوا الامير الذي أتى اليهم
بالعفو من طرف الامراء وطلبوا التوجه الى الاعداء فغضب الامراء
والاشراف من ذلك حيث انه يخالف لقوانين الحرب ورسومه وبعد أن اخبروهم
بانهم قادمون عليهم ساروا للقائهم ولكن لم يظهر الفلاحون في هذا الحرب من
الشجاعة والحمية ما كان يظن بهم حيث لم يمكنهم لعدم معرفتهم بالعسكرية
ان يقاوموا عساكر الامراء والاشراف الذين هم متعودون على الخروب ولهم
في العسكرية باع طويل ودراية عظيمة فقتل منهم في ميدان الحرب اكثر من
خمسة آلاف وفر الباقى وتشتت شمل جيش الفلاحين وهرب رئيسهم مونسير
أمامهم وقبض عليه في اليوم الثاني من الواقعة وحكم عليه بالقتل فقتل وهو
يبدى من امور الجبن مادنسده واورثه الخزي والعار وبعد موته سكن الفلاحون
وانقطعت الفتى التي كانت بهابلا المانيا في فزع عظيم واتقلاب ورعب
واضطراب غير ان ما نشره مونسير بين الناس من الاوهام الباطلة لم يزل
باقياً على حاله حتى نشأ عنه فيما بعد امور اكبر واشهر من هذه الامور
السابقة

وفي اثناء هذه الفتى كان لوتير يسلك في اموره مسلك الحزم والحدق فكان
يشق عليه حصول تلك الفتى التي هي مصائب للنصارى الذين كان يعتبرهم
كعائلة واحدة وهو ابوها فاخذ يدبر ما يكون به اصلاح حال الفريقين
للاشراف والامراء ان ظلمهم هو الداعي لقيام الفلاحين وبين للفلاحين انهم
قد اخطأوا في قياصهم وخروجهم عن الطاعة وذلك انه كتب الى الاشراف
يقسم عليهم باللدان يعاملوا رعاياهم بما تقتضيه المروءة والشفقة ولين الجانب

مطلب
حزم لوتير وحقه

سنة ١٥٢٦

وان يتركوا مظالمهم المعتادة وكتب الى الفلاحين يعظهم ان يصبروا والقضاء الله تعالى ولا يصبروا مما ابتلاهم به وان يتحملوا المشاق التي هم بها تحمل الصابرين وانهم ان بحثوا عما يكون به خلاصهم وانقاذ انفسهم من هذه المشاق فليكن ذلك بمقتضى القوانين والاحكام ولا يعدلون عن سنن الشريعة

وفي تلك السنة تزوج لوتير بامرأة عابدة راهبة يقال لها كاترينة بورية وهي من عائلة عريقة في الحسب والنسب كانت رفضت الرهبانية وفرت من الدير وقد حصل التوقف في اقرار هذا الزواج فكان اعداء لوتير يعدون هذا النكاح من قبيل الزنا والقوا حش المنابذة للدين والشريعة وكان احبابه واحرا به يرون انه لا يليق منه ذلك في زمن كانت مصائب وطنه فيه شتى فأدرك لوتير ان هذا النكاح قد اغضب الناس الا انه لما كانت عادته التحمل والصبر صبر على لوم احرا به وقدح اعدائه

هذا وقد مات ايضا في تلك السنة الامير فريدريك منتخب سكس الذي كان يدافع عن مذهب لوتير ويحمي حماه الا انه خلفه اخوه الامير حنسا وكان ذامهارة وجسارة فتظاهروا بحماية مذهب لوتير واخذ بعضهم بالدليل والقوة نعم لم يكن في المعارف مثل اخيه الا انه كان اعظم منه جسارة وبأسا

من شهر ايار

وقد حصل ايضا ببلاد المانيا في اثناء ذلك الزمن حادثة عظيمة جدية بالبحث عن اسبابها واصولها وحاصلها انه بينما كانت عقول الافرنج في اضطراب مدة القرن الثاني عشر والثالث عشر بسبب تولعهم بالحروب الصليبية اذ ترتبت عدة طوائف دينية شوارية كان الغرض من ترتيبها حماية دين النصرانية من الاسلام وكان من اشهر هذه الطوائف الطائفة التوتونيكية التي ترتبت في بلاد المانيا وكان رجال تلك الطائفة قد امتازوا كل الامتياز في جميع مشروعاتهم وغزواتهم في اخذ ارض القدس فلما طردوا فيما بعد من الاراضي التي كانت لهم ببلاد المشرق جبروا على

سنة ١٥٢٦

مطلب —

اخذاقليم البروسيا من
الطائفة التونيقية

العود الى اوطانهم لكنهم لشجاعتهم وحيتهم انفت نفوسهم ان يكتوا زمنا طويلا
بدون غزوات وحروب فتعلوا بامور واهية غير مقبولة وتغلبوا على اقليم
البروسيا وكان اهلها الى ذلك الوقت جاهلية لم يدخلوا في النصرانية فبعد
أن استولوا عليه بتمامه في اثناء القرن الثالث عشر مكث بايديهم عدة
سنوات بوصف كونه التزاما تابعا لتاج بولونيا وهى بلاد له وفي اثناء
تلك المدة حصلت منازعات شديدة بين رؤساء الطائفة المذكورة
وملوك له حيث كان الرؤساء يطلبون الاستقلال وملوك له يمانعون
عن حقوقهم ويحافظون على ابقاء اقليم البروسيا تابعا لهم وكان
من جملة هؤلاء الرؤساء الامير ألبرطة وهو اسير من عائلة برندبورغ جعل
رئيسا على تلك الطائفة سنة ١٥١١ وكان له مدخل عظيم في هذه
المنازعات حتى حصل حرب طويل بينه وبين ملك له المسمى سيجموند
الا ان هذا الامير كان على مذهب لوتير فتلاشت رغبته في تحصيل مصلحة
طائفته شيئا فشيئا فلما وقعت الفتن في الإمبراطورية وغاب عنها الإمبراطور انهرز
هذا الامير تلك الفرصة وعقد مشاركة مع الملك سيجموند ولم يراع فيها
المصلحة نفسه وبموجب هذه المشاركة اتفق على أن ما كان للطائفة
التونيقية من اقليم البروسيا يصير دوقية وراثية ويعطى للامير ألبرطة
بشرط ان يكون على تبعية ملوك له وبعد عقد هذه المشاركة امر ألبرطة
اهل اقليمه كافة ان يتسداوا بالدين الجديد ويتبعوا مذهب لوتير فتزوج باميرة
من بلاد دانيماركة فتشكى اهل الطائفة التونيقية من افعاله المنكرة
وخيانته المنكرة حتى انه نفي من الإمبراطورية الالمانية لكن لم يزل الاقليم
المتقدم بيده حتى اتقل بالوراثه الى ذريته ثم اتقل فيما بعد الى فرع مخصوص
من عائلته يقال له الفرع الانتخابي وخرج هذا الفرع عن طاعة ملوك له
وصار مستقلا بنفسه غير تابع لتلك المملكة وحكم امراء عائلة برندبورغ
اقليم البروسيا بوصف كونهم ملوكا مستقلين وصاروا من اعظم امراء
المانيا بل وعدوا من اكبر ملوك بلاد الافرنج

الاحتراسات التي اتخذها
ملك فرنسا حين رجوعه
الى مملكته

ولما رجع الملك فرنسيس الى مملكته صار مطمح نظر ملوك الافرنج والنفقوا الى
حركاته واطواره كي يعلموا ماسيفعله فيما بعد فلم يمكنوا على ذلك زمنا طويلا حتى
عرفوا ما كان يضمه وذلك انه بمجرد وصوله الى مدينة بايون كتب الى هنري
ملك انكلترا يشكره على صنيعة معه واعاته له في مدة سجنه واعترف بان له
الفضل والمنة عليه في انقاذه من الاسر وفي اليوم الثاني من وصوله الى تلك
المدينة دخل عليه رسل الایمراطور وطلبوا منه أن يأمر بما هو لازم في اجراء
ما تضمنته المشاركة المنعقدة بمدينة مدريد فاجابهم فرنسيس مع
عدم الاكتراث بانه مصمم على تخير ما تعهد به حرفا بحرف ولكن في تلك
المشاركة بنود كثيرة لا تتعلق به وحده بل تتعلق ايضا بالمملكة الفرنسية
ولا يمكن انهاء شئ في شأنها الا بعد رضاه مشورة وكلاء المملكة وقال لهم
ايضا انه يلزم لذلك مدة طويلة حتى يمكنه ان يتحيل على الاهالي ويستميلهم
الى قبول الشروط الصعبة التي وقع الاتفاق عليها بينه وبين الایمراطور وبهذا
الجواب ظهر انه مصمم على المحاولة في اجراء ما تضمنته المشاركة وظهر
ان قصده من اداء الشكر الى ملك انكلترا انما هو استمالته الى حزبه ليعينه
في الحرب الذي سيحصل بينه وبين الایمراطور لعدم عمله بمقتضى المشاركة
المنعقدة بينهم بمدينة مدريد وزيادة على ذلك كان فرنسيس يكتب سرا
وزراء اغلب ملوك ايطاليا ويفيدهم انه مصمم على ان لا يعمل بمقتضى
المشاركة فعلم ارباب السياسة من اهل ذلك العصر انهم لم يخطئوا فيما فهموه
من حاله اولامن انه انما رضى بما تضمنته تلك المشاركة لينفذ نفسه من الاسر
لاخيرا وانه مصمم في الباطن على أن لا يوفي بها حيث انضج لهم انه لا يريد تخير
ما ذكر في المشاركة وانما ينتظر فرصة ينتقم فيها من الایمراطور في نظير
الامور السيئة التي حملته على اظهار قبول تلك المشاركة هذا ولا يخفى ان البابا
كايما وان كان من دأبه التسكسل والحوال الا انه خالف في تلك المرة عادته حيث
اظهر الميل الى حزب الملك فرنسيس وذلك ان هذا الملك لما اظهر انه مصمم
على نقض ما حصل الاتفاق عليه بينه وبين الایمراطور قوى قلب البابا

سنة ١٥٢٦

المذكور حتى كان لا يخشى للامبراطور بأسا لاسيما وكانت حالة ايطاليا
اذ ذلك لانسوخ لهذا البابا أن يضع زمنا طويلا في المذاكرة في هذا الخصوص
وذلك ان الامير سفورس كان يحصره عساكر الامبراطور في قلعة ميلان
وحيل بينه وبين الامير مورون الذي كان يقوى قلبه ويرشده اليه ما ينبغي فعله
وزيادة على ذلك كان الامير سفورس في كرب شديد حيث لم يتبق له وسيلة
في المدافعة فكتب الى البابا واهل البنادقة يخبرهم انه سيسلم عن قريب
ان لم يسعفه بديس تعين به هذا وكان عساكر الامبراطور منذ واقعة باويا
باقين في دوقية ميلان يعيشون من اموال اهلها لانهم كانوا الى ذلك الوقت
لم تصرف لهم ماهياتهم فكانوا يأخذون في كل يوم خمسة آلاف دوقية كما ذكره
المؤلف غيساردين وكان من المجزوم به ان هؤلاء العساكر بعد تسليم قلعة
ميلان لا يستطيعون الاقامة في الدوقية المذكورة حيث انها افتقرت
بسبب الحرب بحيث صارت لا تفي بمؤنتهم بل ينتقلون الى بلاد البابا وبلاد
البنادقة ويستوطنون بها لانها كانت الى ذلك الوقت ذات ثروة لم تلحقها
مصائب الحرب ومضاره وبناء على ذلك كان يدون اعانة ملك فرانس لا يمكن
انقاذ الامير سفورس ودوقية ميلان من عساكر الامبراطور ومظالمهم
الشديدة

مطلب
العصبة المتحزبة على
الامبراطور

فلهذه الاسباب رى البابا واهل البنادقة والامير دوق ميلان انه لا بد
من المعاهدة مع ملك فرانس وكان هذا الملك ايضا يرغب في المعاهدة
معهم لتقوى شوكته وصولته ويكون له اقتدار على مقاومة عدوه وبناء
على ذلك انعقدت المشارطة بينهم بمدينة كونيافة في اليوم الحادى
والعشرين من شهر ايار ومكثت تلك المشارطة مدة لا يعلمها احدون بودها
الاصلية هي ان يكره الامبراطور على اطلاق ولدى ملك فرانس وبأخذ
في فداتهما المبلغ اللازم ويكره ايضا على اعطاء دوقية ميلان للامير
سفورس واتفق المتعاهدون على انه ان أبى الامبراطور قبول هذين الامرين
يوجهون الى دوقية ميلان بجيش اقدره خمسة وثلاثون الفا وبعد اخذ هذه

سنة ١٥٢٦

الدوقية وطرد الاسبانيواين منها يتوجه الجيش المذكور الى الاغارة على
مملكة نابلي وسمى ملك انكلترة حامي العصبة وسميت هذه العصبة
بالعصبة المقدسة لان البابا كان رئيسها ولاجل استمالة الملك هنري وربطه مع
تلك العصبة باسباب أكدم ذلك انحط الرأي على أن يعطى له في مملكة نابلي
اقليم ابراده السنوي ثلاثون الفا من الدوقات ويعطى لوزيره ولسى من
الاراضي حصه يكون ايرادها في السنة عشرة آلاف دوقه

وبجرتا انعقاد تلك المشاركة ووضع القرار على اصدار حكم من البابا ببراءة ذمة
الملك فرنسيس من اليمين التي حلفها ان يعمل على مقتضى المشاركة المنعقدة
بمدينة مدريد ولاشك ان هذا الامر الذي يدعى البابا ان انه من حقوقهم
لكونهم خلفاء المسيح على ملته وعصمتهم عن الخطا مخل باصول الديانة وخلوص
الذمة المبني عليه المعاملات البشرية فلما رأى الناس ان البابا له جراءة على
ان يحكمهم بنقض مثل تلك العقود والالزامات التي توجب الاصول المرعية
احترامها والعمل بمقتضاها زانه مهما اراد شيئا حكم به وان لم يوافق اصول دين
النصرانية اعتقدوا لكثرة تلك الاحكام وما فيها من المصلحة للمحكوم له
واخذهم اياها قضية مسلمة أن له أن يحلل امورا ترى في حد ذاتها من قبيل
المحظورات ويقر ما هو من حيز المنكرات

ولما علم الامبراطور ان الملك فرنسيس مصمم على المحاولة في المشاركة
المنعقدة بمدينة مدريد لحقه من ذلك غم شديد وتواردت على فكره امور
شتى وتأسف على كونه اساء معاملته مدة اسره واستوجب لنفسه اللوم
والتشنيع لاسيما وقد ظهر طمعه بموجب المداولات التي حصلت بينه وبين
فرنسيس حين كان في قبضته فعلم ان سائر دواوين ممالك اوروبا تكثر من
توبيخه واللوم عليه ولم يعد عليه من ذلك ثمرة حتى يعذر اهل السياسة في ذلك
العصر ويروا ان تشديده كان لقصد مصلحة او ثمرة تعود عليه فيقلوا من اللوم
الا انه كان يرى ان فرنسيس قد خلص من يديه ولم يظفر بشئ من الفوائد
التي قصدها من اطلاقه وتحلية سبيله فندم كل الندم حيث اعتمد على قول هذا

مطلبه
حكم البابا ببراءة ذمة الملك
فرنسيس من اليمين التي
حلفها أن يفعل بمقتضى
المشاركة المنعقدة بمدينة
مدريد

مطلبه
تأسف الامبراطور

الملك وخلي سبيله مع ان عقلاء وررآه اشاروا عليه بخلاف ذلك وعلم انه قد اخطأ في تدبيره حيث اطلقه لقصد منع عصبية تحدث فلم يجد ما دبره فغما بل رأى ان العصبية لا بد من وقوعها وان فرنسيس يكون مشيرها وهو عدوه الا كبر فكانما خلى سبيله ليقوى به عضد المتعصبين وبالجملة فكان الإمبراطور في ندم عظيم على ما فرط منه وفي قلق وحيرة كبيرة بما سيقع الا انه كان من دأبه العزم والحزم وعدم العدول عما صمم عليه فرأى انه ان عدل عن شيء مما تضمنته مشاركة مدريد فكأنه اظهر العجز والخوف وهذا لا يليق بمقامه فصمم على التشديد في اجراء مشاركة مدريد وعدم التساهل في شيء منها وقصد الامهال لا الاهمال ولو حصل ما حصل خصوصاً رد دوقية بورغونيا اليه فانه لا يرجع عن ذلك ولو اعطى خزان الدنيا وكنوزها

ولما صمم على ذلك بعث الامير لاونواي والامير الرسون رسولين الى مملكة فرنسا يطلبان من فرنسيس ان يعمل بمقتضى ما تضمنته المشاركة حيث ان الكذب والاخلاف لا يليق بالملوك او يعود الى مدينة مدريد ليقيم بها اسيراً كما كان حسبما التزم به فلم يجيبهما الملك فرنسيس بشيء وانما جمع وكلاء اقليم بورغونيا أمامه بحضورهما وسألهم في هذا المعنى فأجابوه مع الادب والوقار انه قد تعدى طوره من حيث كونه ملك فرنسا اذ وعد الإمبراطور ان يرد اليه هذا الاقليم مع انه حالف اهله قبل ذلك ان يقيه معه على ما هو عليه وان لا يشترط فيه ابدانته كرهم الملك فرنسيس على رغبتهم في حفظ حقوقه والتسليم منهم بدون تشديد أن يراعوا الشروط التي اتفق عليها مع الإمبراطور وبوجهها يجب عليه ان يسلم اليه اقليم بورغونيا فعند ذلك اظهروا انهم لا يطيعون له امر المخالفا لاصول المملكة وقوانينها وانه اذا جئ الى تسليم اقليمهم للإمبراطور يدافعون عن وطنهم بانفسهم او يملكون ولا يدخلون تحت حكم ملك اجنبي فلما سمع ذلك منهم التفت الى رسولي الإمبراطور وقال لهما اني لا يمكنني التسليم بوجه من الوجوه في اقليم بورغونيا وحيث كان كذلك فاقوم بدفع مليونين من الريالات للإمبراطور ولكن لما ادرك رسولا

مطلب

طلب الإمبراطور من الملك

فرنسيس أن يعمل بمقتضى

المشاركة

مطلب

جواب فرنسيس للرسولين

المبعوثين من طرف

الإمبراطور

سنة ١٥٤٦

مطلب
تأهب الإمبراطور للحرب

الإمبراطور ان ما قاله الوكلاء متواطئون عليه مع الملك قبل ذلك افادوه ان سيدهما اعني الإمبراطور مصمم على ان لا يتساهل في شيء قل اوجبل مما اشتملت عليه المشاركة وخرجوا لوقتها وقبل سفرهما من مملكة فرنسا انتشرت الاخبار بالعصبة المقدسة المتحيزة على الإمبراطور

ولما وقف الإمبراطور على خبر انشاء تلك العصبة استعذب بما في وسعه وشنع على الملك فرنسيس قائلا انه ملك كذاب لا عرض له وتظلم ايضا من البابا كايان وسعى في ترغيبه والبعد عن تلك العصبة فأبى فرماه الإمبراطور بالخيانة والغدر والطمع الفاحش الذي لا يليق بمقامه من حيث كونه بابا النصراري كافة ولم يقتصر على تهديده وتخويفه باظهار الحق له والتصميم على الانتقام منه بل امر بقدم مشورة قيسية عامة لهذا الغرض فاودع في قلب البابا كايان الرعب والخوف حيث ان بابا رومة كانوا يخشون بأس هذه المشاور القيسية ومع ذلك فقد رأى الإمبراطور ان التهديد واللوم لا يكفيان في مثل هذه الصورة ولا يحميانه من العصبة الكبيرة المتحيزة عليه فابدى امرا تعجب منه الخاص والعام حيث ارسل عساكر جديدة الى بلاد ايطاليا وبعث من الاموال مبالغ جسيمة واما المتعاهدون اى ارباب العصبة فكانت همهم في هذا الحرب دون ما كان يتراى من حميتهم حين تعاهدوا مع بعضهم ودخلوا في العصبة المقدسة فكان يظن ان الملك فرنسيس يبذل غاية جهده لبتأسي به بقية ارباب العصبة لان هزيمته في واقعة باويا كانت قد حطت بمقامه وازرت بشرفه فلا بد وان يبذل جهده فيما به يرتقى الى مقامه الاول بين ملوك الافرنج لاسيما وكان الإمبراطور شركا كان قد اساء معاملته وفعل معه امورا كثيرة تفر منها النفوس فكان يظن ان ذلك يحمله على انه ينتهز من تلك العصبة فرصة عظيمة وينتقم من عدوه حق الانتقام وزيادة على تلك الاسباب كان الملك فرنسيس ذا حدة جبيلية وحية طبيعية فظن الناس ان هذا الحرب يكون اقطع من الحروب التي حصلت من قبل بينه وبين الإمبراطور ولكن لم يتحقق ظنهم لان الشدائد والكروب التي كابدها الملك

مطلب
ضعف هممة المتعاهدين

سنة ١٥٢٦

فرنسيس كانت قد انطبع في نفسه وتكثرت منه حتى كان لا يأمن من الدهر
وصروفه بل ولا يأمن من نفسه على نفسه فكان يأبى أن يرغب الا في الراحة
والصلح وترك احوال الحرب وشداًته وكان غاية مراحمه أن يدفع الى الامبراطور
مبلغاً من الدراهم ليطلق له ولديه ويقطع النظر عن اقليم بورغونيا ولوسلم له
الامبراطور في هذين الامرين لما التفت الى اعانة الامير سنورس ولا الى اثبات
حرية بلاد ايطاليا حتى انه لم يكن قصده من تلك العصبة الا اتباع الخوف
والرعب في قلب الامبراطور فيرضى بما يعرضه عليه فيبادع من الشروط المقبولة
الصحيحة لاسيما وكان اهل العصبة ممن يرغب في مصالح نفسه ولا يفي بوعده فخشي
انه اذا ارسل جيشاً من عند لا تقا ذو قيمة ميلان وهزم جيشه عساكر
الامبراطور وطردهم من هذه الدوقية يتخلى عنه اهل العصبة ويصير فريداً
فلا يعود عليه من سعيه الثمرة المقصودة له ولترجع الى حصار قلعة ميلان
فتقول ان عساكر الامبراطور تشددوا على اهل الحصار كل التشديد حتى لم يبق
للامير سفورس حيلة ولا وسيلة وكان اهل البناء والبايا يظنون ان الملك
فرنسيس يعينهم اتم الاعانة فوجهوا عساكرهم الى ميلان ليعينوا الامير
سفورس وكان اهل ميلان يحبون سفورس لانه من عائلتهم الحاكمة
ويغضون عساكر الامبراطور لما فعلوه معهم من الامور الفاحشة والمظالم
التي تنفر النفوس فصعدوا على اعانة المتعصبين في مشروعاتهم الا ان جنرالهم
الدوق اوربان كان يبغض عائلة ميديسيس من قديم الزمان فابت نفسه
ان يفعل شيئاً يكون به ازدياد شوكة البابا كليا ان اويثت له به الفخار لان هذا
البابا كان من العائلة المذكورة فكم لاحتمل فرص وافات يسهل بها شن الغارة
على عساكر الامبراطور والطفر بهم فتغافل عنها هذا الجنرال قصداً لانه كان
من دأبه التردد والتراخي

٢٤ من شهر غوز

وبسبب هذا التراخي والامهال امكن للامير الدوق دي بوربون أن يجهر
عساكر جديدة لتعينه وحصل المبالغ التي كان يحتاج اليها وبعد ذلك صف
جيشه وشدد في الحصار حتى اضطر الامير سفورس الى تسليم القلعة وفر هارباً

سنة ١٥٢٦

الى مدينة لودية وكانت بايدي ارباب العصابة وبعد هروبه بقي الدوق دى
بوربون حاكما في دوقية ميلان لان الامبراطور كان وعده بتوليته عليها
كما تقدم

فعند ذلك ادركه اهل ايطاليا ان معاهدة الملك فرنسيس معهم ليست
الامن باب المخادعة ورأوا أنه قد تلاعب بقولهم وان كانوا مشهورين اذ ذلك
بالخزم في الامور السياسية بل وكانوا يظنون انهم مختصون بذلك لا يشر كهم
فيه احد وذلك ان الملك فرنسيس كان الى ذلك الوقت قد حملهم انقال الحرب
واناطهم بازمانه وشدا نده واعتنم فرمة ما بذلوه من مجهوداتهم حيث عرض
على ديوان مدريد أن يطلق له ولديه ظنانه أن الامبراطور لرعبه وخوفه
من العصابة يصطلح معه على شروط غير الشروط المذكورة في مشاركة مدريد
المتقدم ذكرها فشنع البابا واهل البنادقة على الملك فرنسيس في نظير
هذه الامور ووجهوا اليه اللوم والتوبيخ عساه يتجنب الاهمال ويبادر بعاتتهم
على عدوهم فلما لم ينفع معه تحريضهم ولا توبيخهم قترت همهم بالتدريج حتى
صاروا مثله وتأسف البابا كايان كل التأسف واشهد على نفسه انه قليل الخزم
والادارة وعاد الى ما فطر عليه من التردد والخلول

واما الامبراطور فانه لما كانت اموره كلها صادرة عن نفسه كانت احكم واتقن
من اموره اعدائه وكانت تزداد احكاما واتقاناً لو كانت ايراداته اذ ذلك تكفيه
حقه نفاية الا انه استعان في ذلك بالدسائس والسياسة وذلك ان العائلة
الكولونية التي هي اقوى عشائر رومة واعظمهم شوكة ووصولة كانت من
حزب الجبلين اى الحزب الامبراطورى في مدة المشاجرات الطويلة التي وقعت
بين البابا والامبراطورة ومكثت نيرانها مضطربة بين الفريقين عدة قرون كاملة
ونشأ عنهما تكبير بلاد ايطاليا والامبراطورية الالمانية وكانت الاسباب التي
اوجبت هذا الشقاق قد زالت بالكلية ولم يبق لها اثر الا ان العائلة الكولونية
كانت لم تزل تميل الى الامبراطور وترغب في رواج مصالحه لانها كانت ترى
انها ما دامت تحت حماية الامبراطور تكون آمنة على اراضيها وازياها الاسيا

مطلب
حيرة اهل بلاد ايطاليا

مطلب
الاحتراسات التي صدرت
من طرف الامبراطور

سنة ١٥٢٦

وكان كبير هذه العائلة اذ ذاك هو الكردينال يومه كولون وكان رجلا طماعا ما هرا معروفا بابقاع الفتن والدسائس وكان من قبل ذاك العهد عدوا مينا للبابا كليمان وذلك انه كان يطمع في منصب البابا وتجب الى الإمبراطور رجاء انه يعينه على نيل هذا المنصب ويؤثره على كليمان فلما خاب امله نسب عدم نجاحه الى كليمان ودسائسه فخذ عليه من ذاك الوقت وان كان لم ينظر ذلك حتى انه كان من جملة من انحط رأيهم على تولية كليمان بل لاجل اخفاء ما في ضميره بالسكية اخذ له وظيفة عند البابا كليمان المذكور واستخدم في ديوانه لكنه كان في الباطن يود فرصة تعينه على الانتقام منه * وكان الإمبراطور قد ارسل الامير هوغس مونكاد الى رومة بوظيفة الجلي وكان هذا الامير يعرف ما قبل يومه كولون من البغضة للبابا كليمان فلما ارسل البابا عساكره الى بلاد لنبردية وبقيت رومة بدون خفر اخذ الجلي المذكور فيد الامير يومه كولون ان هذا الوقت يعينه على الانتقام لنفسه من البابا وانه بذلك ترداد محبة الإمبراطور اياه فقبل منه يومه ذلك وصمم على ان يوقع قسنة تفضي بالبابا الى الانحطاط غير ان هذا البابا لوسوسته كان لا يغفل ابدا عن حركات اعدائه واطوارهم فادرك قصدهما من مبداء الامر واحضر عنده طائفة كبيرة من العساكر فخاب امل الامير يومه كولون وفسد تدبيره الا ان الجلي هوغس مونكاد لحزمه وسياسته عرف كيف يشاغل البابا ويستولى على عقله بمواعيده المزخرفة واطمار الصداقة حتى انه ازال ما قبله من التهمة وسوء الظن ومنعه أن يحتسب بالاحتراسات اللازمة لامنه وبذلك اسكن للامير يومه كولون مع ثلاثة آلاف رجل أن يتغلب على احد ابواب رومة وكان البابا اذ ذاك في أمن واطمئنان ويرى انه لا تصعب عليه مقاومة هذا العدو فاكسبه ذلك من المعزة ما لا مزيد عليه حيث كان ذا قوة عظيمة وشوكه كبيرة وكان مشهورا بالسياسة واليكاسة وكان الرومانيون لا يخشون أذى من عساكر يومه كولون فتركوهم يدخلون رومة ولم يتعترضوا لمنعهم فلم تضمد يسيرة الا وتشتت خفر البابا كليمان بل فر هو

٢٩ من شهر ايلول

ايضا لما اخذه من الرعب ورأى ان كل الناس قد تخلوا عنه وذهب الى قلعة
سنتنج وهو يتحسر على عدم احتراسه وعلى اعتماده على مالا يعتمد عليه فاقام
الاعداء حصارها فورا ووقع النهب والسلب في قصر واتسكان وكنيسة
مارت بطرس ويوت وزرآء البابا واتباعه واما بقية المدينة فلم يلحقها اذى
ضرر ولا يمكن عنده ما يقدر به على المدافعة عن نفسه بل ولا ما يتقوت به
اضطر الى التماس السلام بعد مدة قليلة ودخل الالجي هو غس مونكاد
قلعة سنتنج وهو في ابهة الغالين والزمه بشروط صعبة فلم يمكنه ردها
ولامنا قضتها وكان اعظم هذه الشروط ان البابا يعفو عن العائلة الكولونية
واحرابها وينظر اليها بعين الرضا والاعتبار وان يفصل بدون تراخ عن جيش
المتعاهدين المتعصين على الامبراطور جميع العساكر الذين كان ارسلهم
من طرفه

وكان قصد العائلة الكولونية أن تعزل البابا وتولي بدله على الكنيسة الرومانية
قريبها بومبه كولون فتطلت من هذه المشاركة حيث تجعلهم في قبضة
الباباية تصرف فيهم كيف يشاء لكن كان قصد الالجي هو غس مونكاد مجرد
مصلحة سيده الامبراطور فلم يلتفت الى شكوى تلك العائلة لانه بلغ قصوده
من ايقاع الفشل والشقاق بين المتعاهدين ونشيت قواهم

وبينما كان جيش المتعاهدين يضم ويقل عدده في ذلك الوقت بسبب انفصال
عساكر البابا عنه اذ اتى الى جيش الامبراطور طائفتان عظيمتان احدهما
طائفة تبلغ ستة آلاف رجل آتت من اسبانيا وكان عليها رئيسان وهما
الامير لانواي والامير ألسون والطائفة الاخرى آتت من بلاد المانيا
وكان رئيسها جرجي فروندنسبرغ وهو امير الماني شهد حروب ايطاليا
وكان له فيها شهرة عظيمة وصار له حظوة ونفوذ كلفة بين ابناء وطنه حتى انهم
في هذا الوقت كانوا يأتون اليه افواجا ويدخلون تحت الوية لينقذوا انفسهم
من جور الكنيسة والمظالم الدينية فاجتمع عنده من العساكر اربعة عشر
الف الفيل واحد منهم ايكو (ريال) لا غير وانضم اليهم الفان من الخيالة جمعهم

مطلب

تغلب حزب العائلة
لكولونية على مدينة رومة

مطلب

از ياجيش الامبراطور

الامير فرديناند من بلاد اوستروسيا فكرت عساكر الإمبراطور لكنه لم يكن عنده ما يكفيهم من المصاريف وذلك ان ابراداته المعتادة كانت قد نفدت وكانت التجارة اذئذ لم تنسج دأثرها فلم تكن كلمة الملوك نافذة كل النفوذ بالنسبة للاقتراض والاخذ والعطاء فحوذ ذلك وطالما تحيل الإمبراطور على مشورة القورطس بمملكة قسطنطينة واحداث بعض تغييرات في قوانين هذه المشورة لعله يحصل بذلك ما يطلبه من الاهالي فلم يجد ذلك فنعافان المشورة المذكورة أثبت أن تقره على اخذ اموال غير المعتادة فمن ثم كان كلما كثر عدد جيش الإمبراطور ازدادت حيرة الجنرالات والرؤساء لاسيما الدوق دي بوربون فانه كان في خطب عظيم لهذا السبب ولم ينج منه الا بعد أن بذل غاية جهده وجميع ما في وسعه وذلك ان العساكر الاسبانيولية التي كانت في دوقية ميلان كان لها عدة أشهر لم تأخذ ما هيتهما فلما دخل الامير فروندسبرغ ومعه عساكره الالمانية المتقدمة وكانوا على غاية من الاحتياج لا يملكون شيأ طلب عساكر اسبانيا أن تدفع لهم ما هياتهم وطلب العساكر الالمانية المذكورون أن يصرف لهم ما وعدوا باعطائه عند دخولهم دوقية ميلان وصار كل من العساكر الاسبانيولية والالمانية يشدد في الطلب كل التشديد فلما رأى الدوق دي بوربون انه لا يمكنه تسكين غضبهم اضطر الى ارتكاب امور طلمية تخالف طبعه من الحلم والمروءة وذلك انه قبض على اكبر دوقية ميلان وهددهم واذاقهم العذاب الاليم حتى حصل منهم مبلغا جسيما واخذ من الكنائس جميع ما كانت مزينة به من انواع المعادن الثمينة ومع ذلك فلم تكف هذه المبالغ الا انه لما وزعها على العساكر امكنه أن يسكن غضبهم بتحيله وخداعه وان كانوا لم يستوفوا جميع استحقاقهم

مطلب

نفاذ اموال الإمبراطور

مطلب

اطلاق الدوق دي بربون

للامير مورون

ولما كان الدوق دي بوربون لم يزل محتاجا كل الاحتياج اطلق الامير مورون من السجن وكان وضع فيه منذ ظهروا القسنة التي كان يدبرها فاخذ منه عشرين الفامن الدوقات وخلي سبيله مع ان القضاة الاسبانيولين الذين انيطوا بتحقيق دعواه كانوا قد حكموا بقتله فانظر كيف كان عقل هذا الامير وتحيله

حيث كان يستميل اليه كل من دنا منه حتى انه انتقل من وصف كونه اسيرا ذليلا الى وصف كونه محبا صادقا للدوق دي بوربون حتى كان يشاوره في اهم المصالح ولا شك انه هو الذي بتحيله وخداعه افهم هذا الدوق ان الامبراطور لم يقصد أن يجعله حاكما على دوقية ميلان وان الامير ليوه وغيره من الامراء الاسبانوليين لم يكن ارسالهم من طرف الامبراطور عن طيب نفس وصدقنية لقصد اعانتته على تميم مقصده وهو استيلاؤه على دوقية ميلان وانما ارسالهم عيوناً يتجسسون عليه ويلاحظونه في حركاته وافعاله وكان مورون المذكور في سن الثمانين ومع ذلك كان جسورا كانه في عنفوان شبابه فلا مانع أن يكون هو السبب في تخريض الدوق دي بوربون على المشروع العظيم الذي هم بتخيزه بعد ذلك بمدة قليلة ولم يكن يتوقع من مثله ثم ان العساكر الموجودين في ميلان لم يزالوا يشددون في طلب استحقاقهم وزيادة على ذلك كان لا يتيسر تحصيل ما يقوم بصاريفهم ومؤنتهم فلزم البحث عن واسطة يكون بها الخلاص من تلك الورطة وكان مالهم من الاستحقاق يزاد كل يوم ومع ذلك كان الامبراطور لا يرسل الى رؤسائهم شيئا من الدراهم فبذل هؤلاء الرؤساء غاية جهدهم فلم يمكنهم تحصيل شيء من البلاد التي كانوا بها لانها كانت قد خربت ونفدت اموالها فكان لا يتقدم من هذه الستة الا احد شيئين اما اطلاق الجيش او السير به الى بلاد العدو وليتقوت منها وكان اقرب البلاد اليهم البنادقة الا ان البنادقين لما كانت عادتهم التبصر في العواقب حصنوا بلادهم حتى صارت آمنة من هجوم العدو فبذلك تعين تسير العساكر الامبراطورية لتجمع على بلاد البابا اوبلاد فلورنسة وكان البابا كايان بافعاله السابقة قد استوجب أن ينقم منه الامبراطور انتقاما شديدا خصوصا وكان البابا بمجرد دخول عساكره في رومة بعد قيام العائلة الكولونية لم يراع المشارطة المتعقدة بينه وبين الالجي هو غس مونكاد فعزل الكردينال بومبه كولون ونفي بقية العائلة الكولونية وتغلب على جميع قلاع تلك العائلة وحصونها وخرب اراضيها وديارها وبعد ذلك

مطلب
تفكر الدوق دي بوربون
فيما ينبغي له فعله

سنة ١٥٢٦

وجه عساكره الى مملكة نابلي وكانت تعينه الدونما الفرنسية فتغلب منها على بعض بلاد مع السهولة وكانت جنرالات الامبراطور لعدم الاموال لا يمكنها أن تقاوم حق المقاومة

سنة ١٥٢٧

مطلب

توجه الدوق دي بوربون للهجوم على اراضي البابا

فلما صدر ذلك عن البابا اتخذ الدوق دي بوربون حجة بنى عليها مقاصده التي حمله عليها الضرورة وكانت الاحوال اذ ذاك لاتساعده فاستدلو على انه كان في بأس عظيم وانه صاحب معارف غزيرة حتى امكنه أن يظهر على تلك الموانع الكثيرة الصعبة وذلك انه بعد أن سلم حكومة ميلان الى الامير ليونه توجه في شدة القرو البرد ومعه جيش يبلغ خمسة وعشرين الفاً مختلفين في الملل والاخلاق واللغات ولم يكن معه مال ولا ذخائر ولا اسلحة ولا مهمات وبالجملة فلم يكن معه شيء من الامور اللازمة لهذا الجيش الكبير بل ولا لسرية صغيرة من العساكر ولا يخفى ان البلاد التي كان متوجها اليها مشحونة بالجبال والانهار ومسالكها غير مبطونة وزيادة على ذلك كان جيش العدو اكثر عددا من جيشه بحيث يمكنه أن يلاحظه في جميع حركاته ويغتنم كل فرصة لاحتله ولكن لقيام حظه كان عساكره قد سئموا من الشدائد التي حلت بهم فكان غاية من امهم معرفة عاقبتها وما توول اليه ليخلصوا من العذاب الاليم الذي كانوا به لاسيا و كانوا يطمعون أن يغتصموا غنيما عظيما فلم يلتفتوا للمساق التي كبدوها في الطريق وساروا مع الدوق دي بوربون من شرقي الصدر وكان قصد هذا الدوق ان يتقدم بالتغلب على مدينة بليرنسة وينهبها ويعطى اموالها للعساكر لكن تيقظ جنرالات جيش المتعاهدين افسد عليه هذا المقصد فقصد حينئذ التغلب على مدينة بولونيا فلم ينجح ايضا لان هذه المدينة كان بها من المحافظين من يكفي في حمايتها من جيش لاذخائرمعه ولا اسلحة فلما لم ينجح بوربون في هذين المقصدين نكس من أن يمكنه التغلب على مدينة من المدائن الكبيرة واستمر على السير بجيشه ولكن كان قد مكث شهرين كاملين وهو يجد السير حتى تعب العساكر كل التعب من طول السفر وشدّة الشتاء وعدم الذخائر وكانوا قد اغتروا قبل ذلك بمواعيد وعدوا بها فلما خاب املمهم منها وادخلهم

مطلب

صيان عساكر الدوق دي

بوربون

القنوط والياس فترت همهم وشمت نفوسهم واخذوا يستنجرون ويتظلمون حتى
اظهروا العصيان واخذ بعض الضباط في تسكينهم فقتلوه بل لم يمكن للدوق دى
بوربون أن يظهر أمامهم في شدة غضبهم واضطر الى الفرار والخروج سرا
من مسكنه لكن بعد ذلك سكن غضبهم بالتدريج وكان لهذا الدوق براعة عظيمة
في ادارة العساكر وتأليف قلوبهم فتحيل عليهم وغرهم بالمواعيد المزخرفة
وفعل معهم جميع ما رآه لازما لتشجيعه وتسليتهم على المشاق والكروب التي
كانوا بها فكان يمشى على رجله ويغنى معهم الاغاني التي كانوا ينشدونها
ويأتون فيها بدح بالشجاعة ويستخرون به من حيث الفاقة والفقر وكانوا
اذامه وابقريه بأذن لهم بنهها حتى يشرح صدورهم ويقولوا انه مصمم على الوفاء
بوعده ولما كان يتحيل عليهم بهذه المناسبات نسوا آلامهم ومشاقهم واستمروا على
المسير معه اينما توجه وصاروا لا يتشكون ابدا

ولكن كان الدوق دى بوربون لا يظهر مقاصده حتى ان رومة و فلورنسة
لما كانا لا يعلمان الى اين توجه مكننا في حيرة عظيمة وكانت حيرة البابا كليمان
اعظم من حيرتهما لانه كان يحافظ على ابقاء هاتين المدينتين في الامن
والاطمئنان لما له في ذلك من المصلحة وحين كانت الاخطار التي كان عرضة لها
تستدعي أن يحترس بما في وسعه كان يضع الوقت في مذاكرات لا تجدى نفعا
او يصمم على امور ثم يعدل عنها لان قريحته وان كانت تدرك دقائق المشكلات
الا انه كان يعجز عن ادراك ما يكون به ازالته فكان تارة يصمم على بقاءه في زمرة
المتعاهدين وبذل وسعه في الحرب مع الايمراطور وتارة يصمم على انهاء الحرب
بالتى هي احسن حتى حمله الجبن والخوف على عقد مشاركة مع الامير لانواى
كان من جملة بنودها الاصلية ان تعقد هدنة ثمانية اشهر بين
عساكر البابا وعساكر الايمراطور وان البابا يعطى ستين الف ايكو (ريالا)
لتصرف على الجيوش الايمراطورية وان يعفو عن العائلة الكولونية ويرد اليها
اراضيها ومناصبها وان يذهب الامير لانواى الى رومة وينزع الدوق دى
بوربون عن الهجوم عليها وعلى مدينة فلورنسة وأنت ترى أن البابا بهذه

مطلب
نحول البابا وعدم تبصره

مطلب
المشاركة المنعقدة في ١٥
من شهر اذار بين البابا
ونائب الايمراطور في مملكة
نابلي

سنة ١٥٢٧

المشارطة قد حرم نفسه من اعانة المتعاهدين من غير أن يترتب عليه اثمرة يعتمد عليه في الامن على نفسه ومع ذلك ظن انه قد خلص من جميع الاخطار التي كان عرضة لها فامسح عساكره ما عدا من كان يلزم نظره وحراسته وكان الماهر غيساردين يومئذ مع جيش المتعاهدين بوظيفة كونه وكيله عن البابا فامكنه بعلو منصبه وكثرة معارفه أن يدرك أن البابا في غرور عظيم وتجب حيث رأى البابا أننا مطمئنان في تلك المزة مع ان دأبه الخوف والوسوسة لكن لم يعلم لذلك سببا الا على البصيرة الذي يقضى به الله على من اراد خسارته وكان ذلك امرا مقضيا

مطلب
عدم التفات دي بوربون
الى هذه المشارطة

والظاهر ان الامير لانواي كان مقصده أن يعمل بمقتضى المشارطة المتعقدة بينه وبين البابا وذلك انه بعد أن استمال البابا كايان وفصله عن حزب المتعاهدين اراد ان الدوق دي بوربون يتوجه بجيشه الى اهل البنادقة لانهم هم الذين اظهروا والبغضة للاميراطور اكثر من جميع الامم التي كانت تحاربه اذ ذلك الوقت لاجل هذا الغرض رسل الى الدوق دي بوربون ليخبره بالهدنة التي عقدها البابا باسم الاميراطور لكن كان لهذا الدوق ما رآه اخرى وكان مصمما على مشروعه كل التصميم وكان يخشى أن يظهر للعساكر العدول عن مقصده وزيادة على ذلك كان يبغض البابا بغضا شديدا فلم يسمع قول لانواي واستمر على تخريب دول البابا وعلى السير الى فلورنسة ولما قاربها ازداد رعب البابا كايان وعظمت حيرته وكبرت مصيبتة وطلب من الامير لانواي أن يمنع عنه الدوق دي بوربون فساخر لانواي لمقابلة الجيش لكنه لم يستطع الدومنه وذلك ان عساكر دي بوربون بمجرد أن بلغتهم خبر الهدنة داخلهم الغضب والغيظ وطلبوا تخييزا وعدوا به حتى كان لا يمكن للدوق دي بوربون أن يسكن غضبهم فرأى اهل رومة انه لا محيص عن هذا الخطب وانه لا ينفعهم احترام ولا تدبير واما البابا كايان فانه رجع الى ما كان عليه من الامن والاطمئنان لان الدوق دي بوربون خادعه واطهر له انه لا يريد الا الصلح

مطلب
قدوم دي بوربون الى
مدينة رومة

ولا يخفى ايضا أن الدوق دي بوربون كان متخيرا في أمره وذلك انه لم يخبر

سنة ١٥٢٧

في هجومه على بعض المدن وكان قد اراد الهجوم على مدينة فلورنسة فراها
قوية على المقاومة لما وصل اليها من العساكر مع الدوق اوربان فاضطر الى
العدول عن مقصده الى مقصد آخر وصمم على مشروع صعب جعله اهل عصره
من قبيل الكفر وذلك انه عزم على اخذ رومة ونهبها ان كان هنالك عدة اسباب
تحمله على ذلك منها غاظة الامير لانواي حيث كان يريد ابقاء هذه المدينة
آمنة مطمئنة بالمشاركة التي عقدها مع البابا ومنها انه كان يرى أن الامبراطور
يحصل له حظ عظيم من اذلال البابا كليمان لكونه هو السبب في العصبية التي
تخربت عليه ومنها انه كان يطمع انه اذا اخذ هذه المدينة واعطى سلبها للعساكر
ازداد حيزهم فيه وارتباطهم به واعانوه على مقاصده ويحتل وهو الاقرب انه كان
يؤمل انه ان اخذ المدينة المذكورة التي هي اعظم مدائن النصراني امكنه
أن يجدد لنفسه مملكة مستقلة وينفصل عن الامبراطور ويصير ملكا على بلاد
نابلي او غيرها من ممالك ايطاليا

وعلى كل فقد نجح مقصده مع السرعة العجيبة وذلك أن عساكره لما رأوا غنيتهم
نصب اعينهم نسوا ما لحقهم من مشاق الجوع وصاروا لا يتشكون من عدم
صرف ما هياتهم لهم فلما رأى البابا انهم جاوزوا اقليم طوسكانة وتقدموا
جهة رومة علم ان آماله من قبيل الاماني الباطلة واستيقظ من غفلته لكن
كان الوقت لا يساعد له لضيقه ولو فرض انه كان ثم بابا غيره اعظم منه جسارة
وأسرع في انهاء الامور وبتهالما امكنه أن يحتسب باحتراسات نافعة يدافع بها
عن بلاده وبالجملة فذة حكم كليمان على الكنيسة الرومانية لم يتفك عنها
الاختلال والحيرة ومع ذلك فقد جمع من كان باقيا في مدينة رومة من
العساكر الذين سرتحهم وسلخ الصنائعية وخدم الكردينالات واصلح ما كان
باسوار المدينة من المحال والشروم المهذومة وانشأ تحصينات جديدة وحكم
بكفر دي بوربون وعساكره وسب الالمانيين بتسميته اياهم لوتيرية يعني اتباع
لوتير والاسبانيولين بتسميتهم مسلمين وعول على هذه الامور التي لا تجدى نفعا
ظنا منه ان حكمه على هؤلاء العساكر بالكفر يزجرهم ويردهم عن مقاصدهم

مطلب
ما استعداد البابا للمدافعة
عن نفسه

سنة ١٥٢٧

مطابق
الهجوم على مدينة رومة

ولا يعلم انهم كانوا يحتكرون ذلك ولا يعاون به بل كانوا لا يريدون الا الغنية في الحرب فاشار عليه ارباب ديوانه أن يخرج من المدينة فأبى أن يصفي لقولهم وصم على المكث بها حتى يأتي اليه العدو

وكان دي بوربون يرى انه لا ينبغي له أن يهمل في ذلك طرفه عين حيث ان مقاصده قد ظهرت وعرفها الخاص والعام فث السبر حتى سبق جيش الدوق اوربان بعدة مراحل ونزل بجيشه في سهول رومة في مساء اليوم الخامس من شهر ايار واخذ يرى عساكره القصور والكنايس الموجودة بهذه المدينة التي مكثت عدة قرون وهي تبلى اموال بلاد اوروبا بدون أن تسها يدعدت من الاعداء وحسن لهم ان يستريحوا مدة الليل ليستعدوا لالاخذ المدينة عنوة في الغداة ووعدهم أن يعطيهم في نظير ما لحقهم من المشاق جميع الخزائن الموجودة بها

وكان دي بوربون قد صم على تحليد ذكره بهذه الواقعة اما بنجاحه او بموته ففي صباح اليوم الثاني ظهر أمام عساكره متسلحا بجميع ادوات القتال ولا بسافوقها نوبا ابيض لكي يتمكن من رؤيته اعداؤه واحبابه وحيث كان يعلم أن جميع ذلك يتوقف على الشدة عند الهجوم سار فوراً بعساكره ليصعد اسوار المدينة واخذ من الملل الثلاثة التي كانت بجيشه ثلاث جماعات جماعة من الالمانيين وجماعة من الاسبانيولين والثالثة من الايطاليين وفرق بينها فامر كل جماعة أن تجمع على محل مخصوص وتبع هذه الجماعات الثلاثة باقي الجيش ليعينها ويعضدها على حسب ما تقتضيه الاحوال فثار النقع وانفقد الغبار وهم يتقدمون جهة المدينة فلم ير الواحشون عن النظر حتى وصلوا الى شاطئ الخندق الذي كان حول ضواحي المدينة ووضعت السلام في امرع وقت وصعدت كل جماعة على الاسوار مع الشدة العظيمة والجمية التامة فكانها كانت تغار من بعضها لكونها من ملل مختلفة فقابلهم اهل رومة اولاً بعزم كعزهم واطهر السويس الذين كانوا يحتكرون البابا وكذلك العساكر الذين جمعهم من الشجاعة والشهامة ما جعلهم اهلاً للاعتماد عليهم في المدافعة عن

اعظم مدائن الدنيا واشهرها حتى انه بعزمهم وثباتهم لم يكن لعساكر دي بوربون أن يقدموا عليهم مع شدتهم وحجيتهم بل اخذوا في التقهقر والرجوع على اعقابهم فلما رأى الدوق دي بوربون ان هذا الوقت هو وقت النصره والانهمزام نزل عن جواده وتقدم أمام العساكر الهاجرة واخذ سلما من واحد من العساكر واسنده الى الحائط واخذ يصعد عليه وهو يقوى قلوب عساكره ويصيح عليهم أن يتبعوه فاصابته من جهة السور رصاصة ثقت صلبه فادرلك ان جرحه قاتله لكن لم يغب عقله فاوصى من كان بقربه أن يستروا جسمه ببرنس حتى لا تفترهمة العساكر اذا رأوه ميتا وبعد لحظة قليلة مات وهو في همة عالية تكسوه حلة البهاء والابهة بحيث لو كان قتله في المدافعة عن بلاده لارتبسا على جيش اعداءه وطنه لكان ما ظهره من الهمة عند الموت يسببه اعظم فخرا اكتسبته الرجال وتزيت به سير الابطال

ولكن لم يكن اخفاء هذا الخبر مدة طويلة لانه كانت عادته أن لا يغفل بل كان يتنقل من جهة الى اخرى ويبادر الى الجملات الخطرة ليقفهم احوالها وخطوبها فلما غاب عن اعين العساكر عرفوا انه قد مات لكن لم تفترهمتهم بل ازدادوا حمية وجنونا وصاروا يلججون بلفظ دي بوربون من صف الى آخر ويقرنونه بقولهم عليكم بالدم واخذ النار بعد مدة قليلة كالت قوى العساكر الذين كانوا يافعون عن الاسوار فلم ير عساكر دي بوربون من يقاومهم ودخلوا مدينة رومة كسيل العرم يزبل ما صادفه في طريقه

وكان البابا كليمان مدة القتال تحت محراب ماري بطرس يبسط الاكف بدعاء غير نافع ويطلب من الله النصره على اعدائه فلما اتاه الخبر ان عساكره قد رجعوا على اعقابهم ركن الى الفرار ومن العجيب انه لم يخرج من باب غير الباب الذي دخل منه الاعداء حتى لا يصادفه احد بل ذهب هو وثلاثة عشر من الكريدينالات ورسل الممالك الذين كانوا عنده الى قلعة ستنج ولم يرتدع مما حصل له بها حين التجأ فيها قبل ذلك فعند ذهابه الى هذه القلعة رأى عساكره يفرون أمام الاعداء وهم لا يرون لحالهم وسمع صياح اهلها الى مدبنته ونواحيهم

سنة ١٥٢٧

مطلب

نهب رومة

ورأى بعينه المصائب التي كان سببها قبح ادارته وعدم تبصره ولا يمكن وصف ما لحق رومة من المصائب والاهوال التي اعقبت هذه الحادثة لما انه تقصر عنه العبارة ويجل عن أن يتصوره عقل او يحصره وصف فحصل لسكان رومة ما يحصل لمدينة اخذت عنوة بعساكر كالجناين خلت قلوبهم عن المروءة والرافة فاصابتهم قساوة الالمانين الذين هم كالوحوش الكاسرة وطمع الاسبانوليين وسفاهة الايطاليين وحصل التهب في الكنائس واقصور والبيوت ولم يحترقوا شيوا ولا اعيانا ولا نساء بل لحقت افعالهم القبيحة كل الناس وعم الكردينالات والقسوس والاشراف والنساء والبنات قساوة هؤلاء المتبربرين الذين كانت قلوبهم خالية عن الشفقة والمروءة ولا يخفى انه في العادة متى اخذت مدينة عنوة لاستتر فيها الفواحش والمظالم من طرف المتغلبين بل تبطل بمجرد سكون غضب العساكر الان عساكر الإمبراطور مكنت عدة اشهر بمدينة رومة وهي تظلم الاهالي ولا يسكن غضبها بل ولم ينقص عن الحالة الاصلية وكان ما غموه من التقود يبلغ مليونان من البنادقة وما اخذوه في القذا وبطريق الظلم والنهب يزيد على ذلك نعم ان رومة كان قد تغلب عليها عدة مرات الامم الشمالية الذين هزموا الإمبراطور في القرن الخامس عشر والسادس عشر الان هؤلاء الامم الكفرة الفجرة الذين كان منهم امة المهونين والونداليين والغوطيين لم يفعلوا بها كما فعل هؤلاء العساكر الذين هم متدينون بدين النصرانية ومحكومون بملك قانوليتي

وبعد موت دي بوربون تولى قيادة الجيوش الإمبراطوري الأمير فليبير دوشالون وكان من عائلة اورنجه الملوكية فشق عليه جدا وقت التهب أن يأخذ بعض العساكر ليحاصر قلعة منتينج فلما قاموا حصار هذه القلعة ادرك البابا كايان انه لا حزم عنده ولا ادارة حيث التي بنفسه في قلعة خالية عن المهمات وادوات المدافعة ولكن كان يرى ان عساكر الإمبراطور ملتفتون الى التهب في المدينة وليسوا معنيين بحصار القلعة فسولت له نفسه انه يمكنه المقاومة حتى ياتي اليه الدوق اوربان فيعينه وينقذه من اعدائه وكان هذا الدوق قادما

مطلب

حصار البابا في قلعة منتينج

على رومة بجيش من عساكر البنادقة واهل فلورنسة والسويشة
وكافوا جميعا مستأجرين على طرف مملكة فرانسَا وكان هذا الجيش كبيرا
بحيث يمكنه انقاذ البابا كليمَان من الخطر الذي كان به ولـمـكـن كان الدوق
اوربان يبغض عائلة مديس وكان كليمَان من تلك العائلة فآثر الانتقام
لنفسه من هذه العائلة على ما يـكـتسبه من الفخار بانقاذه لتخت المالك
النصرانية ولرئيس الملة المسيحية فزعم أن انقاذ تلك المدينة خطر جدا وانه
لا قدرة له عليه ولاجل أن يضم البابا انه انما فعل ذلك لينتقم منه ومن عائلته
قرب من مدينة رومة حتى رآه البابا من قلعة ستنج ثم رجع فيدس
الباپا من النجاة واضطر مدة حصره في هذه القلعة حتى اكل لحم الخبز وبعد ذلك
سلم وقبل الشروط التي ازمه بها الامير فليبيردوشالون فرضى أن يدفع الى
جيش الایمپراطور اربعمائة الف بندق وأن يسلم الى الایمپراطور جميع القلاع
والحصون الموجودة في اراضي الكنيسة وأن يعطي رهائن ويمكث سبجونا حتى
يعمل بمقتضى ما تقتضيه المشاركة وأمر الامير الرسون بخفر البابا مده سجنه
لانه يتشديه على الملك فرنسيس حين كان اسير اطهرانه يصلح لهذه الوظيفة
غاية الصلاحية فانظر الى المقادير حيث ان هذا الامير تولى خفر حبس ملكين
عظيمين لم يقع مثلهم في الاسر لبلاد اوروبا منذ عدة قرون
ولما وصلت الاخبار بهذه الحادثة الى الایمپراطور تعجب كل العجب وحصل له
غاية السرور لانه اخفى ما في ضميره عن رعاياه لانهم كانوا في حنق شديد مما فعله
ابناء وطنهم مع البابا الذي هو سيد النصرارى كافة ولاجل أن يسكن غضب اهالى
اوروبا اظهرانه لادخله في خراب رومة حيث انه لم يأمر بالهجوم عليها
وكتب اسائر الملوك الذين كانوا متعاهدين معه انه كان لا يعلم مقاصد الدوق دى
بوربون ولبس علامة الحزن والبسها لارباب ديوانه وابطل المواسم والزينة
التي كان امرها للولادة ابنة فيلبش ومن تفاقه الذي لم يكن يخفى على احد امر
أن تقام دعوات وصلوات في جميع بلاد مملكة اسبانيا لاطلاق البابا من ربقة
الاسر مع انه لو ارمل الى خبر لانه ورثه عساكره امر باطلاقه لاطلقوه بمجرد

مطلبه
سلوك الایمپراطور في هذا
الخصوص

سنة ١٥٢٧

مطلبه

دخول السلطان سليمان
في بلاد المجر

مطلبه

انهزام المجر مع ملكهم

وصول الامر اليهم

وفي ذلك الزمن كان الدهر يساعدا عائلة اوستروسيا في مملكة اخرى من ممالك
اوروبا وذلك ان السلطان سليمان كان قد دخل بلاد المجر مع جيش
يلغ ثلاثمائة الف رجل وكان لوير الثاني اذذاك ملكا على المجر وعلى
وجه فلعدم ادارته وقلة تجاريه ذهب لتزال هذا السلطان مع جيش لايزيد
على ثلاثين الفا ولعدم حزمه جعل بولص طوموري مطران غولوكز
رئيسا على هذا الجيش فسار هذا الجنرال القسيس امام الجيش وهو متري
برى الرهبان متمطق بالحبل الذي تتمطق به طائفته الفرنسيسكانية وكان
يحب بنفسه ويرى انه لا شيء يصعب عليه وكان عساكره لا يبالون باقتحام
الاخطار وانما يشق عليهم طول المدة فالحوا عليه حتى شرعوا في الحرب مع
المسلمين امام مدينة موهاكز وفي تلك الواقعة قتل الملك لوير وابطل
الشبان الاشرف وهلك اكثر من عشرين الفا وكان منشأ ذلك كله جهل
المطران الذي تقلد قيادة الجيش وبعد انهزامهم تغلب السلطان سليمان على
القلع الموجودة بالاقليم الجنوبية من مملكة المجر وخرب ما عداها من
البلاد واسر مائتي الف نفس ولما كان الملك لوير اخر الذكور من عائلة
ياچولون ادعى الارشدوق فرديناند انه الحق في تاجي المجر ووجه
وكان مستند في ذلك الى امرين احدهما ان عائلة اوستروسيا كانت تطلب
فيما سبق حق الملوكية على هاتين المملكتين والامر الاخر هو انه كان متروجا
باخت الملك لوير المتوفى ولكن كانت القوانين الالترامية والرسوم السيادية
باقية على اصلها في مملكتي المجر ووجه حتى كانت ملوكية هاتين المملكتين
بالانتخاب ولولان الامير فرديناند كان معضدا بقوى عظيمة لما اجيب الى
ما طلبه ونال الملوكية ولكن كان له فضل ذاتي وكان الناس يحترمونه ايضا
مرعاة لاخته لانه كان يومئذ اعظم ملوك النصرانية وكان يلزم تولية امير مثله
قوى الشوكة حتى انه بانضمام عساكره الى عساكر عاليا نصير بلاد انجاري في أمن
من الدولة العثمانية وكانت اخته متزوجة بالملك المتوفى فخلت هذه الاسباب

على قلوب اهل المجر فرضوا بتوليته عليهم وان كانوا قبل ذلك يتوقفون
بالنظر لكونه اجنبيا منهم ليس من ابناء وطنهم نعم كان ثم حزب عظيم يريد تولية
امير ترنسلوانيا وهي الارذل لكن النفي قولهم وصار الامير فردينند ملكا
على بلاد المجر وتبعها اهل مملكة جه فالبسوه تاج ملكهم الا انهم
لاجل عدم ضياع مزايهم الزموه قبل تنصيبه أن يضع امضاءه على وثيقة سموها
اقرارنامه اقترفها فردينند ان تاج مملكة جه لم يعط له بحق قديم وانما اعطى له
بانتخاب الملوك واختيارها وصارت هذه الممالك فيا بعد وراثية لعائلة اوستروسيا
فكانت اصلا في ازدياد قوتها وجعلها من ذلك الوقت مهابة محترمة عند سائر
ممالك المانيا

وهذه الاشياء التي اوجبت الشقاق بين البابا والامبراطور كانت تعين كثير على
منجاح لوتير وانتشار مذهبه بين الناس وذلك انه لما غضب الامبراطور
شرككان من فعال البابا اشتغل بما يدافع به عن نفسه العصبية التي حز بها عليه
البابا فلم يلتفت الى ابطال مذهب لوتير الذي كان آخذا في التقدم والانتشار
والتمسكن من قلوب الناس في بلاد المانيا وانعقدت مشورة الديتة
الامبراطورية في مدينة اسيرة لتختبر الحيلة التي كان عليها الدين اذ ذلك
فلم يلزم الامبراطور في هذه المشورة امرآء المانيا بشئ الا مجرد الانتظار
والصبر وأن لا يفعلوا شيأ يقوى به احزاب لوتير حتى تنعقد المشورة القسيسية
العامة التي طلبها من البابا فانفق ارباب مشورة الديتة المذكورة على
أن عقد المشورة القسيسية العامة هو الاليق والاحسن في نسخ مظالم الكنيسة
وفوا حشها الا انهم شددوا في أن يكون انعقادها في المانيا وأن يكون
اربابها من اهل تلك الامبراطورية لتكون اعظم ثمرة من المشورة العامة التي
طلبها الامبراطور وافادوا أن ما قاله لهم الامبراطور من انهم لا يفعلون ما يوجب
تعصيد مذهب لوتير لم يلتفتوا اليه بل ضربوا عنه صفحا قبل انقضاء
مشورة الديتة من مدينة اسيرة حتى ان العلماء التولوجية الذين
اتبعوا منتخب سكس وامير هيصة كسيلة كانوا يعظون الناس

ويعصونهم الاسرار الدينية بموجب اصول الدين الجديد لاسيما وكان الایمپراطور لا يحترم البابا والكنيسة وذلك لشدة غيظه من البابا لاسيما وكان قد كتب منشورا اذاعه بين الناس وبرهن فيه على أن ما فعله في محله وأن سلوكة حسن فاشتد غيظ الایمپراطور ورد عليه بجواب الطنب فيه واغرب وبدأ بتعداد الجزئيات التي تدل على غدر البابا وخيائته وطعمه وقله ديانته وتشكى من ذلك وشنع عليه كل التشنيع وختمه باليجاب عقد جمعية قسيسية عامة وكتب ايضا الى ديوان الكردينالات يشكى من عدم انصاف البابا كايان ومن تحامله وعصبته وحزهم أن لا يهتموا في عقد تلك المشورة القسيسية ولو أبقى البابا كايان عقدها او اراد تأخيرها الى وقت آخر لان تلك المشورة فيها اصلاح حال الكنيسة النصرانية فان اهمل فيها البابا وجب عليهم أن يعقدوا مشورة قسيسية عامة باسمهم وانتشر جواب الایمپراطور في جميع بلاد المانيا ولم يكن في التشنيع والخط على البابا دون تأليف لوتير وقرأه جميع الناس خاصة وعامة وأثر في سائر القلوب حتى ازال منها ما كان قد انطبع فيها مما نشره هذا الایمپراطور قبل ذلك من منع الدين الجديد

تم الجزء الاول من كتاب اتخاف ملوك الزمان بتاريخ الایمپراطور شرل كان
 ويليهِ الجزء الثاني ووافق ذلك الثاني عشر من شهر رجب سنة ١٢٧٦
 ستين ومائتين بعد الالف من هجرة من له العز والشرف
 صلى الله عليه وعلى آله والناسيحين على منواله
 امين

بيان الخطا والصواب من الجزء الاول من كتاب اتحف ملوك الزمان

بتاريخ الاميراطور شرليكان

خطا	صواب	صحيفة	مطر
في عمره الثمانية	في عمر الثمانية	١٥	٤
الحومة	الحكومة	١٨	١١
ساعات كان	ساعات وكان	٢٠	٢٢
تقوس	تقوس	٢٣	١١
وكان يعلم	وكان يعلم	٢٥	١٣
غزاو لبوس	غزاو لبوس	٧٦	١١
ويعتبرونه	ويعتبروه	٩١	١٠
اذا كان	اذا كان	٩٧	٢
في دواقعة	في واقعة	١٤٤	بالهامش
في معاقبته	في معاقبة العاصين	١٥٢	بالهامش
الاميرين	الاميرين	١٦٠	٣
نهيته	نهيته	١٦٩	١
الداخلي	الداخلي	١٧٦	٢٠
قام مقامه	اظم مقامه	٢٣٣	٩
رى البابا	رأى البابا	٢٤٩	١٧
اقطع	اقطع	٥٢١	٢٤

